الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها

حتى ٣٣٤هـ / ٩٤٦ م

اعداد :

سوزان حسين ياغي

إشراف :

الأستاذ د .عبد العزيز الدوري

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الثاني / ٢٠٠١

(ب)

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وأقرت بتاريخ ١١ / ١ / ٢٠٠١

أعضاء لجنة المناقشة : التوقيع

١- الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري (مشرفا) رئيسا ....

٢- الأستاذ الدكتور تقي الدين عارف عضوا ....

٣- الأستاذ الدكتور فالح حسين عضوا ....

٤- الدكتورة غيداء خزنه كاتبي عضوا ....

الإهداء

الى نبع المحبة والعطاء.........

الى والديّ الحبيبين إحسانا لهما

اهدي ثمرة جهدي المتواضع

شكر وتقدير

يسرني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري الى

أستاذي الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري الذي شرفني بقبول الإشراف على رسالتي ، و لما تقدم به من إرشادات قيمه كان لها فضل كبير في كتابة هذه الرسالة . وأدعو الله أن يديمه ذخرا للعلم وطلابه.

فهرس المحتويات

المختصرات بالرموز

الرموز والمختصرات العربية

١. ت : توفي
٢. ج : جزء
٣. ص : صفحة
٤. ط : طبعة
٥. م : مجلد
٦. ع : عدد
٧. هـ : هجري
٨. ن . م : نفس المصدر او المرجع

الرموز والمختصرات الإنجليزية

.١ : E.i 2 Encyclopaedia Of Islam .New Edition
P : Page .٢
Vol : Volume .٣

وأشير للمصادر والمراجع بالهوامش حسب النمط التالي:

١. يذكر في الهامش اسم المؤلف أو اسم شهرته و الكلمة الأولى من اسم كتابه ثم الجزء في حال وجود أجزاء و الصفحة.

٢. في حال ورود اسم الكتاب مرتين متتاليتين استعمل الرمز م . ن .

ملخص الدراسة

الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها حتى ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م

اعداد
سوزان ياغي
إشراف
الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

تتناول هذه الدراسة موضوع الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها حتى ٣٣٤هـ / (٩٤٥-٩٤٦م) . وبدأت بالتعرف إلى تخطيط بغداد وتأسيس عاصمة للعباسيين تمثل وجهة نظر الدولة الجديدة حيث وقع اختيارهم على موقع بغداد،لاقامة عاصمتهم .ويلاحظ أنهم راعوا وقوعها في مركز وسط للمواصلات البرية والمائية، وأن التجارة كانت عاملاً في هذا الاختيار .وهذه نقطة جديرة بالانتباه بالنسبة للتحول الاقتصادي،إذ نشعر بازدياد النشاط التجاري الى جانب النشاط الزراعي،وباتجاه العباسيين إلى دعم هذا النشاط . كما نجد الاهتمام واضحاً بالأسواق من ناحية تنظيمها وتخصيص محلات مناسبة لها .

وقد حرص المنصور عندما وضع تخطيط المدينة المدورة على أن تكون للمرتبطين به من أهل بيته ومواليه وأتباعه ، وحرسه والعاملين في الدواوين . وكان اختياره لهم قائماً على خطة مرسومة ليسكنها من يثق بهم ويرتبطون به برابطة المصلحة والإقرار بخلافته بصرف النظر عن عمق عقائدهم السياسية في الخلافة العباسية . ولم ينظم بغداد على أساس قبلي ، وإنما أقام تنظيمه على أساس الأفراد ، أو المدن التي جاءت منها الجماعات التي أنزلها فيها . فقسمت بغداد إلى أرباض وقطائع ودروب حسب الأشخاص البارزين أوالمدن التي جاء منها السكان ، أو حسب المهنة وخاصة التجارة . مما أدى إلى نشوء نوع من الرابطة المتينة بينهم وشعورهم بالولاء الخاص لمحلاتهم .

واهتم الفصل الثاني بالفئات الاجتماعية في مدينة بغداد ،فنمو المدينة وتوسعها أدى إلى تطور الحياة فيها ، وتمثل فيها امتزاج الناس من مختلف الألوان والأصول، وازداد نشاط الحرف والمهن ، واتسعت أسواقها ومحلاتها ، إضافة إلى اختصاص كل حرفة بسوقها. وظهرت لديهم تنظيمات تعبر عن تماسكهم وتعاونهم .وكان أهل كل صنعة يعتزون بها ، ويتعصبون لها تجاه غيرهم من فئات المجتمع ، وحتى تجاه الأصناف الأخرى . ونلاحظ تراجع معيار النسب في المنزلة الاجتماعية بسبب التطور الاقتصادي و التباين في توزيع الثروات بين أفراد المجتمع ، فقد انتشرت النسبة إلى الصنعة أو الحرفة إلى جانب النسبة إلى المدينة أو القبيلة .

وإذا نظرنا الى تقسيم افراد المجتمع نجد أن التقسيم يستند الى الأسس التي أحدثتها التطورات الاقتصادية في هذه الفترة، وأهمها مستوى الدخل(الثروة) وبذلك يقسم المجتمع الى ثلاث فئات اجتماعية الخاصة : وهم أصحاب السلطة والنفوذ، والعامة : التي شهدت هذه الفترة توسع في أعدادها ،والفئة الوسطى : التي ضمت العلماء وكبار التجار والملاكين.ويلاحظ جود تفاوت اقتصادي كبير بين هذه الفئات، مما أدى الى قلق اجتماعي وبالتالي قيام حركات اجتماعية.فحركة العيارين والشطار توصف بأنها حركة اجتماعية موجهة بالدرجة الأولى ضدّ أصحاب رأس المال و التجار في الأسواق ،وضد السلطة وممثليها أصحاب الشرطة.

وفي الفصل الثالث تم التعرض الى الخدمات العامة في مدينة بغداد وادارة المدينة . فقد عرف المجتمع جوانب من الفعاليات، وهي تمثل محاولات الدولة لتقديم بعض الخدمات الاجتماعية،فقد أنشئت المستشفيات الحكومية للعناية بالمرضى ولتوفير العلاج المجاني . و أفردت الأوقاف الخيرية التي خصصتها الحكومة بالدرجة الأولى لأغراض التعليم و لمساعدة المسافرين والمحتاجين . أما التعليم فانه لم يكن بيد الدولة بل ترك للأفراد والجماعات ،وكان مفتوحا" للجميع دون تحديد.
وكانت بغداد الغربية مقسمة الى أرباع وفي كل منها قطائع و أرباض ودروب ومحلات، وكان لكل ربع صاحب او رئيس يشرف عليها،وكان لكل ربض وقطيعة رئيس أو شيخ يمثل أهله أمام الحكومة،بالإضافة الى المحتسب وصاحب الشرطة.

وكان لابد من الحديث عن الحياة اليومية لأهالي بغداد طعامهم ولباسهم،ولابد من عرض صورة عن احتفالاتهم وأفراحهم في الأعياد والمناسبات المفرحة ، ثم التعرض لوسائل التسلية التي يملئون بها أوقات فراغهم.

المقدمة:

ان دراسة الحياة الاجتماعية هي الدراسة التي تلقي الاهتمام في دراسات التاريخ الحديث ، فقد كانت كتب التاريخ تنصب عادةً وتولي اهتمامها الى التاريخ السياسي وأهملت الكثير من مظاهر الحياة الإنسانية بما فيها الحياة الاجتماعية .

ولأهمية دراسة التنظيمات الاجتماعية تمت دراسة الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها إلى ٣٣٤هـ / ٩٤٥-٩٤٦ م ، فدراسة التنظيمات الاجتماعية تساعد في تقديم أساس أدق وأوضح في معرفة الأحداث التاريخية واتجاهاتها ، وتعتبر بغداد في فترة الدراسة مركز النشاط الاجتماعي باعتبارها مقر الخلافة ومركز الحياة الاقتصادية ، وفيها تجمعات العمال وأرباب المهن ، كما أنها وصلت إلى أوج التقدم الحضاري في هذه الفترة ، مع غياب الدراسات المتكاملة عن هذا الموضوع .

ومع أن الاهتمام قد تحول في الوقت الحاضر إلى كتابة التاريخ الاجتماعي ، إلا أن الكتابة بهذا الموضوع ليس بالأمر السهل ، لاكتنافه ببعض الصعوبات المتمثلة في تحديد أفق هذه الدراسة ، لأن جوانب الحياة الاجتماعية متعددة .وقلة المادة وتشتتها في المصادر على اختلاف أنواعها، مثل كتب التاريخ والتراجم والخطط والجغرافيا وكتب الرحلة والفقه والحسبة والأدب بأنواعه ، مثل كتب المقامات والحكايات أو الكتب التي تدور حول المغفلين أو الأذكياء أو الطفيليين ، وكتب الرسائل ودواوين الشعراء ،وكتب الطب والمعاجم . ومن ثم الصعوبة في التقاط المادة المشتتة فيها وتدوينها في هذه الرسالة .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول . يتناول الأول منها خطط مدينة بغداد . أما الفصل الثاني فتعرض إلى الفئات الاجتماعية فيها وتمت دراسة العناصر البشرية والأسس التي قام عليها تقسيم الفئات الاجتماعية إلى الخاصة والعامة والفئة الوسطى ، وطبيعة العلاقة بين هذه الفئات ،

وفي الفصل الثالث تمت دراسة الخدمات العامة في مدينة بغداد فتم التعرض إلى الأوقاف وتوفير المياه وعملية التعليم في المساجد والكتاتيب وإنشاء البيمارستانات والحمامات العامة ، وكان لابد من التعرض إلى إدارة المدينة . وانتهت الدراسة في الفصل الرابع بالحديث عن الحياة اليومية لسكان بغداد على اختلاف فئاتهم ، فقد تم الحديث عن الأطعمة والملابس وأدوات الزينة ومراسم الزواج والاحتفالات والمناسبات الاجتماعية ومن ثم وسائل التسلية .

خطط بغداد

تقع بغداد على ضفتي نهر دجلة.أسست في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وبقيت مقرا للخلافة العباسية حتى سقوطها ،والعاصمة الثقافية للعالم الإسلامي.

اختلفت الآراء حول تسمية بغداد وأصل هذه التسمية . فجل الروايات في المصادر العربية ترجع الاسم الى أصل فارسي ،وتجعل الكلمة تعني عطية الله أو هبة الله (او الآله)لأن (بغ) صنم و(داذ) عطية او هبة،وقيل أن(بغ)بستان و (داد)أعطى (١).
ويختلف الباحثون في معنى الاسم بين الأصل الفارسي ،وبين الأصل الآرامي،بمعنى"حظيرة الغنم او الماشية".ويشير الطبري الى " سوق البقر "في موقع بغداد (٢).وهنالك ما يبين ان الاسم قديم يعود الى ما قبل الإسلام ،واحتل الملك الآشوري ادد نيراري الثاني(٩١١-٨٩١ق.م)مناطق عديدة من ضمنها بغدادو.وفي القرن الثامن قبل الميلاد أصبحت بغداد مستوطنة للآرامين .وذكر الملك الآشوري تغلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٢ ق . م) بغداد في معرض الإشارة الى قبيلة آرامية .وجاء في وثيقة قانونية لحمورابي (١٨٠٠ ق. م)ذكر لمدينة بغدادو (٣) ، وهذا يشير الى ان الاسم استعمل قبل حمورابي و لا صلة له بأي أثر خارجي.وهكذا يتبين أن أصول الاسم آرامية على الأرجح.
أطلق المنصور على المدينة التي أنشأها مدينة السلام او دار السلام نسبة الى الجنة ،لأن دار السلام من أسماء الجنة (٤) . كما يذكر أن دجلة يقال لها وادي السلام ،فسميت مدينة السلام، لوقوعها على دجلة(٥)،وقد اقتصر استعمال هذه التسمية على الأغراض الرسمية بصفة عامة وعلى السكة المضروبة في المدينة (٦). وقيل إنما سميت مدينة السلام لأن الله هو السلام فأرادوا مدينة الله (٧).

ومن الأسماء التي أطلقت على بغداد أنها أحيانا تنسب الى منشئها فيقال :
المنصورية،ومدينة ابي جعفر المنصور، والمدينة المدورة،ومدينة الخلافة،ولها اسم آخر هو الزوراء ويبدو أن الاسم قديم كما يقول ابن الطقطقى(٨)،وسميت بالزوراء لأن أبواب السور الأول الداخلية مزورة على أبوابه الخارجية،أي ليست على سمتها(٩)،أو لأن المصلى في جامع المدينة يحتاج الى أن ينحرف قليلا الى باب البصرة ليكون مستقبلا القبلة بشكل صحيح(١٠).

---

(١)ابن الفقيه،البلدان،ص٢٧٨،اليعقوبي،البلدان،ص ٦٧٨-٦٧٩،الخطيب،تاريخ،ج١ص ٨١-٨٣،البكري،معجم ما استعجم،ص٢٦١-٢٦٣،ابن الجوزي،مناقب، ص٦ ،ياقوت البلدان،ص ٥٤٢.
(٢) الطبري،تاريخ، ج٣ ص٢٧٧.
Duri:Art Baghdad E . I .2 P. 45(٣)
(٤)ابن الفقيه،البلدان، ص٢٧٨،ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ ص١٣١.
(٥)ابن الفقيه،البلدان، ص٢٧٨،الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٠-٨٢،البكري ،المسالك،ج١ ص٤٣٦،ابن الجوزي،مناقب،ص٦ ،ياقوت ،معجم البلدان، ص٥٤٢.
(٦) ابن الفقيه،البلدان، ص٢٧٨،ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ ص١٣١.
(٧)ياقوت ،معجم البلدان ،ج١ ص٥٤٢.
(٨) ابن الطقطقى،الفخري،ص١٤٥.
(٩) الخطيب،تاريخ، ج١ ص٧٣-٧٤،ياقوت،البلدان،ج٤ ص٤١٣.
(١٠)الخطيب،تاريخ،ج١ص١٠٧،المقدسي،أحسن،ص١٢١.

كانت العاصمة الإدارية للعباسين قبل بغداد تدعى الهاشمية. وهذا الاسم لا يشير إلى مكان واحد بل إلى أي مكان اختاره الخليفة ليكون مقرا" لاقامته .لذلك نجد التباين في تحديد موقع الهاشمية. فقد أطلق على المكان الذي اتخذه السفاح بعد تركه الكوفة ، مقابل قصر ابن هبيرة (١). وفي سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥٢م اتخذ السفاح مقره بالقرب من الأنبار(٢). واتخذ المنصور مكانا" جديدا" بالقرب من الكوفة لاقامته (٣).

إن قرار المنصور بناء بغداد كان نتيجة" لعدة عوامل: فان إقامة الخليفة في جهة الكوفة وهي معقل المعارضة المضطربة ، كان مصدر خطر يهدد حكمه(٤).كما أن أهل الكوفة بميولهم العلوية قد يفسدون جنده(٥). هذا بالإضافة إلى قلقه من احتمال حدوث الثورات ، كما حصل سنة ١٤١هـ/٧٥٨م عندما أثار الراوندية المتطرفون اضطرابا" في ساحة قصره نفسه(٦).

ويبدو أن المنصور منذ البداية كان عازما" أن يكون موضع مدينته الجديدة، في أواسط العراق، و لا توجد أية إشارات إلى أنه فكر في جعلها في إقليم آخر.خرج المنصور بنفسه للبحث عن مكان لمدينته(٧). " فصعد على دجلة إلى موقع بغداد و جرجرايا ثم مضى إلى الموصل كما و أرسل جندا"مع بعض جماعته أمامه للبحث عن محل ملائم، فلما عاد هؤلاء وصفوا له مكانا" قرب بارمّا و هي قرية تقع قرب الموصل،على شاطئ دجلة الأيسر،و بعد أن بات المنصور فيه ليلة سأل مستشاريه فقالوا له:أن مناخه جيد غير أن المكان لا يكفي لاقامة الجند و السكان،فعاد الى بغداد ،فقال:هذا موقع معسكر صالح "(٨).

---

(١) تقع في منتصف الطريق بين الكوفة وبغداد، ياقوت، البلدان، ج٣ ص٩٤٧، خلف مدينة ابن هبيرة ، الاصطخري ، المسالك،ص٦٥، ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٠، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٣،ص١١٥،ص١٣٠.

(٢) البلاذري، فتوح، ص٢٨٥،ص٢٨٧، اليعقوبي، البلدان،ص ٢٣٧، تاريخ، ج٢ ص٤٢٩، ابن رسته، الأعلاق، ص١٠٩، الطبري، تاريخ، ج٣ ص٨٠.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ص٤٣٠، الطبري، تاريخ، ج٣ ص٢٧١-٢٧٢،ص٣١٩.

(٤) الطبري، تاريخ،ج٤ ص٣٥٧، ياقوت ،البلدان،ج١ ص٥٤٣.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال،ص ٣٧٩، الطبري، تاريخ، ج٣ ص٢٧١-٢٧٢،ابن الطقطقى، الفخري،ص ١٤٣.

(٦) ابن الفقيه،البلدان،ص٢٨١، الطبري، تاريخ،ج٣ ص١٢٩، ابن العبري، مختصر،ص١٠٨،ابن خلدون، العبر،ص٤١٧.

(٧) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٧٩، الطبري، تاريخ، ج٤ ص٣٥٧،ابن الجوزي، المنتظم، ج٥ ص١٢٩.

(٨) ابن الفقيه،البلدان،ص٢٠، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٥٧، ياقوت، معجم البلدان ص٥٤.

إن اختيار المنصور بغداد موقعا" لعاصمته الجديدة ، يعود إلى اعتبارات عسكرية و اقتصادية ومناخية ، فهي تقع على أرض خصبة فيها الزراعة جيدة على جانبي النهر، وكانت تقع على طريق خراسان وهو طريق تجاري مهم وفي ملتقى طرق تجارية أخرى ، و كانت هناك شبكة قنوات تخدم الزراعة ،بالإضافة إلى أنها كانت تتمتع بمناخ معتدل وصحي ، كما كانت تخلو من البعوض(١).ثم أنها تقع وسط العراق، و مثل هذا الموقع يمنح رجالها و جندها القدرة على الحركة في كل الاتجاهات . كما أن وقوع بغداد في المنطقة التي يقترب فيها النهران دجلة و الفرات ،و وجود عدد كبير من الأنهر ،يجعل منها مكانا" حصينا" حيث تصبح الأنهر وسائل دفاع طبيعية (٢). و يذكر الخطيب في رواية أن المنصور فضل موقع بغداد بعد أن فحص التربة في عدة مناطق، و أن هذا الاختيار عززه فيما بعد بزيارة للمكان(٣).

ونلمس الأثر العسكري في اختيار موقع بغداد في إشارة الطبري" أنه خرج بنفسه يرتاد له موضعا" يتخذه مسكنا" لنفسه ولجنده، ثم عاد فقال: هذا موضع معسكر صالح "(٤)ولمراعاة الاعتبارات الاقتصادية فقد روعي في موقعها ، أن يحيط بها ريف جيد(٥)،فقد كانت بين "أربعة طساسيج منها طسوجان في الجانب الغربي ، هما قطربل و بادرويا وطسوجان في الجانب الشرقي،هما نهر بوق و كلواذى" وميزة ذلك " ان خرب منها طسوج أو تأخرت عمارته ،كان الآخر عامرا." وهي على الصراة تأتيها الميرة في السفن من المغرب في الفرات ،وطرائف مصر والشام،والصين والهند وواسط في دجلة، وتأتيها الميرة من أرمينية وما اتصل بها في تامّرا حتى تصل الزاب،ومن الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة.(٦)

يشار إلى أن التخطيط لمدينة بغداد رسم عام١٤١ هـ/٧٥٥م (٧)على أثر خروج الراوندية المتطرفين على ابو جعفر المنصور في ساحة قصره.ولكن العمل به بدأ في١جمادى١٤٥هـ/٢ آب ٧٦٢م ولكن العمل توقف في هذه السنة لما بلغ المنصور خروج محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن ،وعاد الى الكوفة ،فلما انقضى أمرهما رجع فاستتم بناءها . وعمل في تخطيط المدينة،الحجاج بن أرطأة الذي" وقف على خط بغداد مع مجموعة من أهل الكوفة، وأراد المنصور من أبي حنيفة أن يتولى له شيئا" من أمر بغداد فأبى،وأراده على القضاء فأبى أيضا". فحلف المنصور أن لابدّ له من أن يتولاه، فحلف ابو حنيفة أن لا يفعل ،فولاه عدّ اللبن وأخذ الرجال بالعمل ،وكان يعد بالقصب" (٨) أي أنه كان مراقب عمال .وحشر المنصور ١٠٠٠٠٠ عامل وحرفي للعمل في البناء،ويذكر اليعقوبي "أن عدد الصناع زاد على مئة ألف"(٩) وهو رقم يعكس ضخامة البناء، وان كان من المحتمل أن يكون مبالغا" فيه .

---

(١)اليعقوبي،البلدان،ص٢٣٥-٢٣٨،الطبري،تاريخ،ج٣ ص ٢٧١-٢٧٥،ياقوت،البلدان،ج١ ص٦٧٩-٦٨٠،المقدسي، أحسن،ص١١٥-١٢٠،ابن الأثير،الكامل،ج٥ ص٤٢٦-٤٢٧.

(٢)ابن الفقيه،البلدان،ص٢٨٣،الطبري،تاريخ،ج٥ ص ٤٤٨ ،ابن الجوزي،مناقب،ص٨،ابن خلدون،العبر،ج٥ ص٢١٧-٢١٩.

(٣)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٦٦،ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ ص١٣٣.

(٤)الطبري،تاريخ،ج٦ ص٢٦٣ ، ابن العبري، مختصر،ص١٠٨.

(٥)ابن رسته، الأعلاق،ص ٣٤، الدوري ،المؤسسات،ص٧.

(٦)ابن الفقيه،البلدان،ص٢٨٣،الطبري ،تاريخ،ج٣ص٢٧٩،الطسوج:من طساسيج السّواد،معربة، ابن سيدة،المحكم،ج٧ ص ٢٦٠.

(٧)اليعقوبي،البلدان،ص٢٣٨.

(٨)ابن الفقيه،البلدان،ص٢٨٤،ص٢٩١،الخطيب البغدادي،تاريخ،ج١ ص٩١-٩٢.

(٩)اليعقوبي،البلدان،ص٢٤١،ص٢٣٨،الطبري، تاريخ،ج٦ ص٢٦٥،ص٢٣٧،ج٣ ص٢٧٧

(١٠)اليعقوبي،البلدان،ص٢٤١،ص٢٣٨.

ويبدو أنه قد اكتمل بناء كل من القصر والمسجد والايوان عام ١٤٦هـ/٧٦٣م وانتقل المنصور إليها وحول بيوت الأموال والخزائن من الهاشمية إليها (١) ، مما يدل على تبديل العاصمة .وفي عام ١٤٩هـ/٧٦٠م كانت المدينة المدورة قد اكتملت(٢).وكان المنصور أول خليفة بنى مدينة ونزلها وهي بغداد(٣).هنالك روايات عدة عن نفقة المنصور على مدينته، إحداها تقول أنها كلفته ١٨ مليون دينار(٤)،وأخرى تجعلها ١٠٠مليون درهم. وفي رواية رسمية موثقة من دواوين الخلافة أن المنصور أنفق أربعة ملايين وثمانمائة وثلاث وثمانين درهم(٥)

ويكون هذا الرقم معقولا" اذا أخذنا بعين الاعتبار تدني أجور العمال وشدة المنصور في مراقبة الحسابات(٦) ،ورخص أثمان المواد.

حرص أبو جعفر المنصور عندما وضع تخطيط المدينة المدورة،على أن تكون للمرتبطين به من أهل بيته ومواليه وأتباعه،وحرسه والعاملين في الدواوين .وكان اختياره لهم قائما" على خطة مرسومة ليسكنها من يثق بهم ويرتبطون به برابطة المصلحة والإقرار بخلافته بصرف النظر عن عمق عقائدهم السياسية في الخلافة العباسية. ولم ينظم بغداد على أساس قبلي، وانما أقام تنظيمه على أساس الأفراد، أو المدن التي جاءت منها الجماعات التي أنزلها فيها. فقسمت بغداد إلى أرباض وقطائع ودروب نسبت لأشخاص بارزين أوالمدن التي جاء منها السكان (وحدة الأصل) فرس،عرب ،خوارزميون،أو حسب المهنة وخاصة التجارة ،وهذا يتمثل في بعض المحلات ،وغالبا كانت زوايا التجار وأصحاب المهن تقع جنوب الصراة (٧)

وأدى ذلك الى نشوء نوع من الرابطة المتينة بينهم ، وشعورهم بالولاء الخاص لمحلاتهم،ويتضح ذلك في فترات الصراع المذهبي الذي كان يحدث بين سكان المحال(٨) وأوجد ذلك رابطة عامة بين سكان المحلة الواحدة ،استندت الى الاستقرار وتقارب السكن ،وتعدد العلاقات ،وكثرة الارتباطات ،مما يكسبها سمة متميزة (٩).

---

(١)البلاذري،فتوح،ص١٩٥،الدينوري،المعارف،ص١٩٢،اليعقوبي،تاريخ ج٢ص٣٧٩، ابن الفقيه، البلدان،ص٢٨٩،الطبري،تاريخ،ج٤ ص٤٨٧،المسعودي،التنبيه،ص٣٩٠، ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ ص٢٢٥٩.

(٢)الطبري،تاريخ،ج٣ ص٣٥٣،الخطيب،تاريخ،ج١ ص٢-٣،البكري،المسالك،ج١ ص٤٣٧، ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ ص٢٢٧٩،ياقوت،البلدان،ص٥٤٣.

(٣)اليعقوبي،مشاكلة الناس،ص٢٣،البكري،المسالك،ج٤ ص٣٥٧.

(٤)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٥ ،ابن الجوزي،مناقب،ص٣٤،ياقوت،البلدان،ج١ ص٦٨٣.

(٥)الطبري،تاريخ،ج٣ ص٣٢٦، المقدسي،أحسن،ص١٢١، الخطيب، تاريخ،ج١ ص٥-٦، ابن الأثير،الكامل،ج٥ ص٤١٩،ابن الجوزي،مناقب،ص٣٤.

(٦)Duri:Art Baghdad E . I .2 P. 45

(٧)ابن الفقيه، البلدان ،ص٢٩،ص٣٣،ص٣٧.

(٨) ابن الفقيه، بغداد، ص٨٠، الطبري ،تاريخ،ج٣ ص١٥٢٤-١٥٣٠،ابن الجوزي،المنتظم،ج٨ ص٨٧،ص١٢٩،ص١٥٤.

(٩)الدوري ،المؤسسات،ص٨.

وهذا تعبير عما وصل إليه التطور من ضعف الروابط القبلية، وازدياد مكانة الأفراد ، وبروز أهمية الروابط"المدنية"(١).

أمر المنصور عندما وضع تخطيط المدينة المدورة وبدأ ببنائها " أن يسموا كل درب باسم القائد النازل فيه،أو الرجل النبيه الذي ينزله أو أهل البلد الذي يسكنوه".وقد امتد هذا إلى السكن خارج المدينة المدورة، فعندما نقلت الأسواق من المدينة المدورة الى الكرخ وأصبحت قطيعة الربيع من أهم مراكز الحركة التجارية كان" في ظهر قطيعة الربيع منازل التجار و أخلاط الناس من كل بلد ، يعرف كل درب بأهله ، وكل سكة بمن ينزلها"(٢).

ويمكن القول بأن هذا المبدأ في تسمية الدروب اتبع في القطائع و الأرباض ،فأسماؤها مؤشر معتمد على سكانها الأولين(٣).واحتفظت بغداد بأسماء المعالم الخططية الأولى مدة غير قصيرة، بالرغم مما أضيف إليها فيما بعد من أسماء جديدة. وهذا لا يعني استمرار اقتصارها على سكانها الأولين، فقد حدثت تبدلات سكانية ،فمثلا" قد نجد بصريا" يسكن في قطيعة الرازيين، وقد نص اليعقوبي على هذا التطور حيث قال" وفي هذه الأرباض و القطائع ما لم نذكره ،لأن كافة الناس بنوا القطائع وغير القطائع و توارثوا" (٤).

إن تسمية السكك باسماء أشخاص ترجح وجود علاقة سكنية بين السكة و من سميت باسمه، أي أن الشخص سكن في السكة المسماة باسمه، غير أنها لا تستلزم قطعا" أنها اقتصرت عليه، فمن المحتمل أن يكون قد سكنها مع أسرته، و ربما مع أتباعه (٥).

وقسم المنصورالأرباض أربعة أرباع ،"فقلد الربع من باب الكوفة إلى باب البصرة وباب المحول والكرخ ، وما اتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضاح المهندس، والربع من باب الكوفة إلى باب الشام وشارع طريق الأنبار إلى حد ربض حرب بن عبد الله سليمان بن مجالد ، وضاحاً مولاه ، وعبد الله بن محرز المهندس ،والربع من باب الشام إلى ربض حرب وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك إلى الجسر على منتهى دجله ، حرب ابن عبد الله وغزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس،ومن باب خراسان إلى الجسر الذي على دجلة ،مارا" في الشارع على دجلة إلى البغيين وباب قطربل ، هشام بن عمرو التغلبي وعماره بن حمزة وشهاب بن كثير المهندس ووضع إلى كل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الذرع ، ولمن معه من أصحابه ، وما قدره للحوانيت والأسواق في كل ربض وأمرهم أن يوسعوا في الحوانيت ، ليكون في كل ربض من السكك والدروب النافذة ما يعتدل بهاالمنازل، وأن يبنوا في جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات مايكتفى بها من في كل ناحية ومحله . "(٦) نلاحظ ان المنصور قد حرص على وجود ثلاث شخصيات رئيسية في كل ربع،بحيث يوجد قائد لضبط النظام ومهندس لأعمال البناء،ومولى مخلص له حتى يشرف على الأمور ويبقي الخليفة على صلة بمجريات الأمور.

وقد منح المنصور بعض الأتباع والقادة المخلصين قطائع من الأرض قرب البوابات الخارجية للمدينة. وأعطى جنوده ضواحي(أرباض) لبنائها. ومنح بعضا" من أقربائه وأنسابه مناطق بعيدة عن المدينة سميت الأطراف(٧)

---

(١)صالح العلي،بغداد،ج١ ص٧٠.
(٢)اليعقوبي ،البلدان،ص٢٤٤.
(٣)صالح العلي، بغداد،ج١ ص٧٠
(٤)اليعقوبي، البلدان،ص٢٥٠
(٥)صالح العلي،بغداد، ج١،ص٢٨٠-٢٨١.
(٦)اليعقوبي،البلدان،ص٢٤١-٢٤٥.
(٧)اليعقوبي، تاريخ،ج٢ ص٤٤٩-٤٥٠ ، ابن حوقل،صورة الأرض،ج١ ص٢٤٠ .

وأول هذه الأرباض " ما يلي السور من الجانب الغربي ربض حرب بن عبد الملك البلخي وكان يتولى شرطة جعفر بن أبي جعفر ، واليه تنسب الحربية "(١) "ويتصل بربض حرب ربض ينسب إلى المراوزه " (٢) "ثم ربض الترجمان بن صالح "(٣) "ثم ربض ينسب إلى عتيك بن هلال الفارسي وله في المدينة درب ينسب إليه "(٤) " وربض أبي العباس الطوسي عن يسار مربعة المروزي ،وربض زهير بن المسيب الضبي وهو النافذ إلى طريق الأنبار"(٥) "وربض أبي حنيفة "(٦)"وربض زهير بن محمد قائد من أهل ابيورد"(٧).
"و ربض أبي النجم"(٨)"وربض عثمان بن نهيك وكان على حرس المنصور"(٩)"وربض الفرس الذين اقطعهم المنصور هذا الموضع لما اختط بغداد"(١٠) "ويتصل به ربض الخوارزمية،وهم من جند المنصور، ثم ربض عمرو بن اسفندياذ،ثم ربض الرشيد مولى المنصور،ويتلوه ربض سعيد بن حميد "(١١) "وربض زهير بن المسيب المعروف بطاق ابن علي"(١٢). "ثم ربض سليمان بن مجالد مولى المنصور، وقد ولي للمنصور والمهدي ولايات"(١٣) "ويتصل به ربض حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي"(١٤)"ثم ربض زراد بن سنان وكان أحد قواد المنصور"(١٥) و"هنالك ربض حميد بن قحطبة الطائي وكان أحد النقباء"(١٦) ثم" ربض نصر بن عبد الله (١٧) "وربض إبراهيم بن عثمان بن نهيك "(١٨) ثم ربض الجارود(١٩)ويتصل به "ربض العلاء بن موسى الجورجاني، ثم ربض أبي نعيم موسى بن صبيح من أهل مرو من قواد المنصور"(٢٠) "وربض أبي عون في شارع الرقيق من موالي المنصور تولى مصر ثم عزل عنها "(٢١) "وربض نوح بن فرقد أحد قواد المنصور"(٢٢).

---

(١)البلاذري،فتوح،ص٣٩٤،الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٥،ياقوت،البلدان،ج٢ ص٧٥٠.
(٢)ياقوت،البلدان،ج٤ ص٤٨٠.
(٣)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٤،ياقوت،البلدان،ج١ ص٨٣٦.
(٤)ياقوت،البلدان،ج٣ ص٨٥.
(٥)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٥.
(٦)ياقوت، البلدان،ج٢ ص٧٥٠.
(٧)البلاذري، فتوح،ص٢٩٥،الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٥.
(٨)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٩٣.
(٩)ياقوت،تاريخ،ج٤ ص٤٨٥.
(١٠)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٥،ياقوت،البلدان،ج٤ ص٤٨٥.
(١١)ياقوت،البلدان،ج٢ ص٢٥٠-٢٥١ /ص ٧٥١.
(١٢)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٥،ياقوت،البلدان،ج٢ ص٧٥١.
(١٣)البلاذري، فتوح،ص٢٩٥،الخطيب،تاريخ،ج١ ص٢٨٤،ياقوت،البلدان،ج٢ ص٧٥١.
(١٤)ياقوت،البلدان،ج١ ص٨٤.
(١٥)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٤.
(١٦)ياقوت،البلدان،ج١ ص٨٤
(١٧)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٤-٨٥،ياقوت،البلدان،ج٢ ص٧٥١.
(١٨)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٥.
(١٩)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٣،ياقوت،البلدان،ج٣ ص٣٨٨.
(٢٠)الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٣-٨٤.
(٢١)ياقوت،البلدان،ج٢ ص٧٥٠.
(٢٢)البلاذري،فتوح،ص٢٩٥،الخطيب،تاريخ،ج١ ص٨٧.

و على الرغم من عناية الخليفة المنصور برجال الأسرة العباسية ، و رعايته لهم و توليتهم الولايات الكبيرة ،و إغداقه الهبات عليهم، و حرصه على حفظ مكانتهم المرموقة ،فإن المعلومات المستمدة من توزيع الإقطاعات في بغداد عند تأسيسها لا تظهر لهم مكانة متميزة في تخطيطها فلم يرد أي ذكر لاقطاع أحدهم داخل المدينة المدورة . و الإشارة الوحيدة التي أوردها اليعقوبي أن المنصور بنى لأولاده بيوتا" في المدينة لمدورة هي إشارة عامة إذ لم تذكر أي الأولاد بنى لهم بيتا" في المدينة المدورة، كما أنها لا تذكر هل ان ما بنى لأولاده بناية واحدة مقسمة إلى بيوت أم أنها كانت عدَة بيوت(١).و كانت إقطاعات المنصور لأولاده و لأبناء الأسرة العباسية كلها في الأطراف الشرقية و الجنوبية من المدينة المدورة و خارجها. فيذكر اليعقوبي: " و كان أول من أقطع خارج المدينة المدورة من أهل بيته عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله العباسي إزاء باب الكوفة على الصراة السفلى"(٢).

و يدل قول اليعقوبي هذا على أن منح الإقطاعات كان تدريجيا و في أوقات مختلفة ،و أنها لم تقم على خطة مرسومة ، و أن تأخر إقطاع العباسيين في الرَصافة يدل على أن أبا جعفر المنصور لم يفكر بجميع رجال الأسرة العباسية أو إسكانهم في بغداد عند إنشائها ،و أن إسكانهم فيها تمّ تدريجيا" و لم يخضع لقواعد مسبقة(٣).

و لا ريب في أن أبرز إقطاعات العباسيين في الجانب الغربي هو قصر عيسى الذي كان يقع في أقصى الطرف الجنوبي و على شاطئ دجلة ،و ظل اسمه يطلق على المنطقة إلى نهاية زمن الخلافة العباسية (٤).كما و أن عددا" من أبناء الأسرة العباسية أقطعوا في الجانب الشرقي بعسكر المهدي ،و في هذا يذكر اليعقوبي "أقطع المنصور اخوته و قواده بعدما أقطع من الجانب الغربي ،و هو جانب مدينته ،و قسمت القطائع في هذا الجانب ،و يعرف بمعسكر المهدي ،كما قسمت في جانب المدينة و تنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ولاتساعه عليهم بالأموال و العطايا ،و لأنه أوسع الجانبين أرضا"(٥).

يتبين مما ذكر أنه لم يكن لأحد من رجال الأسرة العباسية إقطاع أو دار في المدينة المدورة عندما شيدها المنصور ، و لا بعد زمنه ،بدليل عدم ذكر المصادر لذلك ،فيما عدا إشارة اليعقوبي السابقة الذكر ،و عدم ذكر أحد سكن فيها ،و عدم تسمية أي من سكك المدينة المدورة باسم رجل من الأسرة العباسية كما أن هذه الإقطاعيات كانت قليلة،و يلاحظ أن معظم من كان يلي الولايات لم يقطعهم المنصور عندما أسس مدينته ، و لم يرد ذكر لسكناهم فيها(٦).

مما سبق يمكن أن يتبين لنا أن ابا جعفر المنصور لم يفكر بجمع رجال الأسرة العباسية واسكانهم في بغداد عند انشائها،وأن سكناهم فيها تم تدريجيا ولم يخضع لقواعد مسبقة(٧).

---

(١)اليعقوبي ،البلدان ،ص٢٤١.

(٢) اليعقوبي ،البلدان ،ص٢٤٣-٢٤٩، البغدادي ،تاريخ ،ج١،ص٩١-٩٢.

(٣)صالح العلي، بغداد،ص٤٨-٤٩.

(٤) ياقوت،البلدان،ج٤ ص١١٧.

(٥)اليعقوبي ،البلدان ،ص٢٥١.

(٦)صالح العلي ،بغداد ،ص٤٨.

(٧)ن . م ، ٤٨.

و عندما بنى أبو جعفر المنصور مدينته أقطع الصحابة و (هم رجال اختارهم العباسيون الأوائل وقربوهم إليهم. وكان ذلك منذ زمن ابي العباس السفاح) (١) ،فكانوا جماعة متميزة من المتصلين بالخليفة،والمقربين إليه، وخاصة أبي جعفر المنصور و المهدي(٢) . وتقع قطيعة الصحابة في خارج المدينة المدورة و "على الطرف الجنوبي منها على الصراة ، فيذكر اليعقوبي " و على الصراة قطيعة الصحابة و كانوا من سائر قبائل العرب من قريش و الأنصار و ربيعة و يمن ،و هناك دار عياش المنتوف و غيره"(٣).

و يذكر ابن الجوزي في ذلك أنه كان يسكن في دور الصحابة" حائك يطلب من ابراهيم الموصلي أن يزوره و يسمع غناءه فقال:أين منزلك قال في دور الصحابة "(٤).

مما سبق يتبين أن قطيعة الصحابة و دورهم كانت على الصراة، و يذكر الخطيب أنها عند القنطرة العتيقة(٥).

و كان عدد غير قليل من أصحاب الأرباض و القطائع من عرب خراسان و ممن كان لهم دور بارز في الدعوة العباسية وحركتها هناك و يظهر من دراسة قوائم أسماء النقباء و الدعاة و القادة التي وردت في كتاب أخبار العباس وولده التي يذكر فيها العشائر و المدن التي ينتسب إليها كثير منهم أنه كانت في الأطراف الغربية و الشمالية من المدينة المدورة أرباض و قطائع لثلاثة من نقباء الدعوة العباسية و كذلك لسبعة من الدعاة(٦).

و لا بدّ أن هؤلاء العرب من أهل خراسان الذين كان لكثير منهم دور متميز في الإدارة و القيادة في بغداد ،قد أوطنوا في أرباضهم و قطائعهم عددا" من أفراد أسرهم ، و ربما من رجال عشيرتهم ايضا(٧)

ويرد في الطبري أن المهدي أقطع مجموعة من الأنصار الذين أحضرهم من الحجاز قطيعة تعرف بهم "وأمر أيام مقامه في المدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصارا، وأجرى عليهم أرزاقا سوى أعطياتهم ، واقطعهم عند قدومهم معه قطيعة تعرف بهم"(٨) . ويذكر في ذلك الخطيب البغدادي " وأما قطيعة الأنصار فإن المهدي أقدمهم ليكثر بهم أنصاره ويتيمن بهم ، فأقطعهم هذه القطيعة "(٩) .

فقد ذكر الخطيب درب خزاعة عندما تحدث عن أحد ساكنيه ، وهو أبو بكر الطبري ت ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م (١٠) وذكر درب الأعراب في الجانب الشرقي ناحية قنطرة البردان(١١).
ان المؤلفات الأولى في الأنساب وأهمها كتب ابن الكلبي،ومحمد ابن حبيب ،ومصعب الزبيري،والبلاذري،وابن دريد،فيها تفاصيل واسعة ،لكنها لم تذكر اية قبيلة او عشيرة عربية نزلت بمجموعها في بغداد ، او اسم رقعة سكنية مسماة بهم،علما" بأن هؤلاء المؤلفين أقاموا في بغداد وكانت لهم معرفة واسعة بأحوالها ،ولا ينتظر ان يتعمدوا إغفال ذكرها ان وجدت(١٢).

---

(١)البلاذري،أنساب،ج٣ ص١٦٠،المسعودي، مروج،ج٣ ص٢٧٢،ص٢٧٨،ص٢٧٩،ص٢٨٥.
(٢)الطبري،تاريخ،ج٣ ص٤٣٠،ص٤٧٧.
(٣)اليعقوبي ،البلدان ،ص ٢٤١.
(٤) ابن الجوزي ،المنتظم ،ج٥ ،ص٢٦٢٥.
(٥)الخطيب ،تاريخ ، ج٧،ص٤٣٠، ج ١٢ ،ص٢١٥.
(١)أخبار العباس وولده ،ص٢٥٥.
(٢)صالح العلي ،بغداد ،ص٨٣.
(٣)الطبري ،تاريخ،ج٣ ص٢٨٤.
(٤)الخطيب، تاريخ،ج١ ص٨٨-٨٩.
(٥)ن .م ،ج٢ ص١٤٦.
(٦)الخطيب، تاريخ،ج ١ ص٢٦١،ج٢ ص٣٩٣،ج٤ ص٣٠٩،ج١٣ ص٥٧.
(٧)صالح العلي، بغداد،ج١ ص٧

وذكر اليعقوبي و الخطيب البغدادي عددا ممن أقطعهم المنصور وأشارا الى أنهم كانوا مواليه (١) ذكر الخطيب درب الموالي الذي كان يسكنه أبو الحسين أحمد بن علي الأنباري ت ٤٤٣هـ/١٠٥١م و أخوه أبو طاهر محمد بن علي ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦م غير أنه لم يعين موقع الدرب (٢).و لعلّ أبرز الموالي هم الشروية، و هم "موالي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس،و رئيسهم حسن الشروي" ،و قد أقطع هؤلاء"ما دون سويقة عبد الوهاب مما يلي باب الكوفة"(٣) و يذكر اليعقوبي إقطاعات خاصة بأفراد من الشروية ،منها "قطيعة أيوب بن عيسى الشروي بين باب الكوفة و القنطرة العتيقة و قطيعة أبي يزيد الشروي مولي محمد بن علي و أصحابه و هي بين باب الكوفة و باب الشام".(٤).

" وأقطع العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الجزيرة التي بين الصراتين ،فجعلها بستانا مزدرعا " (٥).و يذكر الخطيب أيضا" قطيعة اسحق الأزرق الشروي من ثقات المنصور و قال :أنها تتصل بسويقة أبي الورد(٦).

و تذكر المصادر خططا" في الجانب الغربي منسوبة إلى مدن عربية في العراق و هي : واسط ،البصرة ،الكوفة،و الأنبار،فأما "واسط فقد كان لأهلها مكان يمر به نهر كرخايا بعد الدرّابات و قيل أنه يتفرع منه نهر البزازين "(٧) و كان للواسطيين مسجد ،ذكر الخطيب "أنه دفن فيه عبد الله بن صالح البخاري ت ٣٠٥هـ/٩١٧م وهو محدث ثقة "(٨). و" في محلة الواسطيي حدّث احمد بن عبد الرحمن السقطي" ت ٢٩٥هـ/٩٠٨م وهو أحد وحدثي بغداد (٩).أما البصريون فقد ذكر الخطيب " أن لهم بدرب الزعفراني مسجداً كان يسكن حذاءه محمد بن الحسن بن محمد بن سعدون"(١٠) أما الكوفة فإن" لأهلها درباً مسمى بهم على نهر كرخايا "، ذكر الخطيب أن " فيه منزل احمد بن محمد بن الحسن الفقيه ، صاحب أبي ثور ت " ٢٨٥ هـ /٨٩٩ م وهو أحد الفقهاء المشهورين (١١).وذكر اليعقوبي في ذلك "فأول القطائع قطيعة واضح مولى أمير المؤمنين وولده ، ودرب أيوب بن المغيره الفزاري بالكوفة ، والدرب يعرف بدرب الكوفيين "(١٢).

---

(١)اليعقوبي،البلدان،ص٢٤٣-٢٤٧،الخطيب البغدادي،تاريخ،ج١ ص٨٥-٨٩.
(٢) الخطيب ، تاريخ،ج٣ ص١٠٥،ج٤ ص٣٢٥.
(٣)اليعقوبي ،البلدان،ص٢٤٣.
(٤)اليعقوبي ،البلدان ،ص٢٤٥،ص٢٤٧.
(٥)اليعقوبي،البلدان،ص٢٤٣.
(٦)الخطيب ،تاريخ ،ج١،ص٨٧.
(٧)سهراب ،عجائب الأقاليم ،ج١،ص١٣٣،الخطيب ،تاريخ ،ج١،ص١١٣.
(٨) الخطيب ، تاريخ ج١٥ ص٣٥٥ .
(٩)ن.م،ج٤،ص٢٤٤.
(١٠)ن.م، ج٢ ص٢٥٥.
(١١) ن.م ، ج٤ ص٤٢٥.
(١٢)اليعقوبي ، البلدان ،ص ٢.

وخص المنصور الأنباريين برقعة من الأرض" بالقرب من دور الصحابة واقطاعات العباسيين "، وقد ذكر اليعقوبي" إقطاع الإنباريون كتاب الخراج ومسجدهم "(١)، ذكر الخطيب "أن هذا المسجد كان عند بركة زلزال "(٢) ، وقال أن " مسجد الأنباريين ينسب اليهم لكثرة من سكنه منهم ، وأقدم من سكنه منهم زياد القندي"(٣) .

ويذكر ابن الفقيه "درب الدمشقيين وموقعه خارج قطيعة الربيع وبالقرب من دجلة ، وأرضه من ورثالا "(٤).

ويذكر اليعقوبي في كلامه عن الاقطاعات عند باب الأنبار"ربض الخطاب ابن نافع الصحاري "و" قطيعة عوف نزار اليماني ودرب اليمانيه النافذ الى دار سليمان بن مجالد " (٥).

ويذكر الخطيب محلة التستريين ، وقال أنه "كان ينزلها محمد بن احمد الجشمي الذي كان حياً سنة ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م ، وكان دكانه في باب الشعير" (٦).

ويذكر ان محلة التستريين" كانت ببغداد في الجانب الغربي بين دجلة وباب البصرة ، يسكنها أهل تستر وتعمل بها الثياب التسترية"(٧) . وأقام في القسم الأعلى من الكرخ تجار خراسان البرزازون (٨) الذين تكتلوا في السوق الممتدة على جانبي الشارع الموصل من محلة الشرقية بالجانب الغربي ، إلى شارع باب الكرخ (٩)ولم يكن تكتل التجار الخرسانيين مقتصراً على الأسواق التي يبيعون فيها بضائعهم فحسب ، بل في أماكن سكناهم أيضاً (١٠) .

ويذكر اليعقوبي "أنه ليس من أهل بلد إلا ولهم في بغداد محله أو متجر "(١١) .ومن الذين انتقلوا إلى بغداد وعملوا في أسواقها الفرس الذين نبغوا في الصياغة (١٢) ويعود ذلك إلى الموقع الجغرافي الذي تمتعت به مدينة بغداد ،وكونها عاصمة الخلافة العباسية .

ويرى الدكتور صالح العلي أن الدروب المنسوبة إلى المدن العربية لم تكن ضمن تخطيط أبي جعفر المنصور الأول للمدينة ، خاصة وأن جميعها تقع في الجانب الغربي في الأطراف الجنوبية من المدينة المدورة بالقرب من الكرخ والتي عرفت بكثرة من سكنها من التجار والعلماء ، وبدأ اعمارها في أواخر حياة أبي جعفر المنصور ، وإن وقوع هذه الدروب في الكرخ قد يدل على أن أهلها الأوليين كانوا من تجار الكوفة ، ولابد أنهم كانوا من قبائل متعددة في الأصول ، إذ لو كانوا من عشيرة واحدة ،لكان من المحتمل أن تسمى الدروب باسم العشيرة أيضاً (١٣).

---

(١)اليعقوبي،البلدان، ص٢٤٥.
(٢) الخطيب ، تاريخ ،ج٤ ص٣٩٣.
(٣)ن.م ، ج١ ص٨٩.
(٤)ابن الفقيه ، بغداد ،ص ٤٣.
(٥)اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٦.
(٦)الخطيب ، تاريخ ج١ص ٣٢٨.
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ،ج١ ص٨٥٠ ، ابن طيفور ، بغداد ، ج١ ص٢٧٣ .
(٨) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٢٤٥،ص٢٤٦ ، لستر نج ، بغدادص ٧٥.
(٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٥- ٢٤٦.
(١٠) ن.م ، ص٢٤٥- ٢٤٦ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص ٢١٧.
(١١) اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٣٣- ٢٣٤.
(١٢) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٢٤٤ ، ابن الفقيه ، بغداد ،
(١٣) صالح العلي،بغداد،ج١ ص ٧٧-٧٨.

ويشار إلى قطيعة النصارى على نهر طاق (١) ويبدو أن المنصور هو الذي أقطعهم اياها ، ولم يذكر لها رئيس ، ويقول البطريك برهوم أنه كان في قطيعة النصارى دير العذارى (٢)، وربما كان في هذه القطيعة أيضاً دير مديان الذي يذكر الشابشتي أنه كان على نهر كرخايا وأنه "دير حسن النزه حوله بساتين وعمارة ويقصد للتنزه والشرب ، لا يخلو من قاصد وطارق ، وهو من البقاع الحسنة النزهة(٣).إن تسميتها بالقطيعة يدل على قدمها ، و لعلها ترجع الى زمن أبي جعفر الذي وزع القطائع في الجانب الغربي ، ولابد أنها لنصارى قدموا بغداد ولم يكونوا من الفلاحين المقيمين في القرى التي امتدت بغداد على أراضيها ، كما أن وجود الأديرة فيها وعدم ذكر مسلم استوطنها يدل على أن سكانها ظلوا من النصارى (٤).

كان كثير من كتاب الدواوين في بغداد من النصارى ، ويذكر الجاحظ عن النصارى " ومما عظمهم في قلوب العوام وحببهم إلى الطغام أن منهم كتاب السلاطين ، وفراشي الملوك ، وأطباء الأشراف ، والعطارين والصيارفة(٥).

والواقع أن بغداد سرعان ما نمت وخرجت عما رسمه لها المنصور ، فإن أعداداً كبيرة من الصناع و الفعلة الذين جلبهم المنصور للعمل في بنائها ، وهو غرض محدد ومؤقت ،قد استوطنوا واستقروا فيها للإفادة من فرص العمل المتوفرة فيها .

ولابد أنه رافق وجودهم عدد غير قليل من الكسبة والباعة والتجار ، لتزويدهم بما يحتاجونه ، وأدى استمرار البناء وازدياد النمو الى تزايد أعدادهم ، مما قاد إلى تطوير المدينة ، والى انتقال التجار من المدينة المدورة الى الأرياف الجنوبية ، ومع ذلك فقد استمرت الأعداد بالتوافد على المدينة لما تتيحه من فرص في ميادين الحياة الاقتصادية .

وبهذه الهجرات زاد عدد السكان ونمت الأسواق ، ويذكر ابن الفقيه حول هذا الموضوع " فاجتمع لنا في كل منزل ثمانية نفر رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً ، فاجتمع لنا من عدد الجماعة ستة وتسعون ألف ألف إنسان (٦)، وهذا رقم خيالي ،ولكنه يشير الى كثرة الناس .ويذكر الخطيب " كنت اجتاز بالكبش والأسد مع والدي ، فلا أتخلص في أسواقها كثرة الزحمة (٧).

و منذ تأسيس بغداد ، حظي أهل العلم برعاية خاصة فأخذ العلماء ومحبو العلم يتقاطرون إليها من مختلف أرجاء الدولة (٨). ويقدر عدد سكان بغداد في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بحوالي مليون ونصف (٩).

---

(١)ابن الفقيه ، البلدان ،ص ٤٤ ، الخطيب ، تاريخ ،ج١ ص٩١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ص١٤٣.
(٢) تعليق منشور مع كتاب الديارات للشابشتي ،ص ٣٦٣.
(٣) الشابشتي ، الديارات ،ص ٣٣.
(٤) صالح العلي ، بغداد ، ج١ ص٢٢٤-٢٢٥.
(٥) الجاحظ ، الرسائل السياسية ، الرد على النصارى ،ص ١٧.
(٦)ابن الفقيه ، البلدان ،ص ٣٤١.
(٧) الخطيب ، تاريخ ، ج١ص ٩١.
(٨) صالح العلي ، بغداد ، ج١ص ٥-٧ .
(٩) Duri:Art Baghdad E . I .2 P. 45.

ومن المؤكد أنه حصل توسع في مدينة بغداد ، فإن الأدلة من النصوص تشير الى الحاجات التي ولدها التزايد الطبيعي في استيطان هذه المناطق في مدى اثنتي عشرة سنة (١)، فبغداد وهذه حالتها كانت تختلف عن مدن الأمصار ، من حيث أنها لم تنم من الداخل إلى الخارج بل كان نموها الأكبر من الخارج إلى الداخل (٢).

أن أصحاب كل حرفة أو مهنة في بغداد تجمعوا في درب أو محلة عرفت باسمهم ، مثل درب الأقفاص ،ودرب القصارين (٣)، وأصحاب القراطيس ، وشارع الحدادين (٤) ، ودرب الأساكفه ، ودرب الزيت (٥) ، ودرب السقائين ، ومحلة البزازين ، والجزارين ، وأصحاب الصابون ، وأصحاب القصب ، وشارع القبارين وأصحاب الطعام (٦).

ونلاحظ في بغداد محلات متخصصة في صناعة من الصناعات مثل ، محلة التستريين ، في الجانب الغربي من بغداد كان يسكنها أهل تستر وتعمل فيها الثياب التسترية ، ومحلة دار القز ، و فيها صناعة الورق (٧) ، ومحلة العتابية التي تشتهر في صناعة الثياب العتابية (٨).

ولم تكن محال بغداد على مستوى واحد من المعيشة ، إذ كانت بعض المحال يسكنها الجند وكانت هذه المحال قد أعدت لهم منذ تأسيس بغداد خارج الأسوار في شمالها و غربها (٩) ، وهنالك محال وصف ساكنوها بالغنى ، مثل محلة الكرخ وهي محلة التجار في الجانب الغربي من بغداد . وقد ذكر الأزدي مجموعة من المحال المشهورة والغنية ببغداد وهي :

الشماسية ، المأمونية ، الزاهر ، سوق الثلاثاء ، باب الأزج ، الزرارين ، وهذه كلها في الجانب الشرقي من بغداد . والخيمي والرقة ونهر عيسى ودرب عون وقطيعة الربيع والحربية والحريم الطاهري ، وهذه كلها في الجانب الغربي من بغداد (١٠). وذكر بعض محال بغداد الفقيرة مثل قطيعة الكلاب و نهر الدجاج و درب الحمير (١١).

---

(١)الخطيب ، تاريخ ، ج١ ص٧٩ –٨٢ .
(٢) لسنر ، خطط ، ص٢٤٧–٢٤٨.
(٣) اليعقوبي ، البلدان ص٢٤٦.
(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ص٥٤٤.
(٥) ابن الفقيه ، البلدان ص١٧ ، الخطيب ، تاريخ ، ج١ ص٨١.
(٦) ابن الفقيه ، البلدان ،ص ١٧ ، الجهشياري ، الوزراء ص٢٨٩.
(٧)ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ص ٣١ ،ص ٤٢٢.
(٨) والعتابية:سميت بهذا الاسم نسبة الى عتاب حفيد بني أمية وأحد اصحاب الرسول عليه السلام ،ويظهر ان أحفاده سكنوا في هذه المحلة،لسترنج، بغداد في عهد الخلافة العباسية ص١٢٢
(٩) اليعقوبي ، البلدان ،ص١٨ .
(١٠) الأزدي ، حكاية ، ص٢٢–٢٣.
(١١) ن.م ، ص١٠٦ .

ومن المؤكد أنه حصل توسع في مدينة بغداد ، فإن الأدلة من النصوص تشير الى الحاجات التي ولدها التزايد الطبيعي في استيطان هذه المناطق في مدى اثنتي عشرة سنة (١)، فبغداد وهذه حالتها كانت تختلف عن مدن الأمصار ، من حيث أنها لم تنم من الداخل إلى الخارج بل كان نموها الأكبر من الخارج إلى الداخل (٢).

أن أصحاب كل حرفة أو مهنة في بغداد تجمعوا في درب أو محلة عرفت باسمهم ، مثل درب الأقفاص ،ودرب القصارين (٣)، وأصحاب القراطيس ، وشارع الحدادين (٤) ، ودرب الأساكفه ، ودرب الزيت (٥) ، ودرب السقائين ، ومحلة البزازين ، والجزارين ، وأصحاب الصابون ، وأصحاب القصب ، وشارع القبارين وأصحاب الطعام (٦).

ونلاحظ في بغداد محلات متخصصة في صناعة من الصناعات مثل ، محلة التستريين ، في الجانب الغربي من بغداد كان يسكنها أهل تستر وتعمل فيها الثياب التسترية ، ومحلة دار القز ، و فيها صناعة الورق (٧) ، ومحلة العتابية التي تشتهر في صناعة الثياب العتابية (٨).

ولم تكن محال بغداد على مستوى واحد من المعيشة ، إذ كانت بعض المحال يسكنها الجند وكانت هذه المحال قد أعدت لهم منذ تأسيس بغداد خارج الأسوار في شمالها و غربها (٩) ، وهنالك محال وصف ساكنوها بالغنى ، مثل محلة الكرخ وهي محلة التجار في الجانب الغربي من بغداد . وقد ذكر الأزدي مجموعة من المحال المشهورة والغنية ببغداد وهي :

الشماسية ، المأمونية ، الزاهر ، سوق الثلاثاء ، باب الأزج ، الزرارين ، وهذه كلها في الجانب الشرقي من بغداد . والخيمي والرقة ونهر عيسى ودرب عون وقطيعة الربيع والحربية والحريم الطاهري ، وهذه كلها في الجانب الغربي من بغداد (١٠). وذكر بعض محال بغداد الفقيرة مثل قطيعة الكلاب و نهر الدجاج و درب الحمير (١١).

---

(١)الخطيب ، تاريخ ، ج١ ص٧٩ -٨٢ .
(٢) لسنر ، خطط ، ص٢٤٧-٢٤٨.
(٣) اليعقوبي ، البلدان ص٢٤٦.
(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ص٥٤٤.
(٥) ابن الفقيه ، البلدان ص١٧ ، الخطيب ، تاريخ ، ج١ ص٨١.
(٦) ابن الفقيه ، البلدان ،ص ١٧ ، الجهشياري ، الوزراء ص٢٨٩.
(٧)ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ص ٣١ ،ص ٤٢٢.
(٨) والعتابية:سميت بهذا الاسم نسبة الى عتاب حفيد بني أمية وأحد اصحاب الرسول عليه السلام ،ويظهر ان أحفاده سكنوا في هذه المحلة،لسترنج، بغداد في عهد الخلافة العباسية ص١٢٢
(٩) اليعقوبي ، البلدان ،ص١٨ .
(١٠) الأزدي ، حكاية ، ص٢٢-٢٣.
(١١) ن.م ، ص١٠٦ .

العناصر البشرية

لقد شهد العصر العباسي تحولاً سكانياً نحو الاستقرار في المدن ، وكانت بغداد مركز جذب ،إذ أقبل السكان عليها منذ نشأتها ، فضمت جماعات متعددة ومتنوعة وشعوبا" مختلفة الأصل واللغة والأخلاق حتى عبر اليعقوبي عن ذلك فقال :
" فليس من أهل بلد إلا ولهم فيها محلة ومتجر " (١) .

فمنذ أن عزم المنصور على بناء بغداد ، أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمسافة وقسمة الأرضين ، ثم أحضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم . وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئاً من أمر البناء (٢) . فحضر مائة ألف من أصحاب المهن والصناعات وأتوها من كل أفق وتفرغوا إليها من الأداني والأقاصي (٣) ، من الشام والموصل والكوفة و واسط والبصرة (٤) ، ولابد أن هؤلاء الصناع والفعلة أو أكثرهم استقروا مع أهليهم في بغداد حيث يتوفر مجال العمل والرزق . ومن المحتمل أنهم توزعوا في سكناهم زمرا على مناطق متعددة ،وخاصة في أطراف المناطق المعمرة من بغداد، ولعل بعضهم استفاد من أبنية القرى المنبثة في االمنطقة (٥).

ومن الذين انتقلوا إلى بغداد وعملوا في أسواقها، الفرس (٦)،الذين نبغوا في الصياغة ، وكان الفرس يعدون من أمهر التجار العاملين في أسواق بغداد،وأقام في القسم الأعلى من الكرخ تجار خرا سان البزازون (٧) ، وهؤلاء تكتلوا في أماكن بيع بضائعهم وأماكن سكناهم أيضاً(٨).

ويبدو أن منطقة الحربية كانت مركز التجار الأعاجم ، وبخاصة في سوق باب الشام الذي ضم تجار أهل بلخ (٩)،وأهل مرو(١٠)، والختل(١١)،وأهل بخارى(١٢)،وأهل خوارزم (١٣) . وأهل كابل شاه (١٤) ، وكان لكل أهل بلد قائد ورئيس (١٥) .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٢)ن . م ، ص٢٣٩ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج١ ص٦٧ .
(٣) اليعقوبي، البلدان ، ص٢٣٨- ٢٥١ .
(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٣ص ٢٧٦ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ص١٢١ .
(٥) صالح العلي ، بغداد ، ج١ ص٢٣٥ - ٢٣٦.
(٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص٤٤،ابن الفقيه، بغداد ص٤٨، المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ١٢٦ .
(٧) اليعقوبي ، البلدان ص٢٤٥ -٢٤٦ ، لسترنج ،ص بغداد ٧٥ .
(٨) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٢٤٥ -٢٤٦ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص٢١٧ .
(٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ص٢٦٣ .
(١٠) المصدر نفسه ، ج٨ ص٢٣ - ٣٨ .
(١١) المصدر نفسه، ج٣ ص٤٠١ .
(١٢) المصدر نفسه ، ج٢ ص٨١ - ٨٦ .
(١٣) المصدر نفسه ، ج٣ ص٢٧٤- ٢٧٨ .
(١٤) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ص٤٦٩ .
(١٥) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٢٤٨ ، ابن الفقيه ، بغداد ،ص ٤٤-٤٨ .

كانت غالبية السكان من العرب وبعدهم الموالي ، وكانت المصلحة المشتركة واللغة العربية والإيمان بالإسلام عوامل تجمع بين سكان بغداد (١) ، وقد تعددت الأصول التي ينتمي إليها الموالي ، فمنهم عجم من أهل خراسان ومنهم الأتراك (٢) .
وقد اعتبر الأبناء (ابناء الدعوة ،الذين حاربوا لأجل الدعوة العباسية وجاءوا معها من خراسان الى بغداد). أنفسهم أعرق من العرب والموالي ، اعتبروا أنفسهم قوام السلطة القائمة في بغداد (٣) باعتبار أن أصلهم خراسان وهي منبع الدعوة العباسية ، وفرعهم بغداد وهي مستقر الخلافة .

أما الموالي فأول من اتخذهم من الخلفاء : المنصور، فقد اتخذ خماراً ، ثم اتخذ المهدي مباركاً ، ثم اقتدى بهم الخلفاء وسائر الناس (٤) ، وقد استرعى الموالي الترك لأول مرة اهتمام العرب بسبب مزاياهم العسكرية ومالهم من السجايا الحربية ، مما دفع الجاحظ إلى كتابة رسالة في مناقب الترك (٥). وبسبب مزايا الترك العسكرية شكل المعتصم(٢١٨ – ٢٢٧ هـ/ ٨٣٣ – ٨٤٢ م) فرقة بعضها من البربر وغالبيتها من الأتراك . وقد أقبل هؤلاء الأتراك من بلاد ما وراء النهر ،عن طريق النخاسة (٦)وكان بعض الولاة يرسلون الرقيق ضمن الواردات،فمثلا "كان عبد الله بن طاهر أمير خراسان(٢١٣-٢٢٩هـ/ ٨٢٨-٨٤٤م) يرسل ألفين من الأتراك الغزّية سنويا "من السبي (٧)، وبمجيء الترك إلى العاصمة كحرس للخليفة ، أثاروا سخط السكان ، حيث كانوا عجماً جفاة يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها ، فيصدمون الرجل والمرأة ويطئون الصبي ، فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم مما آذى العامة فطلب سكان بغداد من المعتصم أن يبعدهم عنهم ، فانتقل إلى سامراء (سرّ من رأى) وقام بنقل العاصمة إليها (٨).

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج١ ص٣٩ .
(٢) الجاحظ،الرسائل السياسية ،ص ٤٩٠،البيان والبنين ،ج١ص٣٩ ،ابن طيفور،بغداد ص٨٠ .
(٣) الجاحظ،الرسائل السياسية ،ص ٤٥ –٤٩ ، ابن طيفور ، بغداد ص ٨٠ .
(٤) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص٢٠ .
(٥) الجاحظ ، الرسائل السياسية ،ص ٣٧ .
(٦)بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٠٨ – ٢٠٩ .
(٧)ابن خرذذابة،المسالك،ص٣٩.
(٨) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ص٢١٣ ،المسعودي ، مروج الذهب ،ج٤ ص٥٣ .

و يرى جان موريس فييه أن نقل العاصمة من بغداد إلى سامراء من الوجهة السياسية ، يعني تفضيل العنصر التركي على غيرهم في الجيش، وقد عجل هذا في المدى البعيد في انحطاط دولة بني العباس (١) ، وقد يصح ذلك التفضيل في الجيش و لكنه لا يعني تفضيل الأتراك على العرب. رغم وصول القواد الأتراك ، إلى غاية من النفوذ بحيث يولون ويعزلون الخلفاء وتمتعهم بسلطان عظيم في التصرف في الأموال العامة ، واستيلائهم على المملكة وذلك بعد مقتل المتوكل(٢٤٧هـ/٨١٦م)(٢) .
وفي عهد المعتصم وما بعده غلب العنصر التركي على العناصر الأخرى في الجيش , وفي ذلك يقول ابن لنكك البصري :

مضى الأمراء وانقرضوا وبادوا	وخلفني الزمان على علوج
وقالوا قد لزمت البيت جدا	فقلت لفقد فائدة الخروج
لمن ألقى إذا أبصرت فيهم	قروداً راكبين على السروج
زمان عز فيه الجود حتى	تعالى الجود في أعلى البروج(٣)

وعلى الرغم من المكانة التي وصل إليها الأتراك في الدولة , إلا أن نظرة الناس للأتراك لم تكن نظرة إيجابية , كتبت عريب المغنية الى محمد بن ذي السيفين: يا غبي ظننت أني من الأتراك ووحش الجند(٤) وفي المأثور تاركو الترك ما تركوكم. وهذه وصيّة لجميع العرب.
والعرب اذا ضربت المثل في العداوة الشديدة قالوا: ما هم إلا الترك والديلم قال ابن عقيل بن علقة:
تبدلت منه بعدما شاب مفرقي عداوة تركي وبغض أبي مسبل (٥).
وقال علي بن يحيى المنجم نديم المتوكل :
"مالي أراك ذا رأي أغرب من السنة بالكوفة , ومن الوفاء بالترك"(٦).

---

(١) عائدة مازح ، جان موريس فييه ، أحوال النصارى ص٢٢٣ .
(٢) الجاحظ ، البيان والبنين ، ج٣ ص٣٠٦ ، الصابي ، الوزراء ،ص ١١ وما بعدها ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص١٨١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ص٢١٢ .
(٣)الثعالبي , يتيمة الدهر, ج٢ ص١١٨
(٤)الأصفهاني, الأغاني, ج٢١ ص٥٣.
(٥)الجاحظ, الرسائل الأدبية ,ص ٥١٢ ,ص ٥١٣.
(٦)الثعالبي , خاص الخاص.ص ٦٧.

ومن العناصر التي اقطعت في بغداد خارج المدينة المدورة وشاركت في الجيش العباسي الأفارقة(١) ولم تذكر المصادر زمن قدومهم وانضمامهم للجيش , ومن أي بلد من أفريقيا كان أصلهم .(٢) ويتردد ذكر الأفارقة في مجموعة من الأحداث التي جرت في الدولة العباسيّة، فعندما كان طاهر بن الحسين يحاصر بغداد " خرج الهرش و الأفارقة ،فكان طاهر يقاتلهم و لا يفتر عن ذلك" ، ولما ثار إبراهيم بن المهدي في بغداد وبويع بالخلافة عندما كان المأمون في مرو ،أيده في ثورته محمد بن ابراهيم الإفريقي ، وسعى مع عدد من القوّاد في أخذ البيعة له،ووعده أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة، فلما عاد المأمون الى بغداد قضى على ثورة ابراهيم بن المهدي ثم قتل المؤيدين لإبراهيم ، ومنهم محمد بن ابراهيم الإفريقي(٣)

ومن الشعوب التي ضمتها بغداد الزنج(٤) وكانوا يجلبون للخدمة أو للعمل في المزارع والمعامل .(٥)وقد كانت النظرة للزنج نظرة دونيّة (٦)، وبالرغم من التغيرات التي حدثت في المجتمع وأدت الى ضعف مقاييس النسب الإجتماعية إلا أنه ما زالت النظرة الإجتماعية للعرب أفضل من العناصر الأخرى, وظلت اللغة العربية هي الأساس الذي يتحدث به العرب وسواهم مع بقاء مخارج الكلام غير سليمة عند غير العرب , حيث يعرف الخرساني , والنبطي من خلال مخارج حروف العربية(٧) .

---

(١)اليعقوبي , البلدان,ص ٢٤٩.
(٢)الطبري, تاريخ, ج٣ ص٣٠٥ * يصعب تحديد افريقيا فقد يشمل بلاد المغرب كلها، ولكن لفظ افريقيا يطلق في الغالب على القيروان،او المهدية او تونس،او على بلاد الأغالبة (G. YVER .E.1.2 Ifriqiya vo2.P.453.) وكان أبو جعفر قد أرسل في أوائل سنين توليه الخلافة قوات كبيرة للسيطرة عليها. فلا بدّ أن يكون هؤلاء الأفارقة من تلك البلاد, وأنهم ليسو من لسودان كما أشار الطبري . صالح العلي بغداد ص١٢٠ .

(٣)الطبري, تاريخ ج٣ ص٨٧٣ ص٩٠٦ص٨٨٢,ص٥٦,ص ٦٤٩, ص٩١٢, ص٩٥٦, ص١٠٠٥, ص١٠١٨,ص ١٠٧٥.
(٤)التوحيدي , البصائر والذخائر , ج٦ ص١٧٢-١٧٣ ،الزنج : هم العبيد السود وكانوا يجلبون من النوبة،والحبشة،والصومال ، الجاحظ،الرسائل،١٢٦،المقدسي، أحسن،ص ٢٤٢.
(٥)الطبري , تاريخ , ج٣ ص١٧٤٢.
(٦)التوحيدي , البصائر والذخائر،ج٦ ص١٧٢-١٧٣.
(٧)الجاحظ , البيان والتبيين , ج١ ص٣٩ .

الفئات الإجماعية:

من أهم التغيرات التي حدثت في المجال الإجتماعي الاقتصادي في بغداد،ضعف معيار النسب في المنزلة الإجتماعية , بسبب التطور الاقتصادي والتباين في توزيع الثروات بين أفراد المجتمع (١) ،مما أدى إلى قيام فئة واسعة من الحرفيين والعمال والتجار وهذا ساعد على تراجع معايير النسب الإجتماعية, ومنذ القرن الثالث أصبح الناس يتعارفون بمهنتهم فيقال: الرفاء, والكاتب , وتعارفوا بأصولهم فيقال: البغدادي أو البصري (٢). وقد ترجم الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد لشخصيات بلغ عددها ٧٨٣١ شخصيّة الأكثرية فيها كان يلحق باسمه مهنته , ومهنة أبيه أو بلده(٣) . وهذا يدل على أن الاشتغال بالمهن لم يعد محتقرا" لدى الأدباء والفقهاء ،وأن روح التكتل أصبحت قوية بين أصحاب المهنة الواحدة(٤).
وإذا أردنا تقسيم المجتمع البغدادي الى فئات اجتماعية . لا بدّ أن نستند إلى الأسس التي أحدثتها التطورات الاقتصادية في هذه الفترة وأهمها مستوى الدخل(الثروة) ،وبذلك يمكن تقسيم المجتمع الى ثلاث فئات اجتماعية:

١- الخاصة

وهم أصحاب السلطة والنفوذ وعلى رأسها الخليفة وعائلته وأقرباؤه ويدخل فيها كبار الموظفين كالوزراء ورؤساء الكتاب والقوّاد والأشراف (٥).

٢- الفئة المتوسطة

وتشمل كبار التجار والعلماء.

٣- العامة

وتشمل أهل الحرف والصنّاع والباعة المتجولين والمكدين (٦).
ولم تكن الخطوط التي تفصل بين هذه الفئات واضحة تماما ولا جامدة , كما أنها لا تنطبق تماما على المقاييس الإجتماعية الموروثة التي كانت تهتم بالنسب بصورة أكيدة (٧)
وهذا ما يمكن أن يتبين من خلال دراسة كل فئة من هذه الفئات .

---

(١)حمدان الكبيسي , الأسواق, ص١٠-١١.
(٢)فهمي عبد الرزاق , العامة في بغداد,ص ٥٧.
(٣)الخطيب البغدادي , بغداد, الهامش مصطفى عبد القادر عطا، ص ص٥٧.
(٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي،ص١٠٥.
(٥)الأصبهاني , جريدة القصر وجريدة العصر, ص٣٥,أبن الجوزي , المنتظم , ج٧ ص ٢٤٦-٢٧٦ , أبن الأثير , الكامل في التاريخ , ج١٥ ص٥٨.
(٦)قدامة بن جعفر , نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة , ص٤١،الجاحظ , البيان والتبيين، ج١ ص١٣٧١ , رسالة في وصف العوام ص ١٧٥ , أبن الجوزي , المنتظم ج٩ ص ٢١٠ , ابن منظور ، لسان العرب ج٧ ص ٣١٧.
(٧) الدوري , تاريخ العراق الاقتصادي ,ص ٢٢٥-٢٢٦.

الخاصة:

والمقصود بالخاصة , أهل الخليفة من ذوي قرباه (١) وأهل الخليفة هم بنو هاشم وكانوا أرفع الناس قدرا" بعده ويسمونهم الأشراف وأبناء الملوك(٢) وكانت مكانتهم عالية بسبب قرابتهم من الرسول عليه السلام، وكانوا يأخذون راتبا" من الخليفة بسبب ذلك(٣) .

ومن الخاصة رجال الدولة البارزون كالوزراء والكتاب والقواد(٤) والقضاةوالشهود(٥)، وقد وجد نظام الشهود منذ عهد الخليفة المنصور ،وقد سماهم المسعودي بالعدول (٦) يختارهم القاضي ويعدلهم بنفسه ،لذلك كانوا يعزلون بعزله أو موته(٧)،وكان الرسم أن يجلس مع القاضي عند نظره في القضايا أربعة شهود ، اثنان يجلسان عن يمينه واثنان عن يساره(٨) .

ولما بنيت دار الخلافة ببغداد(١٤٦هـ/٧٦٣م), جعلوا للخاصة بابا خاصا بهم يدخلون منه سموه باب الخاصة(٩)وجعلوا في هذه الدار مطابخ الخاصة(١٠)وإسطبلات الخاصة (١١) .

---

(١)الصولي, أخبار الراضي,ص١٨٧, أبن الأثير , الكامل في التاريخ , ج٩ ص١٩١ .
(٢)المسعودي،مروج،ج٢ ص١٧٧,
(٣)الجاحظ،الرسائل،ص٧.
(٤) اليعقوبي , تاريخ , ج٢ ص٤٣٣-٤٦٥, الطبري , تاريخ ,ج٥ ص ٣٤٨, أبن أعثم الكوفي , الفتوح ,ج٨ ص ٤١٨, الأصبهاني,خريدة القصر وجريدة العصر : حاشية ص ٣٥١, أبن الجوزي , المنتظم, ج٧ ص٢٤٠ص٢٧٦ , ج٨ ص
ص١٩٠,ص١٩٢,ص٢٢٢,ص٢٣٦,ص٢٤٠,ص٢٩٢,ص٢٩٥,ص٣٠٥,ص٣٠٧, أبن الأثير , الكامل , ج١٥ ص٥٨
(٥)الصابي , رسوم دار الخلافة ,ص٢١ ,التنوخي،نشوار ,ج١ ,ص ٢٥٨, أبن سيدة , المخصص, ج٣ ص١٣٤.
(٦)المسعودي،مروج،ج٨ ص٣٧٨.
(٧)الماوردي،الأحكام السلطانية،ص١٢٨.
(٨)المصدر نفسه،ص٥٥٢،ص٥٦٠،ص٥٦٩،ص٥٩٠.
(٩)الصابي, رسوم , ص٧٦ص٨٥.
(١٠) المصدر نفسه، ص٢٢.
(١١)الصابي , الوزراء ,ص ٢٢.

وكان نفوذ الخاصة وسطوتهم يختلف باختلاف الخلفاء , واختلاف الظروف المحيطة بهم،(١) وكانوا يشكلون مصدرا لدعم الخلافة باعتبارهم من القوى المؤيدة للخلفاء العباسيين وقد وردت الإشارة إلى هذه القوى من قبل الخلفاء في عدد من الخطب والأقوال التي نقل الطبري عددا منها. فيروي أنه "عندما تتابعت الأحداث بعد ثورة محمد النفس الزكية على أبي جعفر المنصور وأمر هذا بإحضار القواد والصحابة وأهل بيته"(٢) وعندما أختار المنصور أبنه المهدي لولاية العهد , كان ممن بايعه " من حضر من أصحابه ووجوه القواد وشيعته " (٣). وعندما توفي المنصور كتب الفضل بن الربيع على لسانه " إلى من خلف بعده, ومن بني هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين " ، وكتب المهدي لولي عهد المسلمين موسى بن المهدي ولأهل بيته وجميع قواده من أهل خراسان وعامة المسلمين . وشهد بإقرار تنازل عيسى بن موسى سنة ١٦٠هـ/٧٧٧ م "أربعمائة وثلاثون من بني هاشم والموالي والصحابة " وعندما جددت البيعة للمهدي سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٧ م قرىء كتاب تجديد البيعة" على بيت المنصور والقواد والموالي " وفي وقعة فخ ١٦٩هـ/ ٧٨٦ م انضم الى محمد ابن ابي سليمان" من وافى في تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليه وقواده" وعندما توفي هارون الرشيد ١٩٣هـ/٨٠٩م بايع الأمين "أهل بيته وخاصته ومواليه وقواده "(٤) وكتب الأمين لأخيه صالح الذي كان على الثغور "وخذ البيعة ممن قبلك من ولد أمير المؤمنين .وأهل بيته ومواليه , وخاصته, وعامته" (٥) .

نتبين من النصوص السابقة أن الخلفاء العباسيين ابتداء من المنصور إلى نهاية خلافة المأمون كانوا يستندون إلى البيت العباسي و الى الموالي والصحابة والأنصار والقواد .
فقد أعتمد الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح على أبناء البيت العباسي من أخوته وعمومته , فقربهم وولاهم معظم الولايات وقيادات الجيوش.(٦)
وتابع الخلفاء العباسيون الذين تلوه سياسته في الاعتماد على رجال الأسرة العباسية. ثم قل استخدام العباسيين في الولايات والوظائف , ما عدا ولاية الصلاة والإمامة في جامع المنصور والرصافة , حيث كانت إمامة الصلاة فيهما من العباسيين. ولا ريب في أن لإمامة الصلاة أهمية معنوية , وكانت ولاية الحج مقصورة عليهم حتى القرن ٤ هـ /١٠م .(٧)ثم آلت الى العلويين (٨).

---

(١) زيدان , تاريخ التمدن الإسلامي , ج٥ ص ٢٧.

(٢) الطبري, تاريخ,ج٣ ص ٤٧٣.

(٣) ن.م .ج٣ ص ٤٧٣.

(٤) ن.م,ج٣ ص ٤٥٤ ,ص٤٧٥ ,ص٤٧٧ ,ص٤٨٨ ,ص٥٥٧ ,ص٧٦٧,

(٥)ن.م , ج٣ ص٧٦٨.

(٦)خليفة بن خياط, تاريخ , ص٤٣٧-٤٤٠, اليعقوبي , تاريخ, ج٣, ص٣٨, المصدر السابق ص ٧١-٧٣.

(٧) قدامه بن جعفر،الخراج،ص١٤،المسعودي، مروج، ج٩ ص٦٩.

(٨)ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص١٢٩،ابن الأثير،الكامل، ج٩ ص٥٤.

وكان أهل البيت العباسي , يذكرون في الكتب العامة والمناسبات المهمة ويقدمون على غيرهم .
وقد أولى أبو جعفر الأسرة العباسية عناية فائقة وكتب الى أبنه المهدي" أوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الإحسان إليهم , وتعظم أمرهم, وتوطئ الناس أعقابهم , وتوليهم المنابر فأن عزك عزهم , وذكرهم لك"(١) .
وأراد المأمون أن ينحي إبراهيم بن المهدي من مرتبة بني هاشم فقال له علي بن صالح صاحب المصلى" ليس لك أن تعدل عن فعل آبائك. غضب المنصور على فلان فلم ينزله عن مرتبة أهل بيته , وغضب المهدي على عبد الصمد بن علي فلم ينزله عن ذلك, وليس لك إلا ما فعلوه , فقال: صدقت ليس لي إلا ما فعلوه , فقال: وأمر فأجلس مع بني العباس"(٢).
ويروي الهيثم بن عدي " فرق أبو جعفر في جماعة من أهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف (ألف) درهم, وأمر للرجال من أعمامه بألف ألف , ولا يعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحدا من الناس . وقال العباس بن الفضل : أمر المنصور لعمومته سليمان و عيسى وصالح وإسماعيل بني علي بن عبد الله بن عباس لكل رجل منهم بألف ألف معونة من بيت المال , وكان أول خليفة أعطى ألف ألف من بيت المال , فكانت تجري في الدواوين "(٣).
ولما عاد المهدي من خراسان سنة ١٥١هـ /٧٦٨م وفد الى لقائه عامة أهل بيته " فأجازهم وكساهم وحملهم , وفعل مثل ذلك بهم المنصور وجعل لأبنه المهدي صحابة منهم , وأجرى لكل رجل منهم خمسمائة درهم "(٤).
ويذكر الطبري أنه في سنة ٢٠٠هـ /٨١٦م " أحصي في هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألف ما بين ذكر وأنثى).(٥) وهذا الرقم الكبير أما أن يكون خطأ , أو أنه أدخل فيه موالي العباسيين "(٦).
ونلاحظ أن قصورا وأماكن سميت بأسماء عدد من النساء العباسيات , وخاصة بنات المهدي وزوجاته (٧).
يلاحظ أن استخدام العباسين في الولايات والوظائف قل بعد خلافة المأمون .مما يدل على تبدل القوى التي أصبح يستند اليها الخلفاء العباسيون في توطيد دعائم خلافتهم. وبدأ الاعتماد على عناصر أخرى الى جانب العرب.

---

(١) الطبري, تاريخ, ج٣ ص٣٦٥،ص٤٢١،ص٥٢٣،ج٤ ص٥٣٠.
(٢)الطبري, تاريخ, ج٣ ص ٤٧٧,ص٤٨٨,ص ٦٧١,ص٧٦٨,ص١٠٣٧,ص١٠٣٠ص٤٤٥.
(٣)الطبري،تاريخ،ج٣ ص٤٢١.
(٤)أبن طيفور, تاريخ بغداد, ص١١٠.
(٥)الطبري , تاريخ , ج٣ ص٣٦٥, ص٤٢١,ص ٥٢٣, ج٤ ص٥٣٠. ج٣ ص ١٠٠٠.
(٦)صالح العلي , بغداد , ج١ ص ٤٣.
(٧)الطبري،تاريخ,ج٣ ص١٦٣٤,ص١٤٩٧١,ص١٦٢٤,الصابي,الوزراء,ص٢٤,الخطيب البغدادي،تاريخ،ج١ ص ٨٩.

اختار العباسيون الأوائل رجالا قربوهم اليهم, وسمت المصادر هؤلاء المقربين (الصحابة) وحدث هذا الاختيار منذ زمن الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح , فقد ذكر المسعودي أن أبا جعده بن هبيرة المخزومي وكان أحد وزراء مروان آخر الخلفاء الأمويين , لما ظهر أمرأبي العباس انضاف الى جملته وصار في عداد أصحابه وخواصه الذين اتخذهم. وذكر ايضا من أصحاب أبي العباس سليمان أبن أبي خالد وإبراهيم بن مخزومة الكندي , وخالد بن صفوان (١) . وذكر البلاذري أن إبراهيم بن جبله بن مخرمة الكندي كان من صحابة أبي العباس وسماره وأنه أختاره حسن العلم والحديث.(٢)

تكثر الإشارات في الأخبار المتعلقة بأبي جعفر المنصور والمهدي الى الصحابة كجماعة متميزة من المتصلين بالخليفة والمقربين إليه.(٣)
وعندما طغت مكانة الموالي عند المهدي وصاروا يشنعون على وزيره أبي عبيد الله , أختار هذا أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الأدب والعلم فضمهم إلى المهدي ,فكانوا في صحابته , فلم يكونوا يدعون الموالي يختلون به).(٤)

وفي النصوص التي يوردها الطبري يلاحظ أن الصحابة في أحدها وضعوا بعد القواد وقبل أهل بيت الخليفة ، ووضعوا في نص آخر بعد بني هاشم والموالي وقبل الوزراء والكتاب , وفي نص آخر وضعوا قبل الموالي ، وكل هذا يظهر مكانتهم المتميزة , كما أن أحد النصوص يشير إلى تميزهم عن الموالي ومنافستهم لهم (٥)
ويظهر نص أورده البلاذري أن الصحابة كانوا يدخلون قصر الخليفة بحرية , فروي عن سلام بن الأبرش أن المنصور " أرق ذات ليلة فقال للربيع أنظر من في الدار من الصحابة . فأدخله إلا أن يكون عبد الله بن عياش " (٦).

وذكر اليعقوبي أن الصحابة كانوا من سائر قبائل العرب : من قريش والأنصار وربيعه ويمن (٧) ويذكر الطبري أن عدد الصحابة في زمن أبي جعفر المنصور بلغ سبعمائة رجل , وجعل المنصور للمهدي صحابة خاصة من أهل بيته. ففي سنة ١٥١هـ /٧٦٨م " قدم على المنصور أبنه المهدي من خراسان , فوفد أليه للقائه وتهنئته عامة أهل بيته من كان منهم بالشام والكوفة والبصرة وغيرها , فأجازهم وكساهم وحملهم , وفعل مثل ذلك بهم المنصور ، وجعل لأبنه المهدي صحابة منهم, وأجرى لكل رجل منهم خمسمائة درهم "(٨).
أن هؤلاء الصحابة كونوا جزء" من (الخاصة) .

---

(١)المسعودي, مروج ,ج٣ ص ٢٧٢ ,ص٢٧٨,ص٢٨٥.
(٢) البلاذري, أنساب , ج٣ ص١٦٠.
(٣) الطبري, تاريخ, ج٣ ص٤٣٠,ص ٤٧٧.
(٤) المصدر نفسه, ج٣ ص ٤٨٨.
(٥)الطبري , تاريخ ,ج٣ ص ٤٣٠,ص٤٧٧,ص ٧٧٠,ص٤٨٨.
(٦)البلاذري, أنساب الأشراف , ج٣ ص ٢١٠.
(٧) اليعقوبي , البلدان, ص٢٤١.
(٨) تاريخ الطبري, ج٣ ص٣٩٥,ص٣٦٥.

ويظهر اهتمام الخلفاء العباسيين بالأنصار من خلال توزيعهم على دروب ومحال بغداد وتسميتها بأسمائهم ،فقد ذكر الخطيب " درب الأنصار وممن نزله موسى بن محمد الأوسي"،كما ذكر"محلة الأنصار وكان ينزلها ابو البسر الأنصاري"،وذكر" قنطرة الأنصار وكان يسكن عندها محمد الظفري " و كان لهم مسجدا " من أئمته عصمة بن محمد بن فضالة" ،كما كان لهم " مقبرة وممن دفن فيها جعفر بن عيسى الحسني " (١).

وقد كثر استعمال " الخاصة" و اختفى استعمال " الصحابة" بعد المهدي ،فقد ذكر الطبري ان الخليفة المهدي ذهب سنة ١٦٠ هـ /٧٧٧م . الى الحجاز " و أمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرسا" له بالعراق و أنصارا" ، و أجرى عليهم أرزاقا سوى أعطياتهم وأقطعهم عند قدومهم معه قطيعة تعرف بهم (٢). ولما دخل المأمون مدينة السلام تلقته الأنصار (٣) وقد كان لهم تنظيم يخصهم حيث كان لهم نقباء ذكر منهم محمد بن إسحاق بن ابراهيم (٤).

وقد كانت الخاصة على مستويات فلم يكن جميع أفرادها بنفس المستوى. يقول الجاحظ " كما أن الخاصة تتفاضل في الطبقات أيضا "(٥).

ومن الخاصة الذي يكثر ذكر هم في المصادر الموالي. لقد كان الموالي في صدر الإسلام صنفين رئيسين هما :

موالي العتاقة وموالي الإسلام .

فأما موالي العتاقة فهم الأرقاء المعتقون , وأما موالي الإسلام فهم الأحرار الذين يعتنقون الإسلام ويرتبطون بعربي أو عشيرة عربية يوالونها , فان لم يوالوا عشيرة يكون ولاؤهم للسلطان , والفرق بين الصنفين هو أن موالي الإسلام لهم ترك الولاء متى شاءوا , وأما موالي العتاقه فليس لهم ذلك . وفي كلا الصنفين يرتبط المولى بالعشيرة ويحمل أسمها عادة مع كلمة مولى تمييزا عن الصليبية ، وكان هذا النظام سائدا في الأمصار الإسلامية حيث كانت للعشائر مكانة مثبتة . ومع أن قوة الولاء ضعفت بنمو الحياة الحضرية إلا أنها لم تزل تماما . غير أن هذا الولاء لم يكن واسعا في بغداد التي لم يكن تنظيمها قائما على أسس قبلية , وكانت سلطة الدولة قوية , فلم يكن الموالي حريصين على الارتباط بالقبيلة التي لم يعد لها كيان متميز(٦).

وقد اعتمدت الأسرة العباسية على الموالي (٧) ومنهم أتباع الدعوة(٨). حيث أن الدعوة العباسية انتشرت بين الموالي والعرب في العراق وخرسان , إذ أسرعوا فانضموا إليها رغبة في المساواة والمشاركة الإجتماعية الاقتصادية,كما انضم بعضهم لتحقيق آراء كانوا يدينون بها(٩) .

---

(١)الخطيب البغدادي, تاريخ, ج٣ ص٢٠, ج٦ ص١٢, ج٣ ص ٩٢, ج١٢ ص٢٨٦, ج٧ ص١٦٢.

(٢) الطبري, تاريخ,ج٣ ص ٤٧٣, ص٥٦٧, ص٧٦٨, ص٧٦٧.

(٣)الطبري, المصدر نفسه,ص ٤٨٤, الخطيب , تاريخ ,ج١ ص ٨٨-٨٩.

(٤) أبن طيفور, بغداد, ص١٢.

(٥)الجاحظ, البيان والتبيين , ج١ ص ٧٦.

(٦)صالح العلي , بغداد , ج١ ص٤٦-٤٦.

(٧)دومنيك سورديل , الحضارة الإسلامية,ص ٤٩.

(٨)الدوري،مقدمة في التاريخ الاقتصادي،ص٥٧.

(٩) الدوري , العصر العباسي الأول, ص١٠-١١.

أما في بغداد فقد ذكر ثلاثة أصناف من الموالي:
١-موالي مرتبطون بالخليفة :
٢- ذكر الطبري بعض موالي الخلفاء فكان من موالي ابي جعفر المنصور واضح وسويد والريان وادريس الشماخ اليمامي والعباس ابن الليث (١)،وذكر اليعقوبي من موالي ابي جعفر المنصور عمارة ابن حمزة،ومرزوق الخطيب،وواضح،ومنارة،والعلاء، ورزين،وغزوان،وعطية ،وصاعد والربيع(٢).
٣-موالي مرتبطون بالدولة:
فقد ذكر الطبري ان الفضل بن يحيى اتخذ بخراسان جندا من العجم سماهم العباسية وجعل ولاءهم لهم.وان عدتهم بلغت خمسمائة الف رجل،وانه قدم منهم بغداد عشرون الف رجل فسموا ببغداد الكرنبية،وخلف الباقي منهم بخراسان على اسمائهم ودفاترهم(٣).وقد يكون عددهم مبالغا فيه الا انه يدل على وجود صنف من الموالي مرتبطين بالدولة(٤).
٤-موالي مرتبطون بأفراد معينين:
فيروى ياقوت أن عيسى بن علي كان له في قصره "من حرم امير المؤمنين ومواليه أربعة آلاف نفس"(٥) .ويذكر الطبري انه في سنة ١٣٤هـ " ذكر أن خازم بن خزيمه شخص في السبعمائة الذين حملهم اليه ابو العباس،وانتخب من اهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال اهل مرو الروذ من قد عرفهم ووثق بهم " ، ولما توفي موسى الهادي تقدم خزيمه بن خازم " فأخذ جعفرا من حراسه،وكان خزيمه في خمسة آلاف من مواليه"، كما أن العباس بن عبد الله بن جعفر بن ابي جعفر هرب له خادم ولجأ الى الأمين وحاول اثارة العباس ،فحصلت فتنة ،وارسل الأمين الى داره جماعة وقفوا حيالهم " وصف العباس غلمانه و مواليه على سور داره ومعهم الترسة والسهام " (٦).
وكان الموالي في المجتمع في بغداد من الفئة الخاصة العليا المرتبطة بالخلافة . ترد إشارات لأقطاعات الموالي الذين نزلوا بغداد وأسماء السكك والقطائع التي تدل على أسماء موالي أبي جعفر الذين أستخدمهم في أدارته أو في قصره (٧). وقد ذكر الموالي في بعض النصوص مع بني العباس , وفي بعضها مع الخاصة وفي بعضها مع القواد (٨) . ووضع الموالي في عدد من النصوص بعد البيت العباسي وقبل القواد (٩) غير أنهم وضعوا في نصوص أخرى بعد القواد(١٠) وذكر الجاحظ أن الموالى كانوا أحد الأقسام الخمسة من جند الخلافة العباسية(١١).

---

(١)الطبري ،تاريخ،ج٣ ص ٤٠٦،٤٤١،٥٦٢،٨٠٢.
(٢)اليعقوبي،تاريخ،ج٣ص ١١٨.
(٣)الطبري ،تاريخ،ج٣ص ٦٣٢.
(٤)صالح العلي،بغداد،ص ٦٦.
(٥)ياقوت،البلدان،ج٤ ص ١١٨.
(٦)الطبري،تاريخ،ج٣ ص ٧٩،٩٠٣،٩٥٤.
(٧) أنظر الفصل الأول من الدراسة.
(٨)الطبري , تاريخ , ج٣ ص١٠٣٠ , ص٥٦٧,ص ٥٤٦ ,ص ٥٧٥,
(٩) المصدر نفسه, ج٣ ص٤٧٦ , ص٥٥٧٦, ص٧٦٨, ص١٠٢٧, ص١٠٣٠.
(١٠) المصدر نفسه , ج٣ ص٤٣٠, ص٤٨٨.
(١١) الجاحظ , الرسائل السياسية,ص ٩.

ويقول المسعودي أن المنصور" كان أول خليفة أستعمل مواليه وعلمائه في أعماله, وصرفهم في مهماته , وقدمهم على العرب ", فأمتثل ذلك الخلفاء من بعده من ولده (١). وقد كان المنصور ومحمد بن علي وعلي بن عبد الله يخصون مواليهم بالمواكلة والبسط والإيناس, ويوصون أكابر أولادهم بحفظهم, ويجعلون لكثير من موتاهم الصلاة على جنائزهم (٢).

وقد ازدادت مكانة الموالي رفعة في زمن المهدي لدرجة أثارت بعض التذمر، فيروي أسحق الموصلي " قال عبد الصمد بن علي : قلت للمهدي يا أمير المؤمنين أنا أهل بيت قد شربت قلوبنا حب موالينا وتقديمهم , وأنك قد صنعت من ذلك ما فرطت فيه , قد وليتهم أمورك كلها , وخصصتهم في ليلك ونهارك , ولا بد من تغيير قلوب جندك وقوادك من أهل خرسان , قال يا أبا محمد : أن الموالي يستحقون ذلك, ليس أحد يجتمع لي فيه أن أجلس للعامة فأدعو به فأرفعه حتى تحك ركبته ركبتي ،ثم يقوم من ذلك المجلس فأستكفيه سياسة دابتي فيكفيها لا يرفع نفسه عن ذلك إلا موالي هؤلاء " (٣).

وكانت الموالي تقول: لنا النصيحة الخالصة والمحبة الراسخة ونحن موقع الثقة عند الشدة لأن شرف مولاه راجع إليه , ويعد الولاء لحمة كلحمة النسب(٤).

وقد أنتشر نظام المصاهرة بين العرب وغبرهم في العصر العباسي ويعني ذلك اختلاط الدم بين الأجناس , وقد أدى ذلك الاختلاط الى تقليص الحدود بين ما هو عربي وما هو فارسي في العصر العباسي الأول(٥). يرى مالك بن انس ان من يسب العربي بقوله يا نبطي يقام عليه الحد، اما اذا قيل لرجل من الموالي يا فارسي وهو رومي وبربري فانه لا حد عليه(٦).

وبهذا زادت مشاركة الموالي واتسع دورهم . وقد أعطيت بعض المناصب الهامة كالوزارة الى الفرس وغيرهم ولكن عددا كبيرا من الولاة والقواد كانوا عربا خاصة في العصر العباسي الأول , وكثيرا ما تنافس كبار الموظفين من العرب والفرس في البلاط وفي الولايات . وكان الجيش العباسي يتألف ابتداء من فرق عربية وخراسانية , وظلت اللغة العربية هي لغة السياسة والثقافة والأدب , كما بقي الناس ينزعون الى الفخر بالنسب العربي وبالولاء العربي(٧).

---

(١) اليعقوبي , مشاكلة الناس, ص٢٣, المسعودي, مروج, ج٣ ص٣٢٣.
(٢) الجاحظ , الرسائل السياسية, ص٢٣.
(٣)الطبري , تاريخ. ج٣ ص٥٣٢.
(٤)الجاحظ , الرسائل السياسية , ٤٥-٤٩.
(٥)محمد أبو طالب , الصراع , ص١٣٤.
(٦)الطبري،تاريخ،ج٨ ص ٣٤٦،٢٨٨،الاصفهاني،الغاني،ج١٧ ص ٦٩.
(٧)الدوري , العصر العباسي الأول ,ص ٣٦-٣٧.

يتردد في المصادر ذكر الأبناء , وأول ذكر لهم كان في حوادث سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م حيث يقول الطبري:"ولما ندب له المهدي هارون الرشيد لما ندب له من الغزو أمر أن يدخل عليه كتاب أبناء الدعوة لينظر اليهم ويختار منهم رجلا, فقال يحيى بن خالد البرمكي فأدخلوني معهم " وهذا النص يوضح أنهم أبناء الدعوة , وهناك نص آخر في الطبري " فأقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية" (١).

ويبدوا ن الأبناء كانوا من العلية , فلما أنهزم أصحاب علي بن عيسى من طاهر " انتهت الهزيمة الى علي فجعل ينادي أصحابه : أين أصحاب الأسورة والأكاليل , يا معشر الأبناء الي , الكرة بعد الفرة، معاودة الحرب من الصبر" وكان عدد الأبناء كبيرا , فلما قتل طاهر علي بن عيسى وجه الأمين " عبد الرحمن الأنبا ري في عشرين ألف رجل من الأبناء وندب معه فرسان الأبناء وأهل البأس والنجدة و الفناء منهم " ثم أن محمدا" الأمين وجه أحمد بن فريد في عشرين ألف رجل من الأعراب وعبد الله بن قحطبة في عشرين ألف رجل من الأبناء(٢). ويذكر الجاحظ أن الأبناء كانوا مقربين الى الخلفاء " نحن بعد تربية الخلفاء وجيران الوزراء , ولدنا في أفنية ملوكنا ونحن أجنحة خلفائنا, فأخذنا بآثارهم , واحتذينا على مشاعهم , فلسنا نعرف سواهم" ويذكر مزاياهم القتالية , وأنهم كانوا مسيطرين في بغداد " لنا بغداد بأسرها"(٣).

---

(١)الطبري, تاريخ, ج٣ ص ٤٩٩ص ٨٤٤.
(٢) المصدر نفسه, ج٣ ص٨٤٤, ص٨٢٨, ص٨٤٠.
(٣) الجاحظ, الرسائل السياسية , ص٢٨, ص٥٣-٥٤, ص٢٥.

وإذا تم إلقاء نظرة على دخل الفئة الخاصة ،وقورن ذلك بأجور العاملين من العامة يتبين التفاوت كبيرا في ذلك.

الشخصية	السنة	الدخل / دينار في السنة
عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد	٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م ٢٨١هـ/٨٩٤ م	١٢٠٠٠ دينار استبدل باقطاع وارده ٢٠٠٠٠٠دينار (١)
العباس بن الحسن وزير المكتفي	٢٩٦هـ/٩٠٨ م	وارد الضياع الخاصة به ١٢٠٠٠ (٢)
الوزير علي بن عيسى	٣٠٠-٣٠٤هـ/٩١٢-٩١٦ م	١١٠٠٠٠ (٣)
اولاد ابن الفرات الثلاث	---------------	١٨٠٠٠ (٤)
اولاد علي بن عيسى	---------------	٢٤٠٠٠ (٦)
كاتب ديوان العطاء	٣٠٦هـ/٩١٨ م	١٨٠ دينار في الشهر (٦)
كاتب ديوان السواد	٣١٤هـ/٩٢٦ م	٥٠٠ دينار في الشهر(٧)
كاتب ديوان الضياع الخاصة والمستحدثة	٣١٤هـ/٩٢٦ م	٢٠٠ دينار في الشهر(٧)
الراسبي عامل جند يسابور والسوس و مادرايا	٣٠١هـ/٩١٣ م	١٤٠٠٠٠٠ (٨)
المادرائي (الحسين بن علي)	٣٠٠-٣١٠هـ/ ٩١٢-٩٢٢م	٣٦٠٠٠ راتبه + دخله من ضياعه الخاصة ٢٥٠٠٠٠(٩) +دخله من المرافق ومما يأخذه لنفسه من الضرائب الحكومية ٦٦٠٠٠٠(١٠)
محتسب بغداد	٣١٥هـ/٩٢٧ م	١٠٠ دينار في الشهر(١١)
قاضي بغداد ونائبه واولادهما وعشرة فقهاء	٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١ م	٥٠٠ دينار في الشهر(١٢)

(١)مسكويه،تجارب،ج١ ص٢٤١.
(٢)الصابي،الوزراء،ص٢٠.
(٣)مسكوية،تجارب،ج١ ص٢٣٩.
(٤)الصابي ،الوزراء،ص٢٨٢.
(٥)ن . م ،ص٢٣
(٦)مسكويه،تجارب،ج١ ص١٥٤-١٥٩.
(٧)مسكويه،تجارب،ج١ ص٦٨.
(٨)الصابي،الوزراء،ص٣١٤.
(٩)عريب ،الصلة،ص٢٥.
(١٠)الصابي،الوزراء،ص٨٦،ص٣٢٠-٣٢١.
(١١)مسكويه، تجارب،ج٢ ص٩٨-٩٩.
(١٢)المصدر نفسه،ج٢ ص٣٤٦.

وعند النظر الى موارد الفئة الخاصة , يلاحظ أنها عاشت في مستوى اجتماعي ومادي رفيع, ويمكن من خلاله ذلك ملاحظة التباين الكبير في مستوى المعيشة بين أفراد هذه الفئة وبين فئة العامة.

ومن أشهر الأمثلة على ترف الفئة الخاصة " زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل حيث فرش له يوم البناء حصر من ذهب ونثر عليه جوهر كثير , و نثر ما يشير الى الضياع و القرى والجواري والوصفاء والخيل والدواب , فكانت تكتب أسماء هذه الأنواع في رقاع صغار وتجعل في بنادق المسك وتنثر على الناس , ثم تنثر على الناس الدراهم والدنانير وقطع العنبر" (١).

ومنح هارون الرشيد ابراهيم الموصلي مائتي ألف درهم لأنه كان قد غنى له فأجاد، وألحقه بخمسة آلاف دينار لأنه وضع لحنا" لبيت من الشعر ، وأعطى ابراهيم بن المهدي مائتي ألف دينار لغناء أجاده(٢)، وأحصيت نفقات ختان ابن الخليفة المتوكل (المعتز) فبلغت ستا" وثمانين مليون درهم ، ولكثرة البذخ في تلك الوليمة من مال وطعام سميت بدعوة الإسلام الثانية ، في حين أن دعوة الحسن بن سهل في زواج المأمون بابنته بوران عرفت بدعوة الإسلام الأولى(٣)، وكانت نعال السيدة أم المقتدر تطلى بالمسك و العنبر(٤)،وكان الوزير حامد بن العباس ينفق في كل يوم على مائدته مائتي دينار ، وفي داره نيف وثلاثون مائدة منصوبة ،على كل واحدة ثلاثون شخصا"(٥)واستهلك يوم توليه الوزارة أربعين ألف رطل ثلج(٦) ،وبلغت قيمة ثوب القاضي عمر بن يوسف سبعين دينار(٧).

وكان لدى الرشيد من الجواري و المغنيات زهاء الفي جارية في أحسن زي من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر(٨).وعندما قدم رسول ملك الروم(٣٠٥هـ/٩١٧م) الى بغداد للفداء والهدنة و مر على دار نصر القشوري الحاجب رأى منظرا عظيما فظنه الخليفة, وحمل الى دار الوزير فرأى أكثر مما رأى ولم يشك أنه الخليفة فقيل هذا الوزير وزينت دار الخلافة فطيف بالرسول فيها فشاهد ما هاله (٩).

وهنالك أمثلة كثيرة على الترف في الطعام وأعداد الخدم (١٠) والإسراف عامة(١١)

---

(١)اليعقوبي, تاريخ,ج٢ ص٤٥٩.
(٢)الأصفهاني،الأغاني،ج٥ ص١٦٣،ص١٧٢.
(٣)ابن طيفور ،بغداد،ص١١٣.
(٤)التنوخي،نشوار،ج١ ص٢٩٢.
(٥)الهمداني،التكملة،ج١ ص٣٧.
(٦)الصابي،رسوم،ص٢١٦،ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص١٣٨.
(٧)الخطيب،تاريخ،ج١٠ ص١٦.
(٨)الأصفهاني , الأغاني, ج١٦ ص٣٦٠.
(٩)الخطيب البغدادي , تاريخ , ج١ ص ١١٧-١٢٠, أبن الجوزي , المنتظم , ج٦ ص ٧ .
(١٠)التنوخي, نشوار ,ج٥ ص١٩٢, ج٥ ص٤٨.
(١١)الطبري , تاريخ, ج٥ ص١٧٠-١٧١ , أبن أعثم الكوفي , الفتوح , ج٨ ص٤٣٦-٤٤٥, أخبار،ص١٩-٢٠, التنوخي،نشوار, ج١ ص ٣٠١-٣٠٤, ج٣ ص ١٩٢, ج٥ ص ٤٨ , الأصفهاني , الأغاني , ج٤ ص٣٤٠ , أبن الجوزي , المنتظم , ج٦ ص٢٠٤ , أبن العبري , مختصر ,ص ١١٨ ,ابن الطقطقى،الفخري،ص ٢٢٠.

الجواب فقال : هذا ابن حملان يملك ألف ألف درهم قصدته يوماً فبينما أنا عنده عطس ، فقلت له : يرحمك الله ، فقال لي ، يعرفك الله " (١) .

ويظهر أن النظرة إلى العامة لم تكن تنطوي على احترام ، فقد قيل عن العامة " بأن الناس قد أجمعوا على تسميتهم بالغوغاء" (٢) ، والجماهير الدهماء ، (٣) ولقبهم ابن عساكر بالجهال الأغتام (٤) .ووصفهم مسكويه بالسقاط (٥) وأطلق عليهم لقب الأوباش (٦) . وسماهم ابن سيده بأسماء كثيرة منها ، غمار الناس ، دهماؤهم ، خمار الناس ، تحوت الناس ، حشو الناس ،الهباء من الناس(٧) . وتظهر هذه النظرة في قول المأمون للؤلؤي " سوقي والله يا غلام "(٨) حتى أن جواري الخاصة كانت إذا أرادت أن تشتم أحدهم قالت يا عامي يا سفلة (٩).

أما الذين ينتمون إلى العامة فهم أهل المهن (١٠) والصنائع (١١) والخدم من الإماء والرقيق والجند(١٢).

وكان العامة في بغداد خليطا" من أجناس مختلفة ، إذ أن فيهم العرب والفرس والترك و الزنوج،تربطهم جميعا" اللغة العربية التي كانوا يتكلمون بها (١٣).

---

(١) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى ،ص ٢٦ .
(٢) المسعودي ، مروج الذهب ج٣ ص٨٧ .
(٣) الصابي ، رسائل ج١ ص١٥٨ .
(٤) ابن عساكر، تبين كذب المفتري الأشعري ص٣٧١ .
(٥) مسكويه ، تهذيب الأخلاق ص١٣٣ .
(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ج٨ ص٤١ .
(٧) ابن سيده ، المخصص ج٣ ص١٢٧ – ١٢٨ .
(٨) ابن طيفور ، بغداد ص٤٠ ، ابن الجوزي ، الأذكياء ص ٥٠ .
(٩) ابن الجوزي ، المنتظم ج٨ ص١٣٥ .
(١٠) الجاحظ ، رسالة في وصف العوام ،أثناء كتاب طراز المجالس للخفاجي ص ١٧٥ .
(١١) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ ص٢١٠ .
(١٢)ابن منظور ، لسان العرب ج٧ ص٣١٧ .
(١٣)زيدان،التمدن،ج٥ ص٤٥، بدري فهد، العامة،ص١١-١٤.

أما عن أعداد العامة فقد قدر عدد الذين يعملون يومياً في بناء مدينة بغداد بخمسين ألف رجل (١) ، كما قدر عدد الذين جمعهم المنصور من أصناف المهن والصناعات لبناء مدينة بغداد بمائة ألف (٢)ان المدة التي أنجز فيها البناء قصيرة نسبيا"، تدل على كفاءة العمل. غير أن المائة ألف التي ذكرت مبالغ فيها (٣)،الا أنها تدل على العدد الكبير من العاملين وكانت أعداد كبيرة من الفئة العاملة تعمل في دار الخلافة ، ونلمس كثرة أعدادهم من الأرزاق التي كانت توزع عليهم زمن المعتضد ، فأرزاق السقاءين في دار الخلافة آنذاك بلغت أربعة دنانير في اليوم ، وأرزاق الطباخين ثلاثين دينارا" في اليوم ، وأرزاق الصناع من الصاغة والخياطين والقصارين والخراطين ، وغيرهم من أصحاب المهن والصناعات في دار خلافة المعتضد كانت مائة دينار في اليوم (٤) ،ويمكن الإشارة أيضا" الى أعداد العامة من عدد الأسواق والحوانيت التي كان يعمل فيها أهل الصنايع . فقد ذكر أن أسواق الوراقين في بغداد كان فيها أكثر من مائة حانوت (٥) وكان عدد الدكاكين بباب الطاق في الجانب الشرقي من بغداد سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤ م ثلثمائة دكان (٦) .وفي سنة ٣٠٤ هـ / ٩٢٧ م حدث حريق في نهر طابق ببغداد فأحرق ألف دكان (٧) وقدر ابن الفقيه عدد أصحاب الحمامات في بغداد بثلثمائة ألف وستين حمامي وحمام (٨) .قد تكون هنالك مبالغة في الأرقام ، ولكنها تدل على سعة فئة العامة وكثرة العاملين في المجتمع البغدادي .

ضمت فئة العامة في صفوفها العمال ، وكان العمال صنفان رئيسيان : الأحرار والرقيق .فالعمال الأحرار كانوا يكونون في المدن ، وهم أصحاب الصناعات من مهن وصنائع مختلفة ، ويقرب منهم أصحاب الحوانيت والبيوعات البسيطة كالبقالين والقصابين (٩) ويمارسون عملهم في حوانيتهم لحسابهم الخاص ، وهم من ذوي الحرف الذين غالبا" ما ورثوها عن آبائهم وهم أفضل مكانة من العمال المأجورين (١٠) الذين كانوا لا يملكون دكاكين خاصة بهم يعملون بها ، وإنما يشتغلون بأجرة يومية عند أصحاب الدكاكين ، لذلك كانوا يحملون أدوات عملهم معهم ويقفون في الأسواق انتظاراً لمجيء من يطلبهم (١١) .

---

(١) المسعودي ، مروج ج٣ ص٣١٨ .
(٢) اليعقوبي ، البلدان ص٢٥٨ .
(٣) صالح العلي،بغداد،ج١ ص٢٣٤.
(٤) الصابي ، الوزراء ص٢١ – ٢٣ .
(٥) اليعقوبي ، البلدان ص ٢٤٤ .
(٦) المسعودى ، مروج ج٤ ص٢٨٨ .
(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ج٦ ص٢٦١ .
(٨) ابن الفقيه ، البلدان ص٦٤ .
(٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ ج ٣ ص١٤٣ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ج٢ ص١٧٦ .
(١٠) المسعودي ، مروج ج٢ ص٢١٨ .
(١١)الخطيب البغدادي ، تاريخ ج٣ ص١٤٣ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ج٢ ص١٧٦ .

وقد كانت نظرة الأدباء والمفكرين لأصحاب المهن والحرف في بداية العصر العباسي نظرة ازدراء ،ورفضوا تخصيص مكان شريف لهم في السلم الاجتماعي . فقدامه بن جعفر يضع مهرة الصناع في طبقة السوقة اسوة باللصوص (١)، وأدخلهم الدمشقي في أدون طبقات الناس (٢)،وجاء في العقد الفريد " الناس ثلاثة طبقات : طبقة علماء وطبقة خطباء وطبقة ادباء ورجرجة بين ذلك يغلون الأسعار ويضبقون الأسواق ويكدرون المياه " (٣)،ويورد البيهقي على لسان المأمون " السوقة سفل والصناع انذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك الناس " (٤)،اما ابو حيان التوحيدي يصف المهنة فيقول: " حركة يتعاطاها الانسان بلا حفز ولا استكراه "وجعل الصناعة أقرب الى الذل والضعة (٥)،أما ابو القاسم الحريري فيرى ان حرفة الصناعة " غير فاضلة عن الأقوات ، ولا نافعة في جميع الأوقات ،ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة " (٦).

ولكن النظرة الاجتماعية الى الصنائع والحرف بدأت تتغير بمرور الزمن بسبب النمو الاقتصادي ،فقد اقبل الكثيرون على ممارسة الحرف لتلبية حاجات المجتمع الجديدة،كما كان لامتزاج العناصر المختلفة في المجتمع اثره في تغيير النظرة الى الحرف والمهن (٧).
ولعل اخوان الصفا كانوا اول من قدر الصناع تقديرا عاليا ،حيث اعتبروا الناي كلهم " صناعا وتجارا، سواء كانوا أغنياء ام فقراء" ، وقالوا بضرورة الصنائع للمجتمع، ودعوا الى تعلمها واتقانها، وقالوا بحاجة جميع الصنائع الى العقل والتفكير ، كما اهتموا بتقسيم الصنائع وتبين اوجه التفاضل بينها(٨). وجعل الغزالي " الأسواق موائد الله فمن أتاها اصاب منها " (٩).

ويظهر أن سبب ذلك أن واردهم المالي لا يكاد يكفي لضروريات عيشهم . وخير تقدير لحالتهم المادية قول أبي الفضل الدمشقي " وأما الصنائع العملية ، وهي المهن ، فقد قيل قديماً الصناعة في الكف أمان من الفقر ، وأمان من الغنى ، وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بد له منه ، ولا يكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقد نعمه ، وأيضاً فإنه مع ذلك إذا ميز الناس دخل في أدون طبقاتهم(١٠) .

---

(١) الدمشقي، الاشارة الى محاسن التجارة،ص٤٣.
(٢) ابن عبد ربه جرونيباوم،حضارة الاسلام،ص ٢٧٤.
(٣) ،العقد الفريد،ج٢ ٢٩٣.
(٤) البيهقي،المحاسن والمساويء،ج١ ص١٤٦.
(٥)التوحيدي،الامتاع والمؤانسة،ج٣ ص ١٣٢.
(٦)الحريري،مقامات،ص ٤٣٥.
(٧) جرونيباوم،حضارة الاسلام،ص ٢٥٥.
(٨)اخوان الصفا، رسائل،ج١ ص ٢٨٥-٢٨٦
(٩) الغزالي،احياء، ج٢ ص ٦٢.
(١٠)الدمشقي ، الإشارة إلى محاسن التجارة ص٤٣ .

ومن العامة أيضاً الباعة المتجولون الذين كانوا يقومون بالبيع والشراء بشكل محدد ، دون الحاجة إلى رأس مال كبير أو مهارة أو تخصص ، وهؤلاء عادةً تكون أرباحهم قليلة ونطاقهم محدود (١) . وكانوا ينادون على بضائعهم بألفاظ وعبارات استحسان لجلب الشاري إليهم (٢) .

وكانت المهن عادة وراثية وأن كانت مفتوحة , وكان العمال الذين يزاولون مهنة معينة طوال حياتهم يتدرجون في المهن التي يشتغلون فيها . وقد وجه الاهتمام الى معرفة أسرار الصنعة فلم يسمح لأحد بأن يمارس شيئا" لا يحسنه ولا يعلم أسراره (٣). فأن أسرار الصنعة أمر ضروري قبل ممارستها(٤) ولذلك صار من المعروف أن أسرار الصنعة أصبحت حكرا" على أفراد ذلك الصنف يعرفونها ويحافظون عليها (٥) . وكان كل صانع يفضل حرفته على جميع الحرف ويلمح الجاحظ إلى هذه النظرة حين يقول : ولكن لكل صنف من الناس مزّين عندهم ما هم فيه ومسهل ذلك عليهم . فالحائك إذا رأى تقصيرا" من صاحبه أو سوء خدمة أو خرقا" قال: يا حجام , والحجام إذا رأى تقصيرا" من صاحبه قال يا حائك (٦) وبلغ هذا التفضيل حد التعصب للمهنة , فصاحب كل صناعة يتعصب لها ويعتز بها ويعتبرها أهم من غيرها ، وأن حاجة الناس اليها أشد (٧) ، فصار شعارهم "الصناعة نسب" (٨).

وكانت المهن عادة تؤثر على صاحبها حتى في كلامه , "قيل لوراق: ما السرور؟ قال: جلود وأوراق , وجريران وقلم مشتاق, ووصف طبيب فقال : ينظر إلى العليل نظرة أبقراط ويجس جس جالينوس ويصف وصف غلوفن ويعالج علاج أهرن"(٩).
وقد أعتبرت بعض المهن مشينة من وجهة نظر العامة مثل مهنة البوابين والقوّاد والمشعوذين (١٠)والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى وكذلك الغزالون (١١).

---

(١) الجاحظ ، البخلاء ص٥١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج١١ ص١٣ .
(٢) التوحيدي ، البصائر ج٤ ص٤٣ .
(٣)ابن عبدون, رسالة في القضاء ,ص ٤٦.
(٤) الطبري, تاريخ ,ج٧ ص٦١٨.الأصفهاني،الأغاني،ج٥ ص٢٢٤.أبن الأخوة , معالم القربة , ص١٠٩.
(٥) أبن الأخوة , معالم القربة , ص١٤٦.
(٦) الجاحظ, الرسائل الأدبية,ص ١٢٦-١٤٩.
(٧) أبو حيان التوحيدي, الإمتاع, ج٣ ص ١٨٨ , أبن خلدون , المقدمة ,ج١ ص٢٩١-٢٩٢.
(٨) الجهشياري, الوزراء, ص٢٧.التنوخي،نشوار،ج٨, ص٢٧.
(٩)الجاحظ,الرسائل الأدبية,ص٣١٥-٣٢٠.الثعالبي,خاص الخاص,ص١١٤ص١٠٥,ص١١٤-١١٥, ص١٢١.
(١٠) الدمشقي, الإشارة إلى محاسن التجارة , ص٤٢-٤٣.
(١١)الجاحظ, البيان والتبيين , ج١ ص ١٤٠.

أما العمال الرقيق فيعتبرون أدنى من العمال الأحرار , ويتم الحصول عليهم بالطرق التالية:

١- الحرب : فإذا فتحت بلدة يحق للإمام إذا شاء أن يسترق الأسرى(١).

٢- كان بعض الولاة يرسل الرقيق ضمن الواردات , فكان عبد الله بن طاهر أمير خرسان ٢١٣-٢٢٩هـ/٢٢٨-٨٤٤م يرسل الى الخليفة ألفين من الأتراك الغزية سنويا" من السبي(٢).

٣- عن طريق الشراء: حيث كانت توجد تجارة واسعة للرقيق , وكان في بغداد شارع يدعى بدار الرقيق (٣) ، وكان في سرّ من رأى منذ نشأتها سوق للرقيق ٢٢١هـ(٤). وكانوا يحصلون على الرقيق من الجنسين سودا" وبيضا" , فالرقيق الأسود يجلب من الحبشة والسودان عن طريق مصر(٥) حيث كانت مصر وجنوب جزيرة العرب وشمال إفريقيا أكبر أسواق الرقيق الأسود في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد ، وكانت قوافل البلاد المذكورة تجلب الذهب والعبيد من جنوب السودان،وكان الثمن الجاري للعبد الواحد في منتصف القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد مائتي درهم (٦) و كان أكثر الرقيق الأبيض من الترك والسلاف (الصقالبة) ,وكان الصقالبة يقدمون على الترك(٧) فالترك والخزر خاصة وبعض السلاف كانوا يجلبون عن طريق خوارزم وكانت سمرقند السوق الأعظم والمركز الرئيس لتدريبهم (٨). ويجلب من خراسان رقيق أبيض غالي الثمن , ويصل سعر الواحد منه خمسة آلاف دينار , أما الرقيق الأوروبي فأكثره من أهالي شرق أوروبا ويجلب عادة عن طريق ألمانيا الى الأندلس ومنها الى موانئ البحر الأبيض المتوسط (٩). وكانت تؤخذ الجارية الحسناء من هذا الرقيق الأبيض بألف دينار وأكثر(١٠).وكان أغلب تجار الرقيق في أوروبا من اليهود(١١).

وكان الرقيق بصورة عامة يستخدمون في:

(أ) حرس خاص أو للجيش , فقد أستخدم المعتز ٢٥٥-٢٥٦هـ/ ٨٦٧-٨٦٨م أحد عشر ألف مملوك في قصره , منهم سبعة آلاف سود وأربعة آلاف صقالية بيض وأربعة آلاف امرأة بين حرّة ومملوكة وألوف الغلمان الحجرية (١٢) وكان في الجيش فرقة كاملة من المماليك , ويذكر الصابي فرقة من العبيد كوّنها المعتضد(١٣).

---

(١)جرجي زيدان, التمدن , ج٤ ص ٤٢-٤٣.
(٢) أبن خرذذابة, المسالك , ص٣٩.
(٣)ابن الفقيه،البلدان، ص ٣٦٠.
(٤) اليعقوبي,البلدان, ص٢٦٠.البيهقي,المحاسن,ص٦١٦.الصابي, الرسائل ,ج١ رسالة ١+٢.
(٥) زيدان , التمدن, ج٥ ص٣٩،متز،الحضارة الإسلامية،ص١٥٧.
(٦)الأصفهاني ،الأغاني،ج٣ ص٥٥.
(٧)متز،الحضارة الإسلامية،ص٢١٧.
(٨) أبن حوقل, صورة الأرض, ص٤٨٦, ص٤٩٤. زيدان, التمدن,ص ٣٤.
(٩)متز،الحضارة الإسلامية،ص٢١٧.
(١٠)الإصطخري،المسالك والممالك،ص٤٥.
(١١)زيدان , التمدن, ج٥ ص١٣٩.
(١٢)الصابي, رسوم , ص٩٨. الخطيب البغدادي, تاريخ, ج١
(١٣)الصابي،الوزراء،ص١١-١٢.

(ب) في الخدمة وذلك بعد شيء من التدريب فكان منهم الطباخون والخزانون والبوابون والملاحون في القوارب , وسواس الخيل, وحتى أمناء المكتبات الخاصة (١) وكان الخدم في قصر الخليفة على طبقات ويقول أبن الجوزي " أهدى الرشيد جميع من كان معه من أهل بيته وخدمه على طبقاتهم "(٢).

ومن الخدم الجواري و الخصيان, فلما تولى الأمين الخلافة أهدته زبيدة كثيرا" من جواريها(٣) . وكان المهدي من أوائل الخلفاء الذين أتخذوا القيان من بني هاشم فتسنه الناس جميعا" وسلكوا سبيله (٤). ولقد استمرت قصور الخلفاءاي المقدمة من حيث احتوائها على أكبر مجموعة من الجواري , ثم تأتي قصور القوّاد في المرتبة الثانية (٥) وبقية الناس في المرتبة الأخيرة . وهم يتفاوتون في شراء الجواري حسب حاجتهم ومستواهم المعاشي , ومن الطبيعي أن يكون التجار والأغنياء أول هؤلاء اقتناء" للجواري(٦).

وكان محمد الأمين قد قدّم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم , فلما رأت أم جعفر(مرضعة الرشيد) ذلك اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه فألبستهن الأقبية والمناطق, وكانت أول من فعل ذلك , وبعثت بهن إليه وأبرزتهن للناس فأتخذ الناس الخاصة والعامة الجواري المطمومات ،ألبسوهن الأقبية والمناطق وسمّوهن الغلاميات , وكانت أم جعفر هي أول من أتخذ الشاكرية من الخدم والجواري (٧). تقول عريب المغنية المشهورة وصيفة الأمين" كنت ألبس قباء ومنطقة وأقوم على رأسه، وربما سقيته"(٨)

---

(١)البيهقي, المحاسن , ص٦١٣.
(٢) أبن الجوزي, المنتظم, ج٥ ص ٢٦٣٠.
(٣) اليعقوبي, مشاكلة الناس, ص٢٧ . المسعودي, مروج, ج٨ ص٢٩٨.
(٤)الطبري ، تاريخ،ج٤ ص ٥٨٤..
(٥) أبن الجوزي, المنتظم, ج٨ ص٦٣.
(٦) بدري فهد, العامة, ص١٨-٢٠.
(٧) اليعقوبي, مشاكلة الناس, ص٢٧.
(٨) المسعودي، مروج،ج٨ ص٣٠٠، الشابشتي، الديارات، ص٧٠.

وكان الناس لا يرغبون في السراري, فلما رأوا القاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر و علي بن الحسين بن علي، وليس في المدينة ولا في الحجاز ولا في العراق ولا في الأرض مثلهم , وهم من أولاد السراري، رغبوا فيهن (١).

وقد أذن القرآن الكريم للمسلم بأن يتسرى بما شاء من الإماء , كما نص على أن يعدّ النسل الناتج عن هذه الأنكحة شرعيا" فأدى ذلك الى سريان الدم الأجنبي إلى أعظم البيوت العربية(٢) ولم يكن بين خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر إلا ابو العباس و المهدي والأمين(٣).

وبعد أن كانت الفكرة العربية القديمة عن التسلسل من أب شريف وأم نبيلة اختفت الفكرة في هذا العصر بسبب هذا التداخل في العناصر البشرية وراجت الفكرة التي تقول:

لا تشمئن إمرأ من أن تكون له	أم من الروم أو سوداء عجماء
فإنما أمهات القوم أوعية	مستودعات وللاحساب آباء(٤)

ولقد أبدى المجتمع البغدادي رغبة في التسري بالإماء , ويعلل الجاحظ الإقبال على التسري بالإماء الى احتجاب الحرائر وسهولة الاتصال بالإماء (٥) "وأن الرجل قبل أن يملك الأمة يكون قد تأمل كل شيء فيها وعرفه, فأقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة, والحرّة إنما يستشار في جمالها النساء , والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهن قليلا ولا كثيرا, الرجال بالنساء أبصر "(٦) ،وأعتبر الجاحظ أن عشق الجواري (القيان) آفة على كثرة فضائلهن(٧).

وكان اذا أولد الرجل الحرّ جاريته فإنها تبقى مملوكة له،ولكنها تصبح أم ولد ،وعندها لا يحق له بيعها ما دام حيا". فإن مات تصبح حرة.وأما ابنها فإنه حر من اليوم الذي يولد فيه(٨). وكان أبناء الإماء يعتبرون رقيقا" إذا كان الأب عبدا" ،أو كان مالكا" للأمه و لم يعترف بأبوة الطفل(٩).

---

(١)الثعالبي , لطائف المعارف, ص١٢٥. السيوطي , تاريخ, ص٢٢.
(٢) جوستاف جرونيبام, حضارة الإسلام , ص٢٥٧.
(٣) الثعالبي, لطائف المعارف ص١٢٥, أنظر قائمة بأسماء أمهات الخلفاء العباسيين السراري, الثعالبي , لطائف,ص ١٢٥-١٢٦.
(٤) الأصفهاني, الأغاني, ج١٦ ص٢٧٢-٢٧٣, جوستاف جرونياوم , حضارة الإسلام ،ص٢٥٧.
(٥) الجاحظ , الرسائل الأدبية, ص٢٧٤.
(٦) الجاحظ, الرسائل الكلاميّة , ص١٠١-١٠٢.
(٧)المصدر نفسه, ص٧٩.
(٨)أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١ ص٨٢.
(٩)متز، الحضارة الإسلامية،ص١٦٦.

وقد حذر كثير من الشعراء والأدباء من التقرب إليهن أو منحهن الثقة وفضلوا عليهن الحرّة وحياءها(١) وذلك بسبب وضع الجواري وما يتعرضن له , وصفاتهن، وسوء أخلاق بعضهن، حيث يتصفن بالغدر , والخداع , واقتناص الأموال وغيرها. وقد تعود هذه الصفات الى أنهن كن ينتقلن من يد الى أخرى , فمنهن من يعشن في حاضرهن ولحاضرهن فقط, ويعملن على حماية أنفسهن من الغدر والفقر .وكان منهن من هي صاحبة علم(٢) ومن تجيد الشعر ونظمه والتغني به (٣).

وقد كان التجار يحضرون الجواري من أماكن عدّه ليعرضوهن (٤)مثل الجواري الروميات للخدمة (٥) وكانت أم هارون الواثق أم ولد روميه تدعى قراطيس (٦)، والجواري اللواتي يشترين من اسواق المدينة والكوفة (٧)،والحبشيات وهؤلاء لم يكن مرغوبات،والسنديات(٨) وكان منهن النصرانيات(٩)

وقد ساعد إقبال الخلفاء على اقتناء الجواري من جهة وعامة الناس من جهة ثانية على زيادة قيمتهن , فهذا هو صالح بن علي عمّ المنصور أشترى سعده بتسعين ألف درهم , وأشترى أبن أخيه جعفر بن سليمان ربحيه بمائة ألف والزرقاء بمائة ألف ثانية(١٠).

---

(١) التوحيدي, البصائر, ج٧ ص١٩٦.
(٢) أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص ٢٠٨.
(٣) أبن عبد ربه , العقد الفريد, ج٥ ص ٣٢٤-٣٢٧.
(٤) التنوخي،نشوار ,ج٦ ص١٤٣.
(٥) البغدادي, البخلاء , ص١٥٧. الأصفهاني , الأغاني, ج١٠ ص ٣٣٦.
(٦) الطبري, تاريخ, ج٥, ص٢٧٣
(٧)أبن عبد ربه, العقد الفريد, ج٥ ص ٣٢٥.
(٨)التوحيدي, البصائر, ج٧, ص٨٢,ص٨٤.
(٩)الطبري, تاريخ, ج٤ ص ٥٩٢.
(١٠)الأصفهاني, الأغاني, ج١٥ ص ٦٢ وما بعدها.

وأشترى المهدي بصبص جارية أبن النفيس بسبعة عشر ألف دينار , وأشترى هارون الرشيد ذات الخال بسبعين ألف درهم , وأشترى المأمون عريب بمائة ألف درهم وحملها بمائة ألف درهم أخرى, واشترى علي بن هشام أحد قوّاد المأمون قيم الهاشمية بعشرين ألف درهم(١). وهناك أمثلة عديدة على المبالغ التي كانت تنفق على الجواري من قبل الفئة الخاصة التي تمتلك القدرة على اقتنائهن(٢).

وبسبب كثرة الجواري في بغداد والقدرة على شرائهن أصبح الناس يتهادون بهن كما تهدى الجواهر والحلي مجاملة وملاطفة(٣). أهدى ابن طاهر الى المتوكل هدية فيها ٢٠٠ وصيفة ووصيف(٤). وقد يستمع الخلفاء لطلب الجواري ويسعون لاسترضائهن(٥)وقد لا يرفضون لهن طلبا فقد ولى الرشيد حمويّه الحرب والخراج بفارس سبع سنين وكتب له عهدا بذلك و شرط على وليّ عهده بعده أن يتمها له أن لم تتم في حياته بناء" على طلب من جاريته ذات الخال(٦) ،كما أن المهدي كتب إلى عامل جرش في اشخاص الغطريف بن عطاء أخي الخيزران وكان الغطريف غلاما" لرجل من أهل جرش،فأعتقه وكساه،وحمله الى المهدي،فرفع منزلته ثم ولاه اليمن(٧)،وكان للمقتدر خال رومي يسمى غريب،وكان له نفوذ كبير ،وكان يخاطب بالإمرة،وفي عام٣٠١هـ/٩١٣م استطاعت أم موسى الهاشمية قهرمانة السيدة أم الخليفة ان تسعى في إسناد نقابة بني هاشم ،الطالبين والعباسين، لأخيها،فضج الهاشميون حتى ردّوا النقابة الى النقيب السابق(٨) .وقد يقول أحدهم الشعر في جاريته(٩) ، أو يطلب الخلفاء من الشعراء كتابة الشعر في الجواري ليعبروا فيه عن شوقهم(١٠).وأذا أحست الجارية بخطر على مكانتها لدى الخليفة،كانت تحيك المؤامرات حتى تحتفظ بهذه المكانة , كما فعلت جارية المهدي حسنه،حيث أرادت قتل إحدى الجواري لتقربها من المهدي,مما أدى الى قتل المهدي نفسه بالسم(١١).

وقد استخدم الخصيان ليقوموا بحراسة الحرم وخدمتهن(١٢) وقد انتشر الخصيان في المجتمع ووجدوا في دور الفئة الخاصة وفي قصور الخلفاء(١٣)ولدى الوزراء وكبار التجار مثل ابن الجصاص(١٤) .

---

(١)الأصفهاني , الأغاني, ج١٥ ص٢٧, ج١٦ ص٣٤٢, ج٢١ ص٤٩, ج٧ ص٢٩٣.
(٢)التنوخي،نشوار,ج١ ص٢٥, ص١٧٩, ص١٩٦, ج٥ ص٢٧٤.
(٣) أبن قتيبة, الإمامة والسياسة, ج٢ ص٣٤٤, اليعقوبي, مشاكلة الناس , ص٢٧, الطبري, تاريخ ,ج٤ ص٥٧٢-٥٧٦, أبن العبري , مختصر, ص١٠٨.
(٤) المسعودي،مروج،ج٢ ص٢٨٠.
(٥)أبن عبد ربه,العقد الفريد, ج٢ ص٣٢٩,التنوخي،نشوار,ج١ ص٥٧, أبن العبري, مختصر, ص٢٧٣.
(٦) الأصفهاني, الأغاني, ج١٦ ص ٤٩٧.
(٧)اليعقوبي،تاريخ،ج٢ ص٤٨١.
(٨)عريب،الصلة،ص٤٧.
(٩) أبن الجراح, الورقة, ص١٧-١٨, أبن عبد ربه, العقد الفريد ,ج٥ ص٥٠.
(١٠)أبن عبد ربه, العقد الفريد, ج٥ ص٥٠, التنوخي, الفرج بعد الشدّة, ج٢ ص ١٧٣-١٨٢.
(١١)الطبري, تاريخ, ج٤ ص ٥٨٤.
(١٢) البيهقي, المحاسن, ص٦٠٩, التنوخي،نشوار, ج٣,ص ٤٣-٤٤.
(١٣)الطبري,تاريخ,ج٥ ص١١١,أبن الجوزي,المنتظم,ج٦ ص٣٨٧, أبن العبري،مختصر, ص١١٣.
(١٤)التنوخي، نشوار ج٣ ص ٤٣-٤٤

وقد راجت تجارة الخصيان في المجتمع البغدادي وأصبحت أوصافهم معلومة لدى الناس(٢) وعمل المسيحيون ومعهم اليهود أحيانا" بنشاط في جلب الخصيان والاتجار فيهم(٣) .
ووقف بعض الناس موقفا معارضا"من الخصيان فكان عبد الله بن طاهر لا يدخل خصيا"داره ويقول : هم مع النساء رجال ومع الرجال نساء (٤) .
(ج) واستخدم الرقيق في بعض الأعمال الأدبية كالغناء وإلقاء الشعر وحفظ القرآن والحديث وتلاوتهما(٥).

المغنين:

وكان المجتمع كثير التقدير للشعر والغناء , فقد كان الطلب عاليا" على ذوي المواهب الفنية من الرقيق , لذا كان النخاسون يقومون بتعليم بعض الغلمان والجواري فنون الشعر والموسيقى ويربحون من وراء ذلك أرباحا" طائلة , حيث كانت الجارية المغنية أغلى ثمنا" في بعض الأحيان من غيرها. ولم يكن النخاسون يعلمون الجارية الحسناء الغناء وانما كانوا يعلمونه الصفر والسود. وأول من علم الجواري المثمنات , الموصلي فأنه بلغ بالقيان كل مبلغ ورفع من أقدارهن(٦) وكان اكثر المغنين في بغداد سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م من الرقيق (٧).
وقد اهتم الخلفاء بالشعراء والمغنيين وقدموا لهم الهبات(٨) حتى أن بعض الخلفاء وابناءهم شاركوا في الغناء فهذا الواثق يعتبر من أوائل من تعاطى هذا الفن من الخلفاء , وكان إذا أراد أن يعرض صنعته على إسحاق نسبها الى غيره وقال: "وقع إلينا صوت قديم من بعض العجائز ما سمعه أحد ,ويأمر من يغنيه إياه". وممن شارك في الغناء إبراهيم بن المهدي وأخته علية حتى قيل فيهما : "ما أجتمع في الإسلام قط أخ و أخت أحسن غناء" من ابراهيم بن المهدي وأخته علية وكانت تقدم عليه " , وممن عرفت له صنعه من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادي وهو اضرب الناس بالعود واحسنهم غناء" (٩). وكان لكل خليفة عدد من المغنيين , فكان لهارون الرشيد ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي , ومخارق وغيرهم(١٠) وكان للمأمون إسحاق الموصلي وعريب جاريته ومخارق وعلوية الأعسر، وكان علوية الأعسر نديمه لا يفارقه(١١).

---

(١)الطبري, تاريخ, ج٥, ص١١١, أبن العبري , مختصر,ص ١١٨.
(٢)الجاحظ,الحيوان, ج١ ص٦١-٦٦,الرسائل الأدبية,ص١٨٣-١٨٥.أبن عبد ربه,العقد , ج٥ ص١٨٩.
(٣)جوستاف جرونياوم, حضارة, ص٢٢٦.
(٤)أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص٣٨٧.
(٥)زيدان , التمدن, ج٤ ص٤٤.
(٦) الأصفهاني, الأغاني, ج١٢ ص٤٣, ج٥ ص١٢٥, ج٥ ص١١٦.
(٧)أبو القاسم البغدادي, حكاية, ص٨٧.
(٨)الجاحظ, الرسائل الكلامية, ص١١. الأصفهاني, الأغاني, ج١٩ ص١٤٦, ج٩ ص١٢٩-١٣٠، التنوخي، نشوار,ج١ ص٧٤, ص٢٦٥.
(٩)الأصفهاني, الأغاني, ج٩ ص١٨٩, ص١٩٢, ج١٠ ص٣٥٤ ،ص٣٦٣, ص٣٧٥-٣٨٣.
(١٠) أبن عبد ربه, العقد الفريد, ج٥ ص٢٥.
(١١) أبن طيفور, بغداد, ص١٧٢, ص١٧٦, ص١٨٥.

ولم يحظ المغنون بنظرة اجتماعية إيجابية أو مكانة مرموقة ،ويظهر ذلك في قول المأمون عن إسحاق الموصلي :لولا ما سبق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي ،فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر دينا" وأمانة" من هؤلاء (١).
وقول ابراهيم المهدي "لولا أني ارفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يرو قبلي مثلي(٢).
ومع ذلك فقد تمتع إسحاق الموصلي بمكانة عالية عند المأمون حيث كان يدخل مع الفقهاء ويلبس السواد يوم الجمعة ويصلي مع المأمون في المقصورة ،وتمتع بمثل هذه المكانة مع الواثق إذ كان يحضر مع الجلساء بغير عود ، ويدنيه الواثق ولا يغني حتى يقول له غني(٣).

ومن الصفات التي فشت في العامة الجهل والفقر. يبين التوحيدي(٣٨٠هـ/٩٩٠م) جهل العامة بأمور الثقافة العامة بقوله بأن العامي يتوهم انه يعرف"سرّ الكلام وغامض الحكمة،وخفي القياس،وصحيح البرهان" (٤). ويرى الجاحظ ان العامة " لم يبلغ من قوة عقولها وكثرة خواطرها ان ترتفع الى معرفة العلماء, ولم تبلغ من ضعف عقولها أن تحط الى طبقة المجانين والأطفال, ولو كانت العامة تعرف من الدين والدنيا ما تعرفه الخاصة لكانت العامة خاصة, وذهب التفاضل في المعرفة والتباين في البيئة "(٥) وكره ابن الطقطقي مخالطة الأنذال والسوقة لأن ذلك مما يحبط الهمة ويضع المنزلة ويصدئ القلب(٦).

ويرى المأمون ان الفائدة في أصحاب التجارة والزراعة و الصناعة لأن هذه يؤخذ على أصحابها ضرائب , أما تلك الفئة العريضة التي لا تملك شيئا" فهو يراها عيالا" على غيرها(٧).
والصفة الأخرى التي لازمت العامة في التصنيف هي الفقر , لذا ترى الجاحظ يورد كلاما" يجعل فيه العوام والحشوة كصف مقابل للمياسير وأهل الثروة(٨) وتوجد إشارات تعطي فكرة عن المستوى المعيشي الذي كانت فيه فئة العامة , حيث كان بعض الأفراد يبحثون في القمامة ويأخذون بقايا الصوف والزجاج و النوى وقشور الجوز وغيرها(٩) وكان أحد العامة إذا أراد أن يقترض مبلغا من المال لا يجد من يقرضه(١٠).

---

(١)الأصفهاني،الأغاني،ج ٧ ص ٥١٧، ص ٢٧٢-٢٧٣،ياقوت ،معجم الأدباء،ج٢ ص٥١٩٨.
(٢)الأصفهاني،الأغاني،ج١٠ ص٩٨،ج٦ ص٤٨٨،ج١٩ ص١٤٧-١٤٨.
(٣)المصدر نفسه،ج٥ ص١٨٨،ج١٩ ص١٩٦.
(٤) التوحيدي،الإمتاع،ج١ ص١١٧.
(٥) الجاحظ , الرسائل السياسية , ص٣١٠-٣١٦.
(٦) ابن الطقطقي, الفخري , ص٤٢.
(٧)البيهقي, المحاسن, ص١٠٣.
(٨) الجاحظ, البخلاء, ص٧٠.
(٩)أبن الفقيه , البلدان , ص٣٢٢.
(١٠)أبن عبد ربه , العقد الفريد , ج٥ ص١٥٦-١٥٨, ج٣ ص١١.

وعبّر الشاعر أبو الشمقمق شاعر الفقر عن الوضع فقال:

ما أجمع الناس لدنياهم   أنفع في البيت من الخبز
والخبز باللحم إذا نلته   فأنت في أمن من الترز
فلو رأوا خبزا" على شاهق   لأسرعوا للخبز بالجمز
ولو أطاقوا القفز ما فاتهم   وكيف للجائع بالقفز (١)

حتى أن البعض بدأ بالرحيل عن بغداد بسبب الفقر ،ويظهر ذلك في قول الشاعر أبي سعيد محمد بن علي بن خلف الهمداني:

وكم قائل: لو كان ودك صادقا"   لبغداد لم ترحل, فكان جوابيا
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم   وترمي النوى بالمقربين المراميا
وما فارقوا أوطانهم عن ملالة   ولكن حذارا" من شمات الأعاديا(٢).

ونظرة الى الأجور اليومية للعمال يبدو أنه لم يكن هناك حدّ أدنى لها, وكانت متروكة للاتفاق بين العامل وصاحب العمل والحاجة ويتم ذلك قبل بدء العمل (٣) . وتتوفر أمثلة عن أجور العاملين لعل بعضها يعطي صورة عن جانب من مستوى معيشتهم. فقد كانت أجرة نجار زمن المنصور درهمين في اليوم, وأجرة بناء خمسة دراهم أو أربعة دراهم في اليوم(٤). وكانت أجرة عامل طين زمن الرشيد أربعة دوانق في اليوم(٥) وكانت أجرة عامل رحى زمن المتوكل ثلث الدرهم(٦). كانت أجور العمال زهيدة, فقد كانت أجرة عامل في حانوت نصف درهم في اليوم مع كسوته وطعامه,وأجرة عامل الحفر ثلاثة دراهم في اليوم وأجرة الحداد خمسة دراهم وأجرة عامل الحمام خمسة دراهم(٧) ويتقاضى العامل الذي يحفر القبور ما بين درهم وثلاثة دراهم عن حفر كل قبر(٨)وأجرة عامل البناء تتراوح بين قيراط وخمسة حبات(٩)وأشتغل عامل أسود عند أبي العتاهية مقابل رغيفين من الخبز كل يوم , فلما شكى العامل حاله زاده أبو العتاهية رغيفا" آخر(١٠).وحتى من كان يعمل منهم في دار الخلافة,فأن راتبه كان زهيدا"لا يتجاوز الثلاثين درهما"في الشهر,كما هو الحال بالنسبة للحرفيين الذين عملوا في قصر الخليفة المعتضد بالله (١١).

---

(١)الأصفهاني, الأغاني, ج١٢ ص ٩٠.
(٢)الثعالبي , ثمار القلوب ,ص١٧٢, أبن الجوزي, المنتظم ,ج٥ ص ١٤٢, بغداد, ص٣٢,
(٣)الخطيب , تاريخ ,ج٣ ص١٤٣.
(٤) البيهقي, المحاسن, ج١ ص ٤١١.
(٥) أبن كثير , البداية والنهاية, ج١٠ ص ١٨٥.
(٦)الخطيب , تاريخ, ج٦ ص ٢٧٥.
(٧)أبن الجوزي تلبيس إبليس, ص٣٨٤.
(٨)الجاحظ, البيان والتبيين, ج٣ ص٥٦٠, الأصفهاني , الأغاني, ج٣ ص ١٣٤.
(٩)الطبري, تاريخ, ج٧ ص٦٥٥, الخطيب البغدادي, تاريخ, ج١ ص٧٠.
(١٠)الأصفهاني, الأغاني,ج٣ ص١٣٣.
(١١)الصابي, الوزراء, ص٣٢.

ويمكن أدراك ضآلة الأجر اليوم للعامل في بغداد, إذا علمنا أن وجبة الغذاء التي كانت تقدم في أحد المطاعم تكلف ما بين دانق الى عشرين دانقا"(١) وأن باستطاعة العامل أن يعيش يومه بدرهم(٢) وأن قتر على نفسه يكفيه نصف درهم(٣) و يلاحظ أن الفقهاء ويعتبرون الشخص الذي يكون دخله مائتي درهم في السنة فما دون فقيرا" ويستحق الصدقة , لأنه بهذا المورد الزهيد لا يستطيع أن يحصل على الضروري من الحاجيات(٤)

ويبدو مما تقدم أن أجور الصناع والعمال كانت متدنية وبالتالي , فأن مستوى معيشة الصناع لم يكن بالمستوى الحسن , وهذا ما أشار إليه الجاحظ بقوله: أن الفقر ملازم للقصابين,والجزارين والشوائين وأصناف الصيادين, وكذلك ضارب اللبن أو الطيان و الحراث(٥), ولعل منشأ ذلك يعود الى أموالهم القليلة, ومثال ذلك أن رأس مال عامل كيزان بلغ مائة درهم(٦)ورأس مال بائع بقول كان دينارا" أو دينارين أو ثلاثة(٧)وبالمقابل بلغت رؤوس أموال التجار ألوف الدنانير, حتى ضمّ دكان أحد التجار متاعا" بمائتي ألف درهم(٨).

وفي سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م أراد المعتضد إغراء لص ليعترف بسرقة، فقال له: "متى أقررت أجريت لك في كل شهر عشرة دنانير تكفيك لأكلك وشربك وكسوتك وطيبك"(٩) .معنى ذلك أن عشرة دنانير في الشهر كانت تكفي الرجل الواحد ليعيش عيشة مقبولة.

ويذكر أن فقيها"فكرّ بضمان مستقبل ابنه،فقرر أن يخصص له دينارا" في اليوم طيلة حياته ، لأن ذلك يكفي الرجل المتوسط وعياله ،كما حفظ له مبلغا يعادل ذلك للطوارئ (١٠). وبذلك نلحظ أن ثلاثين دينار في الشهر كانت تكفي لمعيشة عائلة من الطبقة المتوسطة (١١).

وفي سنة٣٠١هـ/٩١٣م أفلس صاحب حانوت فأعطاه علي بن عيسى أربعمائة دينار فدفع مئتين منها لدائنيه ،واشتغل بالباقي ولم تنته السنة إلا وكان عنده ألف دينار(١٢).

ومن كان يبيع بيعا يسيرا" مثل بقلي ومن رأسماله دينار وديناران وثلاثة،يعتبر وارده ضئيلا"(١٣) ، وكان الزجاج يعمل بخرط الزجاج ويكسب" في كل يوم درهما" ودانقن أو درهم ونصف" وأراد أن يتعلم النحو على المبرد ،وكان المبرد "لا يعلّم مجانا"، ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها" فقال الزجاج للمبرد"أريد أن تبالغ في تعليمي وأنا أعطيك في كل يوم درهما" ،وأشرط لك أني أعطيك إياها أبدا" الى أن يفرق الموت بيننا، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه" (١٤).فلم يكن يبقى له إلا نصف درهم يعيش به.

---

(١)متز, الحضارة الإسلامية, ج٢ ص٢٨٥.
(٢)أبن الجوزي, أخبار الحق, ص١٣٨.
(٣) التنوخي، نشوار, ج١ ص ٢٧٤, الهمداني، تكملة,ج١ ص ٣٩.
(٤) صالح العلي, التنظيمات الإجماعية, ص١٦٠.
(٥)الجاحظ, الحيوان, ج٤ ص٤٣٢-٤٣٤.
(٦)التنوخي, نشوار, ج١ ص ٦٨.
(٧)المصدر نفسه, ج١ ص١١٧.
(٨)المصدر نفسه,ج٢ ص ١٠٤
(٩)المسعودي،مروج،ج٨ ص١٥٦,
(١٠)سبط بن الجوزي، ج١٢ص ١٩.
(١١)الدوري،تاريخ العراق الاقتصادي،ص٢٨٣.
(١٢)سبط بن الجوزي،ج١٢ ص٣٢.
(١٣)التنوخي،نشوار،ج١ ص٦٠.
(١٤)ن م ،ج١ ص١٣٤،الخطيب،تاريخ،ج٦ ص٨٩، والدانق : هو سدس الدّرهم الشرعي= قيراطان وثلث من الفضة= عشر حبات ، الجاحظ ، البخلاء ،ص ٥٨-٥٩.

وقد أوجد التفاوت الكبير في مستوى المعيشة هوة بين الفئة الخاصة المترفة وبين العامة مما أدى بالعامة أن تواجه هذا الواقع من الفقر وما رافقه من ارتفاع في الأسعار بطرق مختلفة أدت إلى بروز مجموعة من الظواهر الإجتماعية .

حيث لجأ بعض العامة الى الكدّية بسبب الفقر وخاصة الفقر بعد الغنى , حيث كان يتم تدريب الأبناء على الكدّية منذ الصغر, وكانوا يطرقون الأبواب ليلا" طلبا" للعطاء ومختلقين القصص من أجل جلب الاستعطاف (١) .

ولم يقتصر التسول على الرجال فقط وأنما شارك في ذلك النساء, وقد يتعاون الزوجان في ذلك ويلجآن للقضاء ويختلقان الأكاذيب حتى يعطيهم القاضي بعض الدراهم. وكان الرجال يتخفون ويظهرون بزي الرجال مرّة وبزي النساء أخرى وفي ذلك قال الشاعر (أحد المتسولين): وتارة أنا صخر وتارة أخت صخر (٢)

وكان المتسولون يغتنمون المناسبات والأعياد والاجتماع للصلاة من أجل الكسب الأكثر(٣) ويستغلون الاتجاهات الفكرية للكسب, حيث كان بعض المتسولين يجلسون على الجسر يتسول أحدهم بمعاوية والآخر بعلي ويتعصب الناس لهما ويجمعان القطع حتى إذا انصرفا اقتسما القطع(٤)وكانوا يستخدمون أسلوب الوعظ , وخاصة الوعظ في الجنائز ثم يطلبون العطاء(٥) أو يتسولون بقراءة القرآن الكريم(٦) وكان بعضهم يتمثل السيرة الحسنة في التعامل مع الناس من جيران وأصدقاء حتى يملاء كيسه من الأعطيات (٧) وقد صنف الجاحظ المتسولين الى أصناف حسب الأسلوب الذي يتم استخدامه لكسب المال(٨).

أن جذور هذه الظواهر تعود الى رغبة الفئة العامة الفقيرة , لأخذ ثأرها من الفئة المترفة, . ولم يكن دور العامة في مواجهة هذا الواقع باللجوء الى الأساليب السابقة فقط وإنما رافق ذلك تحرك شعبي يعبر عن رفضه ويطالب بتحسين الأوضاع وتزامن هذا التحرك مع ارتفاع الأسعار الذي لم يرافقه ارتفاع مماثل في الأجور مما يؤثر سلبا" في الوضع المادي لهم(٩) .

ومن هذه الظواهر التطفيل:والطفيلي هو الداخل على القوم من غير أن يدعى, فأخذوه من الطفل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته (١٠) وأرادوا ان أمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه ولا كيف دخل عليهم. وقيل ان طفيلي منسوب الى طفيل رجل بالكوفة من بني غطفان وكان يأتي الولائم من غير ان يدعى إليها وكان يقال له طفيل الأعراس والعرائس(١١).

وتسمي العرب الطفيلي الوارش والراتش الذي يدخل على القوم في شرابهم ولم يدع إليه(١٢).

وكان للطفيليين وصايا حتى لا يفتضح أمرهم .

كان طفيلي العرائس, يوصي ابنه عبد الحميد بن طفيل في علته التي مات فيها فيقول:

---

(١)الحريري, مقامات,ص٧٤-٧٥

(٢)ن.م, ص١١٢-١١٨,ص ٣٩٤-٤٠٠,ص ٦٩-٧٥, ص٧٦-٨٥.

(٣)ن.م, ص٥١-٦٨, ص١١٩-١٢٥, ص١٣٧-١٤٤.

(٤)ابن الجوزي, الأذكياء,ص ١١٥.

(٥)الحريري, مقامات,ص ٩٣-١٠٠,ص ١٧٦-١٨٠.

(٦)التنوخي, نشوار, ج٣ ص ٦١.

(٧)الحريري, مقامات, ص٣٥-٤١.

(٨)الجاحظ, البخلاء, ص٨٢-٨٤.

(٩) ابن الأثير،الكامل،ج٥ ص٣٢٧، زيدان،التمدن،ص٤٧،الدوري ،تاريخ العراق الاقتصادي،ص٩٢.

(١٠)بن عبد ربه, العقد الفريد, ج٥ ص ١٦٦.

(١١)ابن سيده،المخصص،ج٩ ص١٧٣.

(١٢)ابن الجوزي, الأذكياء,ص ٢٠٣.

إذا دخلت عرسا" فلا تلتفت تلفت المريب وتخير المجالس فأن كان العرس كثير الزحام فأمر وأنه ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا في عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء(١).
وكانت لهم أساليبهم في التطفيل ,كأن يدّعي أحدهم أنه رسول من غائب(٢) أو أنه أحضر رسالة أو شيئا" إلى العرسان من أخ غائب (٣) أو يدخل الى المنزل مع جماعة من المدعوين دون معرفتهم, أو ينوح على باب العرس فيتطير أهل العرس بذلك فيدخلونه.

يقول أحد الطفيليين (عثمان بن دراج):

لذة التطفل دومي　　　وأقيمي ولا تريمي

أنت تشفين غليلي　　　وتسلين همومي(٤)

---

(١)أبن عبد ربه, العقد الفريد, ج٥ ص ١٦٦-١٧٧, أبن الجوزي, الأذكياء , ص٢٠٥-٢٠٦.
(٢)أبن عبد ربه, العقد الفريد, ج٥ ص١٦٨.
(٣)أبن الجوزي, الأذكياء, ص٢٠٣-٢٠٥.
(٤)الأصفهاني, الأغاني, ج٥ ص٢٧٨-٢٧٩, ج١٦

وترد أولى الإشارات الى ارتفاع الأسعار في زمن الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)وأشتد الكرب على الناس وأصبحت الحياة صعبة في بغداد وصعبة على الناس. وقد رفع أبو العتاهية الى الرشيد ظلامة عن الأسعار وقلة سبل العيش المتوفرة لدى العامة فيقول:

من مبلغ مني الأمام نصائحا" متوالية

أني ارى الأسعار أسعار الرعية عالية

وارى المكاسب نزرة وأرى الضرورة قاسية

ولكن الخليفة لم يتخذ إجراء يذكرفي هذه الحالة , وأنما اكتفى بأن يطلب من الناس الدعاء والبكاء لعل الله يزيح هذه الغمة عنهم(١).

وفي أثناء حصار بغداد الذي فرضته قوات المأمون عليها ١٩٧هـ/٨١٢م كان من الطبيعي أن ترتفع الأسعار , وأن يتم احتكار بعض السلع بالإضافة الى أن طاهرين الحسين قائد جيش المأمون كان يضع العراقيل أمام السفن المحملة بالبضائع القادمة من البصرة وواسط, ولم يكتف بذلك بل واخذ من كل سفينة فيها حمولة ما بين الألف درهم الى الألفين والثلاثة(٢).

ويذكر أبن الأثير أنه في سنة ٢٠٧هـ/٨٢٧م " غلا السعر بالعراق" (٣) ولعل ذلك كان بسبب كثرة الفتن والاضطرابات التي شملت العراق بعد مقتل الخليفة الأمين(٤) وعندئذ تعذر على عامة الشعب شراء ما يحتاجونه من مواد ضرورية بسبب ضيق اليد مما دفعهم الى أن يستغيثوا من شدة الجوع وان يرفعوا شكواهم عدّة مرات الى المسؤولين دون جدوى(٥).

وهنا تجدر الإشارة الى ظهور جماعة لأول مرة على مسرح الأحداث في حصار بغداد الأول ١٩٧هـ/٨١٨م وهم العيارون والشطار(٦) وهم جماعة كبيرة من العامة(٧) ظهروا بشكل جماعة مسلحة لها تنظيم , فقد كان لكل عشرة منهم عريف ولكل عشرة عرفاء نقيب ولكل عشرة نقباء قائد , ولكل عشرة قوّاد أمير (٨) وكان تنظيما" يشبه تنظيم الجيش الاعتيادي ولكنه وصف لضعف تجهيزه وقلة عدته " كتائب الهرش" (٩) وكانت العناصر المكونة للشطار والعيارين مختلفة فبينهم العربي والكردي وفيهم البغدادي والسوادي(١٠) .

وهذا يدل على اتساع حركتهم الاجتماعية وأتفاقهم في القيام بحركتهم الموجهة ضدّ رجال الحكم و الأغنياء, وما كان ذلك إلا نتيجة لما كانت تعانيه عامة بغداد من قلق سياسي واقتصادي (١١)

---

(١)الأبشيهي , المستظرف في كل من مستظرف ,ص٨٢.

(٢)الطبري, تاريخ, ج٨ ص٨٦٤،المسعودي،مروج, ج٢ ص٢١٦, أبن خلدون , العبر, ج٥ ص٥٠٩.

(٣)الكامل ,ج٥ ص ٢٠٥, أبن طيفور, بغداد,ص ٧٥.

(٤)الطبري, تاريخ, ج٨ ص٦٤, الصابي, رسوم, ص١٨.

(٥)الطبري, تاريخ,ج٩ ص٣٤٣,ص ٣٤٩, أبن الأثير , الكامل,ج٥ ص٣٢٧, ٣٣١.

(٦)الطبري, تاريخ , ج٨ ص٨٧٢,ص ٨٧٧, ص٨٨١-٨٨٣, ص٨٨٥-٨٩٣, المسعودي, مروج, ج٦ ص٤٦٢-٤٦٣.

(٧)الطبري, تاريخ, ج٨ ص٤٤٨, أبن الأثير, الكامل, ج٥ ص١٥٨.

(٨)المسعودي, مروج, ج٦ ص ٤٦٢-٤٦٣.

(٩) الطبري, تاريخ , ج٢ ص ٨٧٢,ص ٨٧٧, ص٨٨١-٨٨٣.

(١٠)أبن الجوزي, المنتظم, ج٨ ص٨٨, الذهبي, العبر, ج٣ ص١٦١.

(١١)الدوري, نشوء الأصناف والحرف, مجلة كلية الآداب,ص ١٩٥٩ص١٥٧

وقد استبسل العيارون في الدفاع عن بغداد في وجه الأتراك،حتى كان منهم غلام لم يبلغ الحلم ومعه مخلاة فيها حجارة يرمي بها الأتراك فلا يخطيء وجوههم الا انهم جوبهوا بتراجع قوات المستعين ومفاوضتهم أصحاب المعتز،فثارت العامة بمحمد بن عبد الله طاهر ، وسبوه وشتموه ، وطوقوا دارة التي بها المستعين عدة مرات ، وطلبوا الى الخليفة الانتقال عنها ، وجهزوا الزواريق بالنفاطين واستعدوا لضرب محمد بن عبد الله ، وحاولوا منع المستعين من التنازل.

ولم تهدأ حركات العيالين بعد تنازل المستعين ، فقد اغتنموا فرصة شغب الجند من أجل الحصول على رواتبهم ، فانضموا إليهم ، ومنعوا الخطبة للمعتز ، وتحرك عامة الجانب الغربي وانتبهوا مراكز الادارة،فأمر ابن طاهر بإحراق الدكاكين التي على باب الجسر،تأديباً لأصحابها من التجار والعامة الذين ناصروا الجنود (١) .

واستمر موقف العامة من الأتراك في موقف المناوئ ، ففي سنة ٢٥٥هـ تحركت العامة وطالبت أمير بغداد بالإفراج عن أبي أحمد بن المتوكل قائد حرب المعتز ضد المستعين ، والذي نفاه أخوه المعتز . ووقعت بين المتقاتلين مجزرة قتل وغرق فيها كثير من البغداديين في الحرب التي خاضتها العام ضد حراس دار سليمان أمير بغداد.

وفي العام نفسه كانت للعامة حركة أخرى ، وقاتلوا صعاليك الري الذين استقدمهم سليمان إلى بغداد ، فأساؤا مجاورة أهلها وجاهروا بالفاحشة وتعرضوا للحرم والعبيد والغلمان . فتجمع الشاكرية والعامة وفتحوا سجن باب الشام وأخرجوا من فيه واضطربت الأمور حتى فقد أمير بغداد هيبته . وشجع جند المدينة عامتها على النهب حتى قيل أن عدد من شارك من العامة في النهب بلغ مائة ألف ، ووثبوا بمنازل الصعاليك ونهبوها بعد أن اضطر أصحابها إلى الفرار(٢).

بعد هذه المرحلة ، أصبحت حركات العامة وعياريها تتجه نحو مقاومة السلطة ممثلة بجنودها ، وبخاصة بعد عودة مقر الخلافة إلى بغداد ، فأصبحت القوة العسكرية المجردة في مقابل سلطة العامة التي عبرت عن نفسها بأشكال مختلفة .

ففي سنة ٢٦٩ هـ وثب العامة بالجند بعد أن رمى جندي امرأة بسهم ، فاستدعي السلطان على رئيس الجندي فامتنع من تأديبه ، بل قام زملاء الجندي برمي الناس بالسهام فقتلوا وجرحوا جماعة ، فردت العامة بأن قتلت جنديين ونهبت دار القائد ودوابه ففر هارباً من بغداد(٣).

وفي سنة ٢٧١ هـ وثب العامة على النصارى وخربوا الدير العتيق الذي وراء نهر عيسى وانتهبوا كل ما كان من متاع وقلعوا الأبواب الخشب وهدموا بعض حيطانه وسقوفه ونبشوا الموتى ، فصار اليهم الحسين بن اسماعيل صاحب الشرطة في بغداد فمنعهم من هدم ما بقي منه، وكان وكان يتردد إليه أياماً والعامة تجتمع في تلك الأيام حتى يكون بينهم وبين رجال الشرطة قتال ، ثم بنى بتأثير عبدون بن مخلد ما كانت العامة هدمته ، وعادت العامة في بيع ربيع الآخر من العام التالي فهدمت ما كان بني من البيعة وانتهبت مالاً عظيماً . وكان السبب ما أنكرته العامة من النصارى من ركوب الدواب(٤).

وفي سنة ٢٨٤ هـ أخذ نصراني شهد عليه بأنه شتم النبي فحبس ، فاجتمع العوام بسبب النصراني فصاحوا بالوزير وطالبوه بإقامة الحد ، ثم اجتمع أهل باب الطاق وما يليها من الأسواق ومضوا إلى الخليفة بعد أن اصطدموا برجال الشرطة الذين فروا أمامهم ، فخرج إليهم المعتضد وسمع شكواهم ثم أرسل معهم رسولاً إلى القاضي لينظر في ادعائهم (٥).

---

(١)الطبري،تاريخ،ج٩ص ٣١١،٣١٣،٣٥٣،٣٥٨-٣٥٩.
(٢)ن.م،ص ٣٩٢-٣٩٣،٤٠١-٤٠٣.
(٣)ابن الأثير،الكامل،ج٦ ص٥٠.
(٤) الطبري،تاريخ،ج١٠ص ٨٠،ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ ص ٨١-٨٢،٨٤-٨٥.
(٥) ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ص ١٧٠

وقد كانوا يتكونون من الفقراء وخاصة باعة الطرق وأهل السوق من الصناع وأهل الحرف، وهؤلاء تتعارض مصالحهم مع مصالح التجار و السلطة. وكانوا ينشطون عادة" في فترات الاضطراب ،وتسميهم المصادر باللصوص والغوغاء والأوباش و الزعار والأنذال (١) ،وتشعر هذه التسميات بنظرة الحاكمين والفئة الوسطى مثل التجار اليهم (٢).

ترد الإشارات اليهم على أنهم عصابات اعتيادية من اللصوص , تتجول في المدينة ولسان حال البعض منهم يظهر في قول أبن سيار الكردي رئيس إحدى هذه العصابات حين يبرر عمله قائلا" " أن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لأنهم منعوها وتجرّدوا فتركت عليهم , فصارت أموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء إليها" , فأذا أخذوا أموالهم ،وأن كره التجار أخذها، كان ذلك لهم مباحا" لأن عين المال مستهلكة بالزكاة , وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء أرباب الأموال أو كرهوا(٣).

وقد أشتد أمرهم و كثرت الكبسات في السنوات ٢٣١هـ/٨٤٦م(٤) ٣٢٨هـ/٩٤٠م(٥). ٣٣٣هـ/٩٤٥م(٦)ولم تقتصر السرقات على الدور وإنما في سنة ٢٣١هـ/٨٤٦م سرقوا من بيت المال في دار العامة في جوف القصر(٧).

ثم ظهروا بشكل جماعات كبيرة منظمة ومسلحة, في حصار بغداد الثاني ٢٥١هـ/٨٦٥م(٨) حيث " أمر محمد بن عبد الله أن يفرض من العيارين فرض، وأن يجعل عليهم عريف، ويعمل لهم تراس من البواريّ المقيّرة ،وأن يعمل لهم مخال تملأ حجارة،لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح،وكانوا يرمون بالآجر،فقسم ذلك فيهم وأثبت أسماءهم، ففعل ذلك وكان الرجل منهم يقوم خلف الباريّة فلا يرى منها. وكان العريف على أصحاب البواريّ المقيرة من العيارين رجلا يقال له ينتويه ويكنى أبا جعفر. ولما أعطي العيارون الكافر كوبات (مقارع) تفرقوا على أبواب بغداد وقتلوا من الأتراك ومن أتباعهم " ، وعندما انهزم أكثر عامة أهل بغداد في القتال ثبت أصحاب البواري"(٩).

---

(١)الطبري،تاريخ،ج٣ ص ٩٠٠،ص٨٧٢،ص٨٧٧.
(٢) الدوري،تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٠٨.
(٣)التنوخي, الفرج, ج٢ ص ١٠٦.
(٤)الطبري, تاريخ , ج٥ ص٢٨٤ , أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص ٣٩١.
(٥)الصولي , أخبار الراضي, ص١٣٩.
(٦)المصدر نفسه , ص٢٣٤, ص٢٧٦-٢٧٧.
(٧)الطبري, تاريخ, ج٥ ص ٢٨٤.
(٨)الطبري, تاريخ, ج٥ ص٢٥٥ وما بعدها.
(٩)ن.م،ج٥ ص٣٧٢-٣٧٦،ص٣٤٨.

وأصبحوا من الكثرة ببغداد بحيث أنهم كما عبر المقدسي" إذا تحركوا ببغداد أهلكوا"(١).

ولقد استعملت كلمة أخرى لتدل على العيار والشاطر وهي الفتى ،وكان ظهور هذه الكلمة بهذا المعنى في حصار بغداد الأول . وقد أستعملها أحد الشعراء عندما كان يصف دور العيارين في هذا الحصار حيث قال:

ليس يدرون ما الفرار إذا الأبطال	عاذوا من القنا بالفرار
واحد منهم يشد على ألفين	عريان ماله من ازار
ويقول الفتى إذا طعن الطعنة	خذها من الفتى العيّار(٢).

وكذلك قال أبن الجوزي أنهم يسمون بالفتيان(٣) لذلك كانت الكلمات : فتى وشاطر وعيار كلها ذات مدلول واحد ظهر منذ ظهور هذه الفئة من العامة.

---

(١)المقدسي, أحسن التقاسيم ,ص ١٣٦.
(٢)الطبري, تاريخ, ج٢ ص٨٨, المسعودي, مروج, ج٦ ص ٤٦٢-٤٦٣.
(٣)ابن الجوزي, تلبيس إبليس,ص ٣٧٨.

وتكررت أزمة الغلاء سنة٢٦٠هـ/٨٧٣م ودام ذلك شهورا" (١) وقد تكون زيادة الأسعار ببغداد متأثرة بالظروف السياسية والعوامل الإدارية فيذكر الصابي أنه لما خلع علي ابن الفرات خلع الوزارة زاد في ذلك اليوم ثمن الشمع قيراطا" وزاد سعر القراطيس لكثرة استعمالها(٢). وفي سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م "غلا السعر ببغداد وذلك أن أهل سامرّا منعوا سفن الدقيق من الانحدار إليها. ومنع الطائي ٢٧٢هـ/٨٨٥م أرباب الضياع من دياس الطعام وقسمه، يتربص بذلك غلاء الأسعار، فمنع أهل بغداد الزيت والصابون والتمر وغير ذلك من حمله الى سامرّاء ،وذلك في النصف من شهر رمضان(٣). وعلى أثر الشغب الذي أثاره الجند سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م ارتفعت الأسعار مرّة أخرى بأسواق بغداد (٤) ونهبت العامة الدكاكين (٥)وفي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م تحرك السعر ببغداد فشغب العامة ونهبوا الغلال ،ومنعوا الإمام من تأدية شعائر صلاة الجمعة ،وهدموا المنابر ،وأحرقوا الجسور،ونهبوا الغلال ،ونهبوا دار الشرطة، لأن حامدا" الوزير وغيره من القوّاد كانوا يخزنون الغلال (٦)، ويبدو أن تحرك العامة هذا قد أثمر , إذ أضطرت السلطة الى اتخاذ إجراءات حيث أمر الخليفة بفتح الدكاكين والبيوت التي لحامد وللسيده" أم المقتدر" ولأمراء وأولاد الخلفاء والوجوه من أهل الدولة وبيعت الحنطة بنقصان خمسة دنانير في الكرّ وبيع الشعير بحسب ذلك, وتمت مطالبة التجار والباعة أن يبيعوا بمثل هذا السعر (٧) ولكن هذه الإجراءات كان لها تأثير مؤقت , ويبدو أنها لم تضع حدا" لارتفاع أسعار المواد الغذائية التي تعتبر المواد الأساسيّة في القوت اليومي للفئة الفقيرة , الأمر الذي أدى الى تجدد شغب العامة ببغداد سنة ٣٠٨و٣٠٩هـ/ ٩٢٠و٩٢١م ضدّ الوزير حامد بن العباس بسبب غلاء السعر(٨).

وفي سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م" غلا السعر ببغداد وأقام الناس أياما" لا يجدون القمح فأكلوا خبز الذرة والدخن والعدس(٩). وعندئذ ضج الناس من غلاء السعر وكان الخبز قد صار أربعة أرطال بدرهم وأظهر قوم من بني هاشم المصاحف وشكوا الجوع(١٠).

---

(١) الثعالبي , ثمار القلوب, ص١٦٨-١٦٩, الصابي, الوزراء,ص ٦٣, الطقطقي, الفخري, ص١٩٦.

(٢) الطبري, تاريخ, ج٩ ص٥١, أبن الجوزي, المنتظم, ج٥ ص ٢١, أبن الأثير, الكامل, ج٥ ص٣٧٢.

(٣) الطبري, تاريخ, ج٥ ص ٥٩٣.

(٤)الصابي, الوزراء,ص ٢٨٣.

(٥)مسكوية, تجارب الأمم, ج١ ص٧٢-٧٣, أبن الأثير , الكامل, ج٦ ص١٦٣.

(٦) مسكوية, تجارب الأمم, ج١ ص ٧٣-٧٤.,أبن خلدون, العبر, ج٦ ص ٧٧٩،

(٧)مسكوية , تجارب الأمم, ج١ ص ٧٤, أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص١٥٦.

(٨)عريب, الصلة ,ص ٨٥, الأصفهاني, تاريخ سني ملوك الأرض, ص١٢٥, مسكوية, تجارب الأمم, ج١ ص٧٥, أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص١٥٦, أبن الأثير , الكامل, ج٦ ص١٦٣-١٦٦, السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص٣٨٠.

(٩)أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص ٢٧٧, أبن الأثير, الكامل, ج٦ ص٢٥١.

(١٠)الصولي, أخبار الراضي ,ص٦١.

وخلال سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م تجدد شغب العامة لغلاء السعر ووقعت بينهم وبين الجند مناوشات بباب الطاق (١). وفي سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع البلاء فيهم ووافى الجراد بصورة كثيرة جدا" , حتى بيع منه كل خمسين رطلا" بدرهم فارتفق الناس به من الغلاء (٢). وتكرر حدوث الغلاء سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م (٣) وقد أدى غلاء الأسعار الى أن شوت امرأة ولدها وجلست تأكله(٤).

ونتيجة لارتفاع الأسعار المتزايد , برزت حدّة التباين الاجتماعي وسوء أحوال الطبقة العامة, الناتج من تكديس الثروة بأيدي فئة اجتماعية محدودة العدد في الوقت الذي نجد فيه أن دخل العامة لا يكفي لسد الحاجات الأساسيّة(٥) . لهذا ارتفعت بين حين وآخر أصوات, أناس تعبر عن شدّة الضيق ولكن صرخات الفئة العامة لا تتعدى في الأعم الأغلب أسماع أصحابها. وحينئذ يكون تأثيرها محدودا"ودائرة عملها ضعيفة لا تلبث أن تخمد دون أن تكون قد حققت ما تصبوا أليه (٦)

وقد دفع هذا التباين الاجتماعي العامة الى ذم بغداد حتى ضاقت بهم فلم تعد تتسع لهم عيشا" ولا تصلح إلا للموسر على حدّ تعبير الشاعر في ذلك:

بغداد دار لأهل المال طيبه   للمفاليس دار الضنك والضيق

أصبحت فيها مضاعا" بين أظهرهم   كأنني مصحف في بيت زنديق(٧).

---

(١) الصولي , أخبار الراضي , ص٧١. أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص ٢٨٢. أبن الأثير, الكامل , ج٦ ص٢٥٧.

(٢)أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص٣٣١. أبن الأثير , الكامل, ج٦ ص ٢٩٤.

(٣)أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص ٣٣٥. أبن الأثير, الكامل, ج٦ ص٢٩٩.

(٤)التنوخي, نشوار, ج١ ص٣٥١.

(٥)أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص ١٧٤.

(٦)الكبيسي, الأسواق,ص ٢٩١.

(٧)ابن الفقيه, بغداد, ص١١٠-١١١.

الفئة الوسطى

أن من الصعب أيجاد حدود وشروط لتقسيم أفراد المجتمع الإسلامي في بغداد, بين فئة خاصة وعامة , خاصة بالنسبة للعلماء وكبار التجار , لهذا يمكن القول أن تصنيف العلماء وكبار التجار والملاكين الى فئة وسطى بين العامة والخاصة بناء على مدى العلاقة بين العلماء والسلطة (١) ودور الثروة في المركز الاجتماعي المتميز التجار، وكان هذا نتيجة للتطور الرئيسي في هذا العصر وهو نشاط التجارة،وظهور التجار كطبقة رأسمالية (٢).

كان العلماء يكونون ذلك الجزء من المجتمع المتعمق في الشريعة والعقيدة الإسلامية , لقد كانوا قضاة ورجال فقه وأئمة ومدرسين ،وكتابا وشعراء. وقد كان العلماء جزء من النخبة الإدارية والإجتماعية والدينية معا , ولم يكونوا فئة متميزة بل كانوا فئة متداخلة مع الفئات الإجماعية الأخرى . لقد كانت اتصالاتهم متنوعة الى درجة كبيرة مكنتهم من لعب دور حاسم في الكثير من الأحداث(٣).

وقد أهتم الخلفاء العباسيون بالعلماء فكانوا قريبين منهم بطريقة خاصة، فاستقدم المنصور الشرفي القطامي وأوكل اليه مهمة تأديب المهدي، واستدعى المفضل الضبي وعفا عنه وضمه الى المهدي، وقام المفضل بجمع مجموعة الشعر المعروفة ب " المفضليات " (٤). فكان المهدي من الخلفاء الذين قربّوا العلماء والشعراء و اهتموا بهم اهتماما ماديا ومعنويا(٥) وكان الرشيد يحب الشعر والشعراء ويميل الى أهل الأدب والفقه (٦) ،وكان لايكتفي بمن يقدم عليه من الشعراء بل يرسل في طلبهم ،فتكاثر الشعراء ببابه حتى ضاقت بهم بغداد ،وأصبح اذا أراد مجالستهم بعث رجلا" يثق به فيختار له أحسنهم(٧).
وكان أحمد بن ابي دؤاد عاش ايام المعتصم(٢١٨-٢٢٨هــ/٨٣٣-٨٤٢م) ، أول من افتتح الكلام مع الخلفاء وكانوا لا يبدؤهم أحد حتى يبدءوه (٨).

---

(١)محمد القدحات , الحياة الإجماعية ,ص٦١.
(٢)الدوري ،تاريخ العراق الاقتصادي،ص١٤٣.
(٣)ن . م , ص ٦٠-٦١.
(٤)الخطيب،تاريخ،ج٩ ص ٢٧٨.
(٥) اليعقوبي, مشاكلة الناس ,ص ٢٤, أبن عبد ربه , العقد الفريد, ج٣ ص٦٦, الأصفهاني , الأغاني ,ج٣ ص١٤٨ , ج١٦ ص ٢٨٤.
(٦) الطبري, تاريخ, ج٥ ص١٦-١٧ , أبن عبد ربه , العقد الفريد , ج٥ ص٢٥٠, الأصفهاني، الأغاني ,ج٥ ص١٦٠- ١٦١, ج١٣ ص١٠٠, التوحيدي , البصائر , ج٣ ص٣١.
(٧) التوحيدي، البصائر ، ج ٣ ، ص٣١ .
(٨)ابن خلكان، وفيات،ج١ ص٣١.

ويشار الى علاقة الواقدي بالمأمون ، حتى أن المأمون هو الذي بعث بأكفانه عندما توفي ودفن في مقابر الخيزران (١) ، وكانت وصية المأمون لعبد الله بن طاهر عندما ولي ديار ربيعه " ان أكثر من مشاورة الفقهاء" ولما دخل المأمون بغداد أمر أن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمون وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته(٢) .

ولمكانة العلماء فقد كانوا يدخلون على الخلفاء في من يدخل عليهم حتى أن إسحاق الموصلي طلب من المأمون أن يحيطه بفضل منه فيجعل دخوله عليه مع أهل العلم والأدب والرواة لامع المغنين ، ثم سأله أن يكون دخوله مع الفقهاء والقضاة ، فأذن له (٣).

وقد كانت مجالس العلماء والقرب من الخلفاء على درجات (٤) ،وكذلك كانت الهبات لهم وأعطياتهم (٥) ، ومع ذلك عانى بعض أهل العلم من حياة الفقر فقد كان أبو سليمان السجستاني المنطقي المشهور " بحاجة ماسة إلى رغيف وحوله وقوته قد عجزوا عن أجرة مسكنه" . وكان أبو سعيد السيرافي " عالم العالم وشيخ الدنيا" ،على حد تعبير تلميذه التوحيدي ،" ينسخ في اليوم عشر ورقات بعشرة دراهم ليعيش " (٦) .

وعلى الرغم من اشتراك بعض العلماء مع العامة في الفقر إلا أن الفقراء من العلماء لم يكونوا يعدون في زمرة العامة حتى لو زاولوا مهناً أرباحها قليلة (٧) . وذلك لأنهم لا تنطبق عليهم صفة الجهل، كما أنهم لا يمتلكون الثروة التي تضعهم ضمن الفئة الخاصة .

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم ج٦ ص١٦٧-١٦٩ ،ص ١٧١ ، أنظر الأصفهاني، الأغاني ج٧ ص١١٠ .
(٢) ابن طيفور ، بغداد ص٣٠ ،ص٣٦ .
(٣) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج٣ ص١١٩ .
(٤) الصولي ، أخبار الراضي ص٨-٩ .
(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٤ ص١٦٢-١٦٣ ، الثعالبي ، خاص الخاص ص٦٠ .
(٦) التوحيدي ، مثالب الوزيرين ص١٧ .
(٧) الخطيب ، البغدادي ، تاريخ ج٣ص ٢٣٥-٣٢١ ، إبن الجوزي ، المنتظم ج٨ ص٢٩٨ -٣٠٤ .

وكان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات يقول : أن أمير المؤمنين نقلني من ذل التجارة إلى عز الوزارة (١). ويذكر عن الوزير ابن الفرات أنه وصف ابن الجصاص بأنه رقيع عامي .(٢) ودخل أبو عبد الله ابن عوف (تاجر ذومال) على عبد الله بن سليمان بعد توليه الوزارة ، فقام له قياماً تاماً وعانقه فاستدعاه المعتضد وقال : ويحك تبتذل مجلس الوزارة بالقيام لتاجر (٣) . وقال ابن خلدون : ان خلق التجار نازلة عن خلق الأشراف والملوك ، ويوضح دور الثروة في الرفع من مكانة التجار ، فيقول : وقد يوجد منهم من يسلم من هذا إلا أنه نادر، فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظهوراً وشهرة بين أهل عصره (٤).

ولكن يجب أن لا نبالغ بأهمية هذه النظرة ، فعامة الناس كانوا يحترمون التجار ، وحتى الأشراف كانوا بحاجة إلى إرضائهم لما عندهم من الثروات (٥) ، حتى أن الدولة في أوقات الأزمات ، وعند تأخر جباية الضرائب ، كانت تقترض المال من التجار ،فقد اقترض طاهر بن الحسين سنة ١٩٨هـ/٨١٣م عشرين ألف دينار من التاجر سعيد بن مالك(٦)،والتجأ الوزير صاعد بن مخلد سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م الى التجار عندما تعرض لأزمة مالية اضطرته أن يقترض من التجار لتجهيز حملة لمحاربة الصفارين الذين امتنعوا عن حمل المال الى الحضرة(٧) ، كما نصح عبيد الله بن سليمان ت ٢٨٨هـ/٩٠٠م وزير المعتضد،ابنه ونائبه ان يقترض من التجار عند الضرورة (٨)، وبعد عزل علي بن عيسى من الوزارة ٣٠٤هـ/٩١٦م ،كتب ابن الفرات رقعة الى هارون بن عمران (جهبذ يهودي) بإعطاء علي بن عيسى ٢٠٠٠ دينار ليستعين بها(٩). وقد اقترض العامل الكلواذاني مئتي ألف دينار سنة ٣١٩هـ/٩٣١م (١٠)،وقد شكا الخليفة الراضي حين حصلت له أزمة مالية سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م بأنه لا يجد في عصره تجارا" أغنياء مثل ابن الجصاص " يجمل بمثلهم الملك ،ويلجأ اليهم" (١١) ولا يعني هذا أن الخليفة لم يعد يتعامل مع التجار ، وانما يدل على افتقاره لتجار كابن الجصاص يتعامل معهم (١٢).

---

(١) الثعالبي ، خاص الخاص ،ص ٥.
(٢) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٦٣ .
(٣) المصدر السابق ، ج١ ص٧٨ – ٧٩ .
(٤) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٧١٢ .
(٥) التنوخي ، نشوار ،ج٢ ص١٧ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج٥ ص١٣٠ – ١٣١ ، الدمشقي ، لإشارة ص٤٧، ص٦٨،ص٧١ و ما بعدها .
(٦)الطبري ،تاريخ،ج٨ ص٤٧٩.
(٧)الشابشتي،الديارات،ص ١٧٥.
(٨)الصابي، الوزراء،ص١٨٨.
(٩)الصابي، الوزراء،ص٣٣،مسكويه،تجارب،ج١ ص٦٦.
(١٠)مسكويه،تجارب،ج١ ص٢١٣.
(١١)الصولي، أخبار الرضي،ص١٦.
(١٢)الدوري،تاريخ العراق الاقتصادي،ص١٥٣.

وقد تمتع كبار تجار بغداد بمنزلة اجتماعية عالية ، وصاروا يسكنون في أحياء ودروب علية القوم ، قال ابن الجوزي "وكان لأرباب المروآت دروب تخصهم ، درب الزعفران بالكرخ لا يسكنه إلا أرباب المهن بل أهل البز والعطر ، ودرب سليمان في الرصافة مقصور على القضاة والشهود وكبار التجار "(١) .

وهذه المكانة للتجار ظهرت بشكل واضح في القرن ٣هـ / ٩م ، إذ تحولت نظرة المجتمع إلى التجارة ،وأصبح الاشتغال في أمور التجارة والمال قد يوصل صاحبه إلى منصب الوزارة ، فقد سبق للفضل بن مروان وزير المعتصم،أن مارس التجارة قبل أن يتقلد الوزارة (٢) ، كما أن الوزير محمد بن عبد الملك الزيات اشتغل بالتجارة،ووجدت له بيوت فيها أنواع التجارات(٣). وكان لعلي بن عيسى وعلي بن الفرات ، سلع تجارية معروضة في أسواق بغداد ،دون أن يعملا بصورة مباشرة في التجارة، واشتغل حامد بن العباس في بدء حياته بالتجارة ، وكان لازدياد ثروته ، وعظم مكانته أثر كبير في تقلده منصب الوزارة عام ٣٠٦هـ/٩١٨م (٤)اذ رشح لهذا المنصب لأنه ذو يسار عظيم (٥) ، وضياع كثيرة(٦) .

وهكذا صار المال يقوم بدوره في المكانة الاجتماعية و السياسية ، وأصبح شرطاً ضرورياً في التقدم الاجتماعي ورفع مستوى المعيشة لأصحابه (٧). فالثراء والمال وسعة اليد والسخاء كانت من جملة الشروط التي قد تؤهل صاحبها لأن يتولى الوزارة (٨). وهي اعلى المناصب السياسية والادارية بعد الخليفة.

---

(١) الصابي ، الوزراء ، ص٢٣ ،ابن الجوزي ، مناقب بغداد ،ص٢٨ .
(٢) الثعالبي ، الإعجاز والإيجاز ، ص١٠٢ .
(٣)الصولي ،أولاد الخلفاء،ص٢٦.
(٤) الصابي ، الوزراء ، ص٢٢٠-٢٢١ .
(٥) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ص٥٨ ، الصابي ، الوزراء ص٢٧٤ .
(٦) التنوخي ، نشوار ، ج٨ ص٦٣ .
(٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢ ص٣١٢-٣١٣ ، ج٣ ص١٠١ .
(٨)الصابي ، الوزراء ، ص٣٢ .

وبات الرأي العام لا يغضّ من شأن التجارة والتجار ، فقد امتدح الجاحظ استقلال التجار " لأنهم في أفنيتهم كالملوك على أسرتهم يرغب إليها أهل الحاجات ، وينزع إليهم ملتمسوا البياعات لا تلحقهم الذله في مكاسبهم ولا يستعبدهم الفزع لمعاملاتهم"(١) .

ولم يتمتع بالمكانة العالية جميع التجار، بل أولئك التجار الموسرون الذين يملكون الثروة الكبيرة (٢) . والذين يمكن اعتبارهم رأسماليي هذه الفترة ، فقد كان عند أحد الباعة في الجانب الغربي من بغداد من البضائع ما يبلغ ثمنه ٢٠٠,٠٠٠ دينار ، وكان لدى أحد تجار بغداد ثمانون ألف دينار مدفونة في بئر (٣) . وقد بلغت قيمة عقود الجوهر لدى ابن الجصاص مائتي ألف دينار (٤) .

ويمكن أن تدرك ضخامة ثروة ابن الجصاص من خلال المبالغ التي صادرتها منه الدولة ومع ذلك لم يتعرض للإفلاس ، فقد صودر سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨ م ، على ستة آلاف دينار (٥) ، وصودر مرة أخرى سنة ٣٦٢ هـ/ ٩١٤ م، وأختلف في مقدار ما خسره مابين عشرين مليون دينار (٦) وستة ملايين دينار (٧) في حين أن الوزير علي بن الفرات قدر المصادرة بعشرة ملايين من النقد والبضائع (٨) ، ومع ذلك بقي معه من النقود شيء كثير جداً(٩) . عدا ما كان بحوزته من البساتين والضياع التي قدرت قيمتها بحوالي سبعمائة ألف دينار ، ومن الجواهر والمتاع ما يساوي ثلاثمائة ألف دينار من الذهب والفضة المسكوكه (١٠) .

وقد بلغت قوة تأثير ابن الجصاص أنه هدد الوزير علي بن الفرات " لأقعدن الخليفة ولأحولن إليه من خزانتي ألف ألف دينار عيناً و ورقاً ، ولا أصبح إلا وهي عنده ، وأنت تعلم قدرتي عليها ، وأقول له : خذ هذا المال وسلم ابن الفرات إلى فلان واستوزره " (١١) .

وقد بلغ تأثير التجار على الدولة أن جعل أبو بكر بن قرابه الخليفة المقتدر يسند منصب قاضي القضاة إلى ابن أبي عمر بعد وفاة أبيه (١٢) ودفع بعض تجار الكرخ للوزير علي بن الفرات ثلاثين ألف دينار لقاء إطلاق سراح أحد المحبوسين (١٣).

هذا التأثير وهذه المكانة الرفيعة لم يحظ فيها الصنف الثاني الباعة العاملون في الأسواق والذين لا يستطيعون رفع دخلهم المتواضع إلا بصعوبة ، وكانوا يعدون من العامة لعدم امتلاكهم الثروة التي تعطي مكانة اجتماعية رفيعة في هذا العصر (١٤) .

---

(١) الجاحظ ، الرسائل الأدبية ،ص ١٥٦-١٥٨.
(٢) التنوخي ، نشوار ،ج١ ص٢٥ ، ابن الجوزي ، أخبار الحمقى ص٣٤-٣٧ ، المنظم ج٥ ص١٢٨ ، ج٦ ص١٢٧ ، ص٢١٢ ، ص٢١٤ .
(٣) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص١٦١ ، ج٨ ص٥٧ .
(٤) ابن الجوزي ، المنظم ، ج٦ ص٢١٤ .
(٥) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٥ ، مسكويه ،تجارب الأمم ، ج١ ص٨.
(٦) مسكويه ، تجارب ، ج١ ص٣٥ .
(٧) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٥ ، ابن الجوزي ، أخبار الحمقى ص٣٧ ، الذهبي ، دول الإسلام، ج١ ص١٣٤ ، ابن كثير البداية والنهاية ،ج١١ ص١٢٢ .
(٨) الصابي ، الوزراء ، ص٢٢٣ .
(٩) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٨ ، الفرج بعد الشدة ، ج١ ص١١٨، ابن الجوزي ، المنظم ، ج٦ ص٢١٢-٢١٦ .
(١٠)ابن الجوزي ، المنظم ، ج٦ ص٢١٢ .
(١١) الصابي ، الوزراء ، ص٣٠ ،ص ١١١ .
(١٢) الهمداني ، تكملة ، ج١ ص٦٧ .
(١٣) الصابي ، الوزراء ، ص٧٤ .
(١٤) الهمداني ، تكملة ، ج١ ص٣٩ .

ظاهرة البخل:

ومن الظواهر التي انتشرت في المجتمع ظاهرة البخل ، وخير دليل على انتشار هذه الظاهرة تأليف كل من البغدادي لكتاب البخلاء والجاحظ لكتاب البخلاء, والذي رمى من خلاله الى الإصلاح الإجماعي من خلال عرض الفساد وبيان قبحه, وقد رجا في مقدمة كتابه أن يكون ذا فائدة في ردّ البخلاء . الذين كانت لهم اجتماعات في المسجد وكانوا يدعون بالمسجديين (مجموعة من البخلاء يجتمعون في المساجد) . فقد اجتمع أناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة و التثمير للمال من أصحاب الجمع والمنع, وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب، وكالحلف الذي يجمع على التناصر , وكانوا اذا التقوا في حلفهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه التماسا" للفائدة واستمتاعا" بذكره(١) .

وكانت نظرة المجتمع لهذه الفئة من الناس , سلبية ونلمس ذلك في رسالة طاهر لأبنه حين ولاه ديار ربيعه سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م يوصيه فيقول : ولا تدخلن في مشورتك أهل الذمة والبخل فأن ضررهم أكثر من نفعهم, وليس شيئا" أسرع فسادا"لما استقتيت في أمر رعيتك من الشحيح وأعلم انه أول ما عصى به الإنسان ربه(٢) ويورد البغدادي في كتابه مجموعة الأحاديث النبوية , والأسفار التي تذم هذه الظاهرة (٣) . ويؤكد الجاحظ على إجماع الأمة على تقبيح هذه الظاهرة وأصحابها(٤).

وقد كان ينظر الى التوفير بازدراء كما أن الاقتصاد كان يعتبر بخلا" فكان الناس يهزؤون بالتجار لأنهم يجمعون ثروتهم من الحبات والقراريط والدوانيق وأرباع الدّراهم وأنصافها, وأن هذا الاتجاه قد أدى الى عرقلة النشاط التجاري(٥).

---

(١)الجاحظ, البخلاء, ص٥٣.
(٢)الطبري, تاريخ, ج٥ ص ١٥٦.
(٣)البغدادي, البخلاء, ص١-٦, ص١٠٠,ص ١٠٢-١٢١.
(٤)الجاحظ, البخلاء, ص١٩.
(٥)الدوري, تاريخ العراق الاقتصادي, ص١٢٠.

التركيب الديني للسكان:

أما إذا نظرنا الى التركيب الديني لسكان بغداد , فأننا نجد أن الغالبية كانت من المسلمين على اختلاف مذاهبهم, إضافة إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى(١) الذين كانوا يعيشون مبثوثين في محال بغداد المختلفة(٢) وفي محالهم الخاصة بهم(٣) فقد ذكرت المصادر قطيعة النصارى عند نهر طابق التي أقتطعها المنصور لهم(٤) . وذكر الخطيب أثناء حديثه عن أنهار بغداد قطيعة اليهود(٥) وكان في بغداد شارع خاص يدعى درب اليهود(٦) .

وقد دخلت النصرانية الى العراق منذ القرن الأول الميلادي وأخذت تنتشر بين سكانه من الفلاحين في السواد وأهل المدن , وفي بعض العشائر العربية في أطراف العراق , وعندما نظمت أدارة الكنائس النسطورية في مجمع عقد سنة ٤١٠م كانت في العراق مراكز للمطرانات والكنائس والأديره(٧) والراجح أن عددا" غير قليل من الفلاحين في منطقة بغداد , كانوا عند تأسيسها يعتنقون المسيحية, وعندما كان المنصور يبحث عن موقع لتشييد مدينته وجاء الى منطقة بغداد و كان فيها دير على دجلة وأوضح صاحبه للمنصور مزايا الموقع(٨) ويدعى هذا الدير الدير العتيق الذي نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطوريه (٩) .

ووجدت مجموعة من الأديرة في بغداد والتي كانت تعتبر بالإضافة الى الناحية الدينية لها, أماكن للنزهة فهي لم تكن تخلو من المتنزهين و الرواد(١٠) . أن وجود هذه الأديرة هو دليل على وجود النصارى خاصة في الجانب الغربي , غير أنه فيما عدا الدير العتيق لا يعلم تاريخ إنشاء هذه الأديرة, كما أنه لا يعلم مدى كثرة النصارى قرب كل من هذه الأديرة(١١).

وكان في العراق مجموعات يهودية , حيث كانت بغداد موطنا" لرئيس الطائفة اليهودية رأس الجالوت, ومركز اليهود الأول(١٢) فكان عدد اليهود ألف يهودي(١٣) وبشكل عام كانوا أقلية في بغداد , ومع ذلك كان لهم نشاط ملحوظ في التجارة الداخلية , ومع البلاد الأجنبية , وكانت لهم مدارس خاصة في سورا حيث صار التلمود بصورته النهائية، وفي فم الصلح(١٤).

---

(١)المسعودي, مروج, ج٩ ص١٤-١٥, الخطيب البغدادي, تاريخ, ج٣ ص٣٠٤.

(٢)أبو يوسف, الخراج, ص٧٢-٧٣, الطبري, تاريخ, ج٣ ص١٣٨٩, الماوردي, الأحكام , ٣٥٦, أبن الأثير , الكامل, ج١٠ ص ١٧١.

(٣)الحموي, معجم البلدان, ج٣ ص ٦٧٤.

(٤)أبن الفقيه, بغداد,ص ٤٤, الخطيب البغدادي, تاريخ, ج١ ص٩١, ياقوت , معجم البلدان, ج٤ ص١٤٣.

(٥)الخطيب البغدادي, تاريخ, ج١ ص ١٢٩.

(٦)ياقوت , معجم البلدان, ج٤ ص ١٠٤٥.

(٧)ميشل آلارد, بحث عن مسيحي بغداد نشر في العدد الخاص عن بغداد في مجلة Arabica ج٩ سنة ١٩٦٢, ص٣٧٥, ٣٨٨.

(٨)الطبري, تاريخ, ج٣ ص٢٧٥-٢٧٧ , أبن الفقيه, البلدان , ص٣١.

(٩)اليعقوبي, البلدان, ص٢٣٥.

(١٠)الشابشتي, الديارات, ص٣وص١٤وص٢٨وص٥٤وص٦٢وص٦٩وص٧٩و ياقوت , معجم البلدان, ج٢ ص٦٥٠.

(١١)صالح العلي, بغداد, ص٢٢٣.

(١٢)ياقوت, معجم البلدان,ج٤ ص ١٠٤٥.

(١٣)متز,الحضارة الإسلامية,ص٦٠.

(١٤) الجومرد, هارون الرشيد, ج١ ص١٩٤.

ولا يوجد في التشريع الإسلامي ما يقفل دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال(١) بل تكاد بعض الأعمال التجارية تكون مقتصرة عليهم وبذا أصبحت أقدامهم راسخة في الحرف التي تدر عليهم الأرباح الوفيرة فكانوا صيارفة وتجارا" ماهرين(٢) وسبب ذلك عزوف المسلمين عن الصيرفة التي اعتبروها ضربا" من الربا الذي نهى عنه الدين الإسلامي.

لقد مارس اليهود والنصارى التجارة والصيرفة وركزوا أعمالهم في سوق بغداد(٣)،وأثري هؤلاء ثراء" فاحشا" واشتهر منهم الجهبذان اليهوديان يوسف بن فنخاس وهارون بن عمران اللذان استطاعا أن يقرضا الدولة مبالغ كبيرة(٤) وظلّ اليهود يعدون من مياسير تجار العاصمة العباسية حتى الربع الأول من القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي. إذ اضطرت جماعة منهم الى ترك مدينة السلام عام ٣٣١هـ/٩٤٢م على أثر احتدام الصراع بين أمير الأتراك توزون وبين ناصر الدولة الحمداني, أمير الأتراك(٥) وكان عامة اليهود في القرن ٣ هـ/٩ م صباغين وصفارين وقصابين . إلا أن وضعهم تبدّل في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فكان منهم التجار والصرافون كما كان منهم الموظفون والإداريون أيضا"(٦). ويعود ذلك الى تطور النظام الاقتصادي في هذه الفترة ،والتنوع في تركيب السكان ،بحيث أصبح المجال مفتوحا" أمام الجميع لممارسة الأعمال . وكان كثير من كتاب الدواوين في بغداد من النصارى وقد عرف النصارى بحرف معينة منها كتّاب السلاطين(٧)وأطباء(٨)وصيارفة وتجارا(٩) وكان أغلب الصيارفة في أواخر القرن ٣هـ/ ٩م مسيحيين(١٠) ولكن اليهود بدءوا يزاحمونهم في هذه المهنة(١١) وكان بعض الصيارفة من المسلمين(١٢) وكان للصيارفة محله خاصة في الكرخ تدعى درب عون(١٣). ومن أهل الذمة العطارين(١٤) وفرّاشي الملوك(١٥).

---

(١)أبو يوسف, الخراج, ص٧١.
(٢)المصدر نفسه. ص١٢٣.
(٣)المقدسي, أحسن التقاسيم, ص١٢٦.
(٤)التنوخي, نشوار, ج٨ ص٢٥-٢٦. الصابي, الوزراء,ص ٨٠.
(٥)أبن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص٣٣١.
(٦)الدوري, تاريخ العراق الاقتصادي, ص٣٣.
(٧)الجاحظ, الرد على النصارى, ص١٧. التنوخي, نشواز, ج٣ ص١٧٢,ص ٢٦٦, ج٥ ص٧٧ .
(٨)الجاحظ,الرد على النصارى,ص١٧،التوحيدي,البصائر,ج٦ ص٢٢٣٦,أبن العبري,المختصرص١١٦.
(٩)أبو يوسف,الخراج, ص١٢٣،الجاحظ, الرد على النصارى ص ١٧،المقدسي,احسن التقاسيم,ص ١٢٦, ابن الجوزي, المنتظم, ج٦ ص٣٣١.
(١٠)الجاحظ, الرد على النصارى ,ص ١٧.
(١١)المقدسي, احسن التقاسيم,ص ٢٨٣.
(١٢)ابن الأخوة, معالم القربة,ص ٦٨-٦٩.
(١٣)التنوخي, نشواز, ج١ ص٢٠٤, ج٢ ص ١٨٦, مسكوية, تجارب الأمم, ج١ ص٢٤٧.
(١٤)الجاحظ, الرد على النصارى ،ص١٧، التنوخي, نشواز, ج٥ ص ٢٧-٣٠
(١٥)الجاحظ, الرد على النصارى , التنوخي, نشواز, ج٥ ص٦٦.

الفصل الثالث

الخدمات العامة في مدينة بغداد

١. الأوقاف
٢. المياه
٣. المساجد
٤. التعليم
٥. البيمارستانات
٦. الحمامات العامة
٧. خدمات أخرى
٨. ادارة المدينة

الأوقاف:

لقد نظمت الدولة بعض الخدمات الاجتماعية (العامة) للشعب ، وخاصة للفقراء ، فانشأت ديواناً خاصاً وهو" ديوان البر " لإدارة الصدقات والأوقاف الخيرية لمساعدة الفقراء (١). ويتولى القاضي الإشراف على الوقف وتعهده ،ويعمل على تنميته،ويتأكد من أن وارده يجمع كاملاً" وبصورة صحيحة ،و يصرف في أوجهه المخصصة لها، ويتولى رعاية الأيتام، ويختار الشهود (٢) ومن الأوقاف الأراضي الوقفية التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية فيكون واردها للأراضي المقدسة (مكة والمدينة) وللمجاهدين ، أو للفقراء أو المحتاجين أو لليتامى أو لفك رقاب العبيد ، أو لبناء المساجد والحصون ، أو للمنافع العامة الأخرى (٣) .

ويكون الوقف خاصاً أو رسمياً .فالأوقاف الخاصة يوقفها بعض الأتقياء من الأمة (٤) فمثلاً أوقف نقيب الطالبين أبو محمد الموسوي قبل وفاته سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م كل أملاكه للفقراء(٥) . وكان الوقف أحياناً ضمان لتمتع الذرية بوارد الأملاك بصورة دائمة(٦) .

وقد أوقف المقتدر بناءً على مشورة الوزير علي بن عيسى ،ضياعاً حول بغداد وكان واردها السنوي ثلاثة عشر ألف دينار ، وضياعاً في السواد بلغ واردها ثمانين ألف دينار (٧) .

وقد أوقفت أم المقتدر أراضي واسعة (٨) على مكة والثغور والمساكين والضعفاء (٩).

وفي سنة ٣٠١ هـ/٩١٣ م خصص علي بن عيسى رواتب للمؤذنين والأئمة في المساجد وللفقراء الذين يلجئون إليها وأصلح حال المستشفيات في بغداد وأمر بتخصيص ما يكفي من الأدوية والأشربه ، وغيرها مما يحتاجه المرضى فيها (١٠) .وكتب سنة ٣٠١ هـ/ ٩١٣ م إلى سنان بن ثابت أن يعتني بالمسجونين وأن يرسل الأطباء يومياً إلى السجون ومعهم الأدوية والأشربة لمعالجة المرضى ، فنفذ أمره(١١) .

وكان حميد الطوسي ، جواداً" سمحاً"وقف ضياعاً غلتها في السنة مائة ألف دينار ، على أهل البيوتات وذوي الأقدار وكان لا يرد أحداً (١٢) .

ولا يكون الوقف إلا من الأملاك الخاصة(١٣) ،وإذا تم وقف الأراضي لم يعد بالإمكان بيعها ، ومصادرتها ، فلما أرادت أم المقتدر أن تتصرف ببعض أراضي الوقف ، رفض قاضي القضاة احمد التنوخي الإفتاء بذلك . وأيد المقتدر القاضي في موقفه(١٤) .

---

(١) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص١١٩-١٢٠، مسكويه ، تجارب الأمم ،ج١ ص١٥١،الصابي ، رسوم ص٢٨٦ ، ياقوت ، معجم الأدباء ، ج٥ ص٢٧٩ .

(٢) الجاحظ ،البخلاء ،ص٧٧،التنوخي،نشوار ،ج٣ ص١٦،الصابي،رسوم،ص١٢٣،الماوردي،الأحكام السلطانية،ص٦٧،ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص٤٠،ص٢٠١-٢٠١.

(٣) الصابي،رسوم،ص ٢٨٦،ابن الأثير،الكامل،ج٨ ص١٨٢،ابن الطقطقي،الفخري، ص٢٤٦ .

(٤) عريب ، الصلة ،ص ١٣١ .

(٥) الذهبي ، دول الإسلام ،ص ٦٨ .

(٦) الجاحظ ، البخلاء ،ص ٧٧ ، ابن طيفور ، بغداد ،ص ١٠٤ .

(٧) عريب ، الصلةص ١٣١،ياقوت ، معجم الأدباء ج٥ ص٢٧٩ .

(٨) مسكويه ، تجارب الأمم ج١ ص٢٤٥ .

(٩) ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٦ ص٢٥٣ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ،ج٨ ص٥١ .

(١١) القفطي ، أخبار الحكماء ،ص ١٩٣ .

(١٢) اليعقوبي ، مشاكلة الناس .

(١٣) عريب،الصلة ص١٣١،الصابي،الوزراء،ص٢٨٨. ابن الطقطقى ، الفخري ، ص٢٦٤. (١٤) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص١١٩ -١٢٠ .

المياه :

من الخدمات الأساسية في المدينة توفير المياه داخل المدينة،نظرا" لأهمية الماء وضرورته للشرب والاستعمالات اليومية وللطهارة ولأغراض أخرى. ويذكر أن المنصور أمر بعد سماعه ملاحظات وافد الروم بمد قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة،وقناة من نهر كرخايا الآخذ من نهر الفرات،وجرهما الى مدينته في عقود مثبته من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها . وكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض وتجري صيفاً وشتاءً لا ينقطع ماؤها في وقت(١). ويذكر اليعقوبي " وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا وهو النهر الآخذ من الفرات فأتقنت القناة وأجريت إلى داخل المدينة للشرب وبني الطين "(٢). وقد جر المنصور لأهل الكرخ نهرا" مكشوفاً (٣) ،ويذكر سهراب الأنهار التي تجري في الحربية وهي تأخذ من نهر الدجيل في قنوات تحت الأرض وأوائلها مكشوفة (٤) .وقد أمر المنصور فعمل له دولاب أجرى ماءه إلى القصر ، فكان يخترق المدينة المدورة حتى يوافي القصر(٥) .

وقد وفرت هذه القنوات الماء لإستعماله في مختلف الأغراض ، غير أنها لم تغن عن وجود طرق أخرى،لإيصال الماء الى الدور والمساجد وهنا ترد إشارات غير قليلة الى السقائين (٦) الذين كانوا ينقلون الماء الى بغداد بالقرب والروايا والسقايات مما أوجد في بغداد عددا كبيرا منهم ، وكانوا يبيعون الماء في الأسواق والمحلات وغالباً ما كان يشتريها المقتدرون من الأغنياء والتجار وكبار رجال الدولة .

---

(١) اليعقوبي،البلدان،ص٢٥٠، الخطيب البغدادي ، تاريخ ج١ ص٧٩ ، ابن الجوزي ، مناقب بغداد ،الصاروج: النورة وأخلاطها التي تصرّج بها النزل وغيرها وهي فارسية معربة، ابن منظور، لسان العرب، ج٤ ص ٢٩.
(٢) اليعقوبي ، البلدان ،ص ٢٥٦ .
(٣) الخطيب ، تاريخ ، ج١ ص٧٩ ،ص ١١٤ ، ابن الجوزي ، مناقب ص١١ .
(٤) سهراب ، عجائب ،ص ١٣٤ ، الخطيب ، تاريخ، ج١ ص١٤ .
(٥) ابن الفقيه ، البلدان ،ص ٢٨٩ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ص١٣٧ .
(٦) أبو يوسف ، الخراج ، ص٥٠ ، التنوخي ، نشوار ، ج٢ ص٥ ، ابن الجوزي ، مناقب بغداد ص ٣١.

و كانت حرفة السقاية حرفة العوام ، أو حرفة من لا حرفة له (١) وقد تبارى السقاعون في كل ما يتصل بنظافة قربهم «بل عمد بعضهم الى تطييبها بالعطور الزكية كالمسك لتكون أحسن مذاقا"(٢).وقد كان لهم على شاطئ دجلة مشارع مخصوصة يسمح لهم فيها بأخذ الماء نظيفا" الى حد ما وغير ملوث وخال من الشوائب ، وقد اشتهرت في بغداد الغربية مشرعة على شاطئ دجلة قرب باب خراسان أسمها مشرعة الروايا (٣) .

وكان أكثر شرب أهل بغداد من ماء دجلة،وكان السقاعون يأخذونه إما من النهر مباشرة ويحملونه الى الدور او من مواضع تقوم مقام الخزانات وتغذيها ومن قنوات صغيرة،أو من القنوات الرئيسية المعقودة والمحكمة بالصاروج والآجر(٤). وكانت الجواري تستسقي الماء بواسطة الجرار(٥).

وكانت الحكومة مسؤولة بالدرجة الأولى عن إنشاء القنوات والسدود وخزانات المياه ، ويتولى ذلك ديوان الخراج وكانت تستخدم لذلك الغرض عدداً كبيراً من المهندسين (٦) . وكانت الحكومة تطلب من الملاكين أحياناً أن يشاركوا في تطهير القنوات ، ففي سنة ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م أمر المعتضد بكري الدجيل وطلب من أصحاب الإقطاعات والضياع على هذه القناة أن يقدموا ٤٠٠٠ دينار للنفقة على ذلك (٧) .

ومن الطرق الأخرى لإيصال المياه الى الدور السقايات والمزملات ، والسقايات هي الموضع التي يتخذ فيها الشراب في المواسم وغيرها (٨)،وقد اتخذت أهمية كبيرة في بغداد وعمد الخلفاء والموسرون وأهل الخير إلى إنشاء عدد منها في بغداد للفقراء الذين لا تتيسر لهم الأموال اللازمة للحصول على الماء النقي الصالح للشرب من أصحاب الروايا(٩)وتوجد سقاية في جامع المنصور في الجانب الغربي من بغداد (١٠) أما المزملات فهي عبارة عن جرة أو خابية يبرد فيها الماء وهو متوفر في معظم أسواق بعداد ومساجدها ومبانيها العامة (١١) .

وفي فترة إمرة الأمراء ٣٢٤-٣٣٤ هـ/ ٩٣٥-٩٤٥ م أهملت القنوات وخربت البلاد نتيجة المنازعات والحروب بين الأمراء الطامحين و الجند ، ففي النزاع بين بجكم وابن رائق خرب ابن رائق نهر ديالي ، وفعل أفعالاً كانت سبباً لبثق النهروان(١٢). واعتقد علي بن عيسى أن حفظ نظام الري هو العامل الرئيسي في رفاه البلاد . فلما استشاره معز الدولة البويهي سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م عن سبب خراب البلاد آنذاك ،أجاب " ومن أولى ما نظر فيه الأمير وقدمه، سد هذه البثوق في الأنهار وهي الفساد وخراب السواد " (١٣).

---

(١) التنوخي ، الفرج ، ج٢ ص١٥ ، الطقطقي، الفخري ص٣١٠ .
(٢) الطقطقي ، الفخري ،ص١٦ .
(٣) أحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ،ص ١٩٣ .
(٤) اليعقوبي،تاريخ،ص٢٥٠.
(٥)البيهقي،المحاسن،ج٢ ص٨٢.
(٦) الصابي ، رسوم ،ص ٢٨٦ .
(٧) الطبري، تاريخ ، ج٣ ، ص٢١٥٣ .
(٨) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ص١٦٧ .
(٩) محمد القدحات ، الحياة الاجتماعية في بغداد (١٨٢-١٨٣) .
(١٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ص٢٤٥ .
(١١)عماد عبد السلام رؤوف ، مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ، مجلة المورد ، بغداد ، مجلة ٨ ، العدد ٤ ١٩٧٩ ، ص ١٧٧ .
(١٢)الصولي ،أخبار الراضي ، ص١٠٨ .
(١٣) مسكويه ، تجارب ، ج٢ ص١٠

المساجد :

ان المسجد الجامع يعتبر مؤسسة هامة في المدينة الإسلامية ، إذ أنه مجمع أهل المدينة (١) وقد لعب المسجد دوراً هاماً في حياة المسلمين منذ البداية . وأول جامع في بغداد بناه المنصور ١٣٦-١٥٨ هـ/٧٥٤-٧٧٥ م ملاصقاً لقصره المعروف بقصر الذهب (٢) ثم بنى المنصور عام ١٥٧هـ/ ٧٧٣ م جامعاً ثانياً في الشرقية(٣) وبعد عامين ١٥٩هـ/٧٧٧ م شيد المهدي مسجداً جامعاً ثالثاً في الرصافة(٤) .ثم بني جامع في دار الخلافة أيام المكتفي ٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٤-٩٠٨م ،بعد أن كانت الجماعة تصلي في ساحة القصر أيام المعتضد ٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م ثم تولاه بالإصلاح والتوسيع الخلفاء من بعده لاتصاله بدار الخلافة العباسية من جهة ووقوعه في قلب بغداد من جهة أخرى (٦) .

ولقد اهتمت عامة الناس في بغداد ببناء المساجد فكان سكان كل حي من أحياء بغداد يتعاونون على بناء مسجد حيهم، وأشهر هذه المساجد المسجد المقام قرب قنطرة الصراة ، والمسجد الذي بناه عبد الله بن حرب في الحربية ، ومسجد آل قحطبة في شارع المخرم (٧).

ولم يقتصر دور المسجد على كونه مكاناً للعبادة فقط ، وإنما هو المكان الأول للتعليم قبل إنشاء المدارس في القرن ٤هـ/١٠م ، وهكذا نجد أن في مساجد بغداد مجموعة من المجالس المتنوعة الأهداف وقد حازت مجالس التعليم على الاهتمام الأكبر وأشهر مراكز التعليم زمن المنصور كان جامع المنصور الذي شيده عام ١٤٥هـ/٧٦٢م (٨) ،وقد بلغت مساحته اربعين ألف ذراع (٩).

---

(١) الدوري ، المؤسسات،ص٩ .
(٢) الخطيب ، تاريخ ،ج١ ص١٠٨، ابن الجوزي ، مناقب ، ج١ جواد و سوسه ، دليل خارطة بغداد ص٥٧ .
(٣) البلاذري ، فتوح،ص ٢٨٥ ، الخطيب ، تاريخ ،ج١ ص٨٠-٨١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ص٢٥٤.
(٤) ابن طيفور ، بغداد ص ١٤٥ ، الخطيب ، تاريخ ، ج١ ص١١٨ ، ابن الجوزي ، مناقب ص٢١ .
(٥) مسكويه ، تجارب ج١ ص٧٤ ، الخطيب، تاريخ ، ج١ ص١٠٩ ، ابن الجوزي ، المنتظم،ج٦ ص٣٣
(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٦ ص٣٣ ، جواد و سوسه ، دليل خارطة بغداد ص ١٢٩ .
(٧) ابن الجوزي ، مناقب ، ص٢٠-٢٤ .
(٨) آدم متز، الحضارة ، ص١٢٠ .
(٩)الخطيب،تاريخ،ج١ص ١٠٧.

و كانت تعقد فيه حوالي خمسين حلقة عندما زاره الإمام الشافعي في أواخر القرن الثاني للهجرة، وكانت رواية الحديث هي الموضوع الغالب فيه ، وكانت أمنية كبار الشيوخ أن يحدثوا فيه ،و من الحلقات المهمة فيه حلقات الفقه للحنابله ، وحلقت الشافعية ، وكانت تعقد فيه مجالس الفتوى لأهل المذاهب ، وكانت حلقات تدريس الفقه أول الحلقات التي اتصفت بالدوام، ومن ذلك حلقة ابن اسحق ابراهيم بن احمد المروزي ٣٤٠هـ/ ٩٥١م ، وفي هذه الحلقة كان الإمام الأشعري يلقي دروسه في علم الكلام (١) وكان التحديث في جامع المنصور يتطلب أحياناً الحصول على إجازة خاصة من نقيب الأشراف أو غيره (٢) كما عقدت فيه مجالس الشعراء التي كان يجتمع فيها شعراء بغداد في كل يوم جمعة لإنشاد أشعارهم في موقع عرف بقبة الشعراء أو قبة الشعر(٣).

أما جامع الرصافة الذي بناه المهدي عام ١٥٩هـ/٧٧٥م شرقي بغداد فلم تكن له أهمية جامع المنصور ، ولكن عدداً من القضاة عقدوا مجالس القضاء فيه وبالنظر إلى سعته كان بعض كبار المحدثين يفضلون الجلوس في جامع المنصور, وقيل أنه احتشد فيه في أحد المرات أكثر من مائة ألف مستمع حديث(٤).

وهنالك عدد من المساجد التي انتشرت في بغداد وعقدت فيها مجالس العلم منها مسجد نهر البزازين و كانت تعقد فيه بعض مجالس الحديث(٥) . وقد كان المسجد قبلة أنظار الأساتذة والطلاب في ذلك العهد ،ومما يدلنا على ذلك ، أن الخطيب البغدادي عندما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات ،وسأل الله ثلاث حاجات ،الحاجة الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد، والثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور، وكان الكسائي يجلس في جامع المنصور ليقرأ في علوم اللغة، وكان الفراء وابن السعدان بعض تلامذته(٦).

---

(١) الخطيب ، تاريخ ، ج٤ ص١١،ج٤ ص٤٦-٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص١٠٧ ،ص٣٥٤ ،ج٢ ص٦٨-٦٩ ، ص٣٦٢-٣٦٣ ، ص٢٩٠ ،ج٣ ص٤٠،ص٤٢، ص٢٣٦، ج٤ ص٩٩ -١٠٠ ،ص ١٨٩-١٩٢، ص٢٣٩-٢٤٠،ج٥ ، ص٥١-٥٢،ص٧١،ص٢٥٦،ص٢٦٣،ج٦ ،ص١٣٩ ج٧ ، ص٢٦٧،ص٣٤٣،ص٣٦٦،ص٣٦٧،ج٨ ،ص ٧٥،ج١١ ،ص ٣٢ ص٥٨،ص٨٦،ص١٣٧،ص٣٤٧،ص٤٦٣-٤٦٥.

(٣) المصدر نفسه ،ج٥ ص١٩٠ ، ج٦ ، ص٤٩، ج٧ ص٨٧، ج٨ ص٢٤٩-٢٥٠،ج١٣ ص٢٧٧ ، ص٢٧٦،ج١١ ص٣٤٦-٣٤٧،ج١٤،ص ٧٦،ص٣٩٣،ص٤٠٥،المدارس في الإسلام ،ج٢ ص٥٣ .

(٤) المصدر نفسه، ج١ ص١٠٩،ج٣ ص١٠٤،ج١١ ص١٩٧-١٩٨،ج٤٧ ص ١٢٢ - ٢٤٨، ص٣٠٨،ج١٤ ص١٩٤،ص٣٢٢-٣٢٣.

(٥)المصدر نفسه ،ج٤ ص٣٦٦-٣٦٧ .

(٦) ياقوت،الإرشاد،ج١ ص ٢٤٦،معجم الأدباء ج١ ص٢٤٦-٢٤٧.

اشتهرت بعض المساجد بدروس القراءات كمسجد نهر القلايين ومسجد باب الكناس الذي كانت فيه حلقة للتصوف ومثله مسجد سمال(١) ومسجد باب الجسر ملتقى الشاعر أبي العتاهية وبعض زملائه الشعراء حيث كانوا يتناشدون أشعارهم ، ومسجد الصحابة الذي كانت فيه حلقات للقراءات (٢). وكان مسجد السوق العتيقه من مراكز التعليم المهمة عند الشيعة وكانت فيه حلقة درس الحديث(٣).

وكان بوسع المرأة الذهاب إلى المسجد وحضور الدروس المفتوحة بالإضافة إلى بعض الدروس الخاصة التي كانت تلقى عليهن ، مثل دروس الإمام أحمد بن حنبل للنساء ، وكان يلقيها في المساء في أماكن خاصة كالبيوت(٤) .و كان للمحتسب رقابة على العاملين في المساجد من القومة والمؤذنين والقراء والأئمة(٥).

---

(١) الخطيب ، تاريخ ، ج٣ ص٢٧٦، ج٥ ص٣٧٣، ج٩ ص٣٩٤، ج٧ ص٣٤٣-٣٤٤ ،ص٣٦٦-٣٦٧ ،/ ٤٢٥،ج١١ ص٣٩٠ ،ص ٤٣٣ ، ج١٣ ص١٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٦ ص٢٥٠- ٢٦٠ ، ج٧ ص٤٣٠ ، ج١٢ ص٢٠٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ص٩٠ ، ج٨ ص١٦-١٧ ، ج١٢ ص٢٠٣-٢٠٤.

(٤) المصدر نفسه ،ج٢ ص١٤-١٥ ،ص٢١٧ ، ج٣ ص١٤٣ ،ص١٥٦،ص٣١١،ج٤ ص٤١-٩٢ ،ص ٦٩-٧٠ ،ص ٨٥ ،ص١٩٢-١٩٣ ، ج٥ ص٤٦٩ ،ج٦ ص٣٦ ،ص١٢١ ، ص١٩٢-١٩٤ ،ص ٢٥٤،ص٣٣٨ - ٣٤٠، ص٣٥٤ ، ج٨ ص٨-٩ ، ص٢٢،ج١١ ص٢٥٦،ص٣٦١،ص٤٥٦-٤٥٧،ج١٤ ص١٥٣ ،ص٤٣٩،ص ٤٤٢-٤٤٣ .

(٥) ابن الأخوة ، معالم القريةص ١٧٢ .

التعليم:

ان عملية التعلم كانت تتم في المساجد والكتاتيب وفي هذه المرحلة كان التعليم خارج إشراف الحكومة أو سيطرتها، حتى القرن الخامس الهجري فقد كان التعليم حرا"(١).

وكان الفقهاء أكثر العلماء تلامذة،وكان ذلك طبيعيا" لأن الفقهاء يعلمون العلم الذي يؤهل أصحابه لتولي مناصب يعيشون منها،فكان لابد لمن يريد تولي القضاء والخطابة في المساجد من التتلمذ عليهم، يقول الجاحظ"وقد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن،ويجالس الفقهاء خمسين عاما"، وهو لا يعد فقيها" ،ولا يجعل قاضيا"،فما هو إلا أن ينظر في كتب أبي حنيفة وأشباه أبي حنيفة، ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة او سنتين،حتى تمر ببابه فتظن أنه من بعض العمال، وبالحرى ألاّ يمر عليه من الأيام إلا اليسير ، حتى يصير حاكما" على مصر من الأمصار أو بلد من البلدان "(٢).

وكانت معظم دروس الفقه والكلام تعطى في المسجد والمستمعون على هيئة حلقة بين يدي المدرس .وكان المدرس يتخذ مكانه الى جانب اسطوانة في المسجد مستندا" إليها بظهره إن أمكن ،وإذا اقترب أحد من هذه الحلقة سمع النداء :دوروا وجوهكم الى المجلس(٣)،وقد جلس ابراهيم بن محمد نفطويه (ت ٣٢٣هـ/٩٣٥م)،وكان من أكبر العلماء بمذهب داود الأصبهاني الظاهري ، الى اسطوانة بجامع المنصور خمسين سنه لم يغير محله(٤).وكان في كل جامع كبير مكتبة،لأنه من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع(٥).

وكان هنالك جهات وقفية وأفراد يقدمون المساعدات القيمة،في مقدمتهم الأساتذة الأغنياء مثل ابن المبارك ،احمد بن حنبل،وكان بعضهم يخص تلاميذه بمرتب جار ،وكان هناك من أوقف ممتلكاته على طلبة العلم ،أما الخلفاء والولاة فكانوا يبعثون المال الى الشيوخ لتوزيعه على الطلبة(٦)، وظهرت الكتاتيب المجانية مثل كتاب اليتامى الذي أنشاه يحيى بن خالد (٧) .

ولما أنشئت الكتاتيب وتولى حفظة القرآن العمل بها،أصبح القرآن الكريم نقطة الارتكاز في هذه الدراسة،وتبعته بعض المواد الأخرى ،فيوصي الغزالي بأن يتعلم الطفل في الكتاب القرآن ،وأحاديث الأخبار،وحكايات الأبرار وأحوالهم،ثم بعض الأحكام الدينية، فالشعر(٨)، ويضيف مسكويه مبادئ الحساب،وقليلا" من قواعد اللغة العربية(٩)،ويضع الجاحظ منهاجا" مفصلا" منه " ولا تشغل قلب الصبي بالنحو إلا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن،ومن مقدار جهل العوام،ورواية الخبر الصادق،ويعرف بعض الحساب دون الهندسة والمساحة ".وكان المعلمون يعنون عناية خاصة بتحفيظ الفتيات سورة النور(١٠). وكان يدعى من يعلم في هذه الكتاتيب بمعلم الصبيان أو معلم الكتّاب (١١).

---

(١)الدوري ،المؤسسات،ص٢١.
(٢)الجاحظ،الحيوان ،ج١ ص٤٣-٤٤.
(٣)المقدسي ،أحسن التقاسيم،ص٢٠٥.
(٤)ياقوت،الإرشاد،ج١ ص٣٠٨.
(٥)ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج١ ص٥٥.
(٦)الخطيب،تاريخ،ج٢ ٣٧٢،ج٥ ص٢٢،ص٤٠٥،ج٧ ص٢٥٨،ج٦ ص٤،ص٣٤،ص٢٧٥، ص٣٣٨،ج٨ ص١٩٤، ص٤٢٨،ج٩ ص٢٧٥،ص٤٥٦،ج١٠ص١٦٠،ص٣٠٨-٣٠٩،ج١١ ص٢٠،ص٤٤،ص٣١٢،ص٣٦٧،ج١٢ص٢٧٨،ص٤٨٣،ج١٣ص١٦٠-٣٦١،ج١٤ ص٢٤٤.
(٧)الجهشياري، الوزراء،ص٢١٢،الخطيب البغدادي،ج١ ص١١٤.
(٨)الغزالي،إحياء،ج٣ ص٥٧.
(٩) مسكويه،تهذيب الخلاق،ص٢٠.
(١٠)الجاحظ،البيان والتبين،ج٢ ص٩٢.
(١١)ياقوت ، الإرشاد،ج١ ص١٤١.

كانت مناهج التعليم تختلف تبعا"لمستقبل المتعلمين وما ينتظرهم من مهام (١).لذلك وجد نوع من التعليم في قصور الخلفاء وبيوت الخاصة ويطلق على المعلم هنا لفظ المؤدب"وقد اشتق الاسم من الأدب والأدب إما خلق واما رواية وقد أطلقوا كلمة مؤدب على معلمي أولاد الخاصة إذ كانوا يتولون الناحيتين جميعا"(٢) .

ويمتاز هذا التعليم بأن المؤدب كثيرا" ما كان يخصص له جناح في القصر يعيش فيه،ليكون إشرافه على التلميذ أحكم واشمل،ومن ذلك أن محمد بن عبد الله بن طاهر،اختار لتأديب ابنه أحمد بن يحيى أبي العباس ثعلب النحوي ، فأفرد له دارا"في داره ، كان يقيم فيها هو وتلميذه ، وكان يتغذى معه ، وأقام له الأمير وظيفة ، وكان يقعد معه الى أربعة ساعات من النهار(٣).

ويشارك الآباء هنا في وضع المناهج لأبنائهم ومن أشهر هذه المشاركات مشاركة الرشيد في وضع منهج تدريس ولده الأمين، فقد قدم الرشيد لعلي بن الحسن الأحمر معلم الأمين ولي العهد منهجا" يقول فيه: ان أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه،وثمرة قلبه،فصير يدك عليه مبسوطة"،وطاعته لك واجبة ،أقرئه القرآن ،وعرفه الأخبار،وروه الأشعار،وعلمه السنن،وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ،وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه،ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه،ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه،ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه،وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة،فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة(٤).

أما أجور المعلمين والمؤدبين فنجد هنالك تفاوتا" بين النوعين ،فكان معلم الصبيان مثل ابي زيد البلخي(ت ٣٢٢هـ/٩٣٣م ،يعيش حياة مرة وحرفته محتقرة(٥)ومما يدل على تدهور الحالة المادية لمعلمي الصبيان،أن ابن السكيت كان يعلم مع أبيه صبيان العامة بمدينة السلام ففشل في أن يحصل من ذلك على رزق مناسب،فأقلع عن تعليم الصبيان ،وجعل يتعلم النحو رجاء أن يكون مؤدبا" أو عالما"، فيضمن له هذا أجرا" سخيا"(٦)،وقد ألف الجاحظ كتابا" في المعلمين ملأه بالحكايات التي تتهمهم بالحمق وقلة الرأي، وقد يكون في ذلك مبالغة، لكن ذلك يعطي إشارة الى نظرة المجتمع لمعلمي الصبيان ،كما أن من أمثال العامة:أحمق من معلم(٧).

ولم تكن الأجور التي يدفعها الصبيان الى معلمي الكتاتيب محددة،بل كانت متروكة لحالة الطفل نفسه وطاقة أهله المالية ،وكان يدفع الصبي أحيانا" إضافة الى المال ،أجرة للمعلم، أشياء مما يأكله الناس وينتفعون به،وكانت رغفان المعلم مثلا" ضرب في الاختلاف وشدة التفاوت،وقد أنشد الجاحظ للرقاشي في المعلم:

مختلف الخبز خفيف الرغيف　　　منتثر الزاد لئيم الوصيف

وأنشد لأبي الشمقمق:

خبز المعلم والبقال متفق　　　اللون مختلف الطعم والصور(٨)

---

(١)ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج١ ص٢٦٣.
(٢)الجاحظ،رسالة المعلمين،ص١١.
(٣)ياقوت،الإرشاد،ج٢ ص١٤٤.
(٤)البيهقي،المحاسن،ص٦١٧،ابن خلدون،المقدمة،ص٣٩٩.
(٥)ياقوت،الإرشاد،ج١ ص١٤١.
(٦)ابن خلكان ،وفيات الأعيان،ج٢ ص٤٦١.
(٧) الجاحظ،البيان،ج١ ص١٠٠.
(٨)المصدر نفسه،ج١ ص١٠

أما المؤدبون فقد نعموا بالغنى والرخاء الذي استمتعت بهما الفئة التي اتصلوا بها ،دخل علي بن الحسن الأحمر ١٩٤هـ/٨١٤ م الى قصر الرشيد ليعلم الأمين،وفرش له المجلس بفرش حسن، وكان الخلفاء اذا أدخلوا مؤدبا" الى أولادهم فجلس في أول يوم ،أمروا بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس الى منزله مع ما يوصل به (من الدواب)،فلما أراد الأحمر الانصراف دعي من يحمل له ذلك،فقال الأحمر: والله ما يسع بيتي هذا ،فما لي إلا غرفة لا يدخلها أحد غيري.فأمر الرشيد بشراء دار له وجارية،وحمل على دابة،ووهب له غلام،وأقيم له مرتب جار ولمن عنده.وفي ذلك قال محمد بن الجهم: كنا اذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصرا" من قصور الملوك ويخرج علينا الأحمر وعليه ثياب الملوك(١). و رتب للكسائي مرتب سخي منتظم،وبجانب ذلك أعطي له في أول عهده بمهمته عشرة آلاف درهم وجارية حسناء بجميع ما تحتاجه،وخادم وبرذون بجميع آلاته(٢).وفي إحدى المناسبات منح الخليفة المتوكل ابن السكيت مؤدب ولده مبلغ خمسين ألف دينار بالإضافة الى مرتبه المنتظم(٣). و كان متوسط مرتب المؤدب ألف درهم في الشهر و كان هذا هو المرتب الشهري لابن السكيت لتأديبه ابنا" لمحمد بن عبد الله بن طاهر(٤) وكان راتب ثعلب مؤدب ولد محمد بن عبد الله بن طاهر ألف درهم في الشهر(٥).

وقد شاعت العقوبات البدنية في كتاتيب الأطفال ،حدث إسحاق الموصلي قال: ذهب أبي الى الكتاب فكان لا يتعلم شيئا"،ولا يزال يضرب ويحبس لا ينجح ذلك فيه،فهرب الى الموصل وهناك تعلم الغناء(٦).وكان المعلمون يلجئون لعقوبة الضرب والحبس حتى مع الأمراء ،وقد ورد في وصية الرشيد الى الأحمر قوله: وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة،فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة(٧)، وقال الأحمر:فكنت كثيرا" ما أشدد عليه إلا في التأديب، وأمنعه الساعات التي يتفرغ فيها للهو واللعب .وكان أبو محمد اليزيدي يؤدب المأمون فأتى يوما" المكان الذي يقابله فيه ،ثم وجه إليه بعض غلمانه ليبلغه بقدومه ليحضر فتأخر في الحضور،فوجه إليه ثانيا" فتأخر فلما حضر أمر بحمله وضربه تسع ضربات(٨).

---

(١)ياقوت،معجم البلدان،ج٥ ص١١٠.
(٢)ابن خلكان،وفيات،ج١ ص٤٧٠.
(٣)ياقوت،معجم الأدباء،ص١٤٤.
(٤)ابن خلكان ،وفيات،ج٢ ص٤٦١.
(٥)ياقوت،الإرشاد،ج٢ ص١٤٤.
(٦)الأصفهاني،الأغاني،ج٥ ص١٥٧.
(٧)ابن خلدون،المقدمة،ص٣٩٩.
(٨)البيهقي،المحاسن،ص٦١٧.

و كان المعلم لا يلجا الى العقوبة البدنية إلا عند الضرورة القصوى،ويجب ان لا يكثر استعمالها، وإذا استعملها فيجب ألا يكون متشفيا" قاسيا" بل مؤدبا" رحيما"(١)،كما أن الضرب يكون بالدرة، على أن تكون رطبة ليكون مامونا،ولا يضرب على الرأس،ولا على الوجه، بل يضرب على الأفخاذ وأسافل الرجلين لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة(٢).

ولعل مما شجع على جعل العقوبة البدنية سلاحا" في يد المعلم أن أهل الأطفال يطلبون منهم تأديب أولادهم على أخطاء ارتكبوها في الخارج،فكانت مهمة المعلم ليست محصورة في تعليم الأطفال فقط وانما تقويم سلوكهم ومعاقبتهم اذا ما وقع منهم ما يشين هذا السلوك.كتب شريح القاضي يشكو ولده الى مؤدبه:

ترك الصلاة لأكلب يلهو بها ... طلب الهراش مع الغواة الرجس
فإذا خلوت فقضّه بملامة ... أوعظه موعظة الاديب الكيس
وإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا ضربت بها ثلاثا" فاحبس(٣).

---

(١)الغزالي،رسالة الأدب في الدين،ص٤٣.
(٢)ابن بسام،نهاية الرتبة،ص١٠٤، ابن الأخوة،معالم القربة ،ص١١١.
(٣)الجاحظ ، الحيوان،ج٢ ص٨٤-٩٤،ابن قتيبة،عيون الأخبار،ج٢ ص١٦، ابن عبد ربه ، العقد الفريد،ج١ ص٣٦٣.

البيمارستانات:

البيمارستان أو المارستان لفظتان أطلقتا على المستشفيات بمفهومها العصري ، وهي إحدى المؤسسات الخيرية العامة التي شيدها الخلفاء و الأمراء وغيرهم من الموسرين صدقة ، وخدمة للإنسانية(١) .

وكانت البيمارستانات في أول عهدها مستشفيات عامة ، يعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمديه وعقلية (٢) .

وأهم البيمارستانات في بغداد :

١-بيمارستان الرشيد .

حيث أمر الرشيد ١٧١هـ/٧٨٦م جبريل بن بختيشيوع أن ينشئ بيمارستاناً في بغداد ، فانشأه ورشح لرئاسته ماسويه الخوزي من أطباء بيمارستان جند يسابور ، وتولى جبريل بن بختيشيوع رعايته (٣).

٢-بيمارستان البرامكه :

و يذكر أنه كان للبرامكه في بغداد بيمارستان وكان ابن دهني طبيباً له (٤) .

٣- و انشيء عام٢٧٩هـ/٨٩٢م المستشفى الصاعدي ، وخصص له المعتضد ٤٥٠ دينارا" في الشهر ثمن الطعام والأدوية والأشربة وأرزاق المتطببين والمعالجين والكحالين والبوابين وغيرهم(٥).

٤-بيمارستان بدر غلام المعتضد ، وكانت النفقة عليه من وقف سجاح أم المتوكل على الله ، ويقع في المخرم (٦).

٥-بيمارستان أبي الحسن علي بن عيسى :

ففي سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م اتخذ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى البيمارستان بالحربية وأنفق عليه من ماله وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطببه (٧) .

٦-بيمارستان السيدة :

في سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م فتح أبو سعيد سنان بن ثابت بيمارستان السيدة أم المقتدر ، وقد اتخذه بسوق يحيى على نهر دجله ، وكان مبلغ النفقة عليه في العام سبعة آلاف دينار (٨) .

---

(١)أحمد عيسى بك،تاريخ البيمارستان في الإسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ،١٩٨١ ص ٤

(٢)المرجع نفسه ، ص ٤ .

(٣)القفطي ، تاريخ الحكماء ،ص ٣٨٣ ، ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ،ج١ ص١٧٤ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست،ص٢٤٥.

(٥)الصابي،الوزراء،ص٢١.

(٦) ابن أبي أصيبعه ، طبقات الأطباء ، ج١ ص٢٢١ .

(٧)ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص١٢٨ ، ابن أبي أصيبعه ، طبقات الأطباء ،ج١ ص٢٧٤ .

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ص١١ ، ابن القفطي ، أخبار الحكماء ،ص ١٩٥ ، ابن أبي أصيبعه، ج١ ص١٤٤ ،ص ٢٢٢ .

٧-البيمارستان المقتدري :

في سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م أشار سنان بن ثابت بن قرة على الخليفة المقتدر بالله أن يتخذ بيمارستانا ينسب إليه ، فأمره باتخاذه فاتخذه له في باب الشام،وسماه المقتدري،وخصص له ميزانية كبيرة وكانت النفقة من مال المقتدر الخاص (١) .

٨-بيمارستان ابن الفرات :

وقد تولى إدارته سنان بن ثابت بن قرة في سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م ، وكان ابن الفرات ينفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار (٢) .

٩-بيمارستان الأمير أبي الحسن بجكم :

أمر أمير الأمراء أبو الحسن بجكم سنان بن ثابت بن قرة المشرف على المستشفيات ، ببناء بيمارستان في بغداد في باب البصرة سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م ، يعالج فيه الفقراء ويعللون ، وأنفق في ذلك جملة ورفه الرعية وأرفقها(٣) . وكان فيه أربعة وعشرون طبيبا ، وتبلغ ميزانيته السنوية ١٠٠٠٠٠دينار(٤) .

ثم وسع من قبل عضد الدولة ٣٧٢هـ/٩٨٢م وخصصت له أوقاف كثيرة(٥) . وكان ببغداد مارستان كبير خاص بالمجانين،وهو دير هرقل القديم (٦).

كانت البيمارستانات مقسمة إلى قسمين منفصلين ، قسم للذكور وقسم للإناث ، وكان كل قسم مجهز بما يحتاجه من آلة وعدة ، وخدم وفراشين من الرجال والنساء، ومشرفين (٧)، وفي كل قسم من هذين القسمين عدة قاعات لمختلف الأمراض ، فقاعة للأمراض الباطنية ، وقاعة للجراحة وقاعة للكحالين(٨). وكانت قاعة الأمراض الباطنية مقسمة إلى أقسام ،منها قسم للمحمومين وهم المصابون بالحمى (٩)، وكان الماء فيها جاريا(١٠). وللبيمارستان صيدلية تسمى شرابخاناه ولها رئيس يسمى شيخ البيمارستان(١١)، وكان لكل قسم من أقسام المارستان رئيس(١٢) .ولعل المستشفيات تنوعت ، إذ ترد إشارة إلى مستشفى للمصابين بالأمراض العقلية (١٣) ويبدو أن تعدد المستشفيات زمن المقتدر أدى إلى تعيين رئيس يشرف عليها ويجيز الأطباء الممارسين وهو سنان بن ثابت(١٤).

---

(١) ابن الأثير ، ج٨ ص٨٥ ،ابن القفطي،أخبار الحكماء،ص١٨٤،ابن ابي اصيبعة،طبقات،ج١ ص١٤٤،ص٢٢٢.

(٢) ابن أبي أصيبعه ، طبقات الأطباء ، ج١ ص٢٢٤ .

(٣)ابن الجوزي،المنتظم ،ج٨ ص٢٠٥،الكامل ،ج٩ ص١٢،ابن القفطي ، أخبار الحكماء ،ص ١٩٣ ابن أبي أصيبعه ، طبقات ،ج١ ص٢٢٤ ،ص ٢٣٤ .

(٤) أبو شجاع ، ذيل ،ص ٦٦ .

(٥) أبو شجاع ، ذيل تجارب الأمم ، ص٦٦ ، ابن الأثير، الكامل ، ج٩ ص١٢ .

(٦)اليعقوبي،البلدان،ص٣٢١،ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج٣ ص٢٤٠.

(٧) ابن أبي أصيبعه ، طبقات ، ج١ ص٣١٠ .

(٨) المصدر نفسه ، ج٢ ص٢٤٢ .

(٩) المصدر نفسه ، ج١ ص٢٥٤ ، ج٢ ص٢٤٣ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج٢ ص٢٦٠ .

(١١)المصدر نفسه ، ج١ ص٣٠٩ .

(١٢) المصدر نفسه ، ج٢ ص١٥٥ .

(١٣) الدوري ، المؤسسات ،ص ٢٢ .

(١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ص١٢ ، ابن أبي أصيبعه ، طبقات ، ج١ ص٢٢٢ .

وفي زمن الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٢٦-٩٣٢ م) وضعت أسس لتنظيم التطبيب بنظام خاص حرصاً على مصلحة الجمهور ، ففرض على من يريد ممارسة الطب تأدية امتحان للحصول على إجازة تخوله هذا الحق ، وسبب ذلك ما روي على لسان رئيس الأطباء في عصره سنان بن ثابت : لما كان عام ٣١٩هـ/٩٣١م اتصل بالمقتدر أن غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل ، فأمر الخليفة أبا إبراهيم بن محمد بن أبي بطيحه المحتسب بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة ، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة ، فصاروا إلى سنان وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيف وستين رجلاً ، سوى من استغنى عن مهنته باشتهاره بالتقدم في صناعته ، وسوى من كان في خدمة السلطان (١) . ومن هذا التاريخ اصبح للمحتسب رقابة على الأطباء ومحاسبتهم.

وصار النظام بعد ذلك أنه متى أتم الطالب درسه يتقدم إلى رئيس الأطباء ويطلب إجازته لمعاناة صنعة التطبيب،وكان الطالب يتقدم إليه برسالة في الفن الذي يريد الحصول على الإجازة في معاناته ، فيسأله رئيس الأطباء في كل ما يتعلق بما فيها،فإذا أحسن الإجابة أجازه الممتحن ، ويأخذ المحتسب عليه عهد أبقراط (٢) .

وقد بلغ بعض الأطباء من حسن الحال ورغد العيش درجة عظيمة ، فقد بلغ بختشبوع زمن الخليفة المتوكل من عظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال ومباراة الخليفة باللباس والزي والطيب والفرش والتفسح في النفقات مبلغاً يفوق الوصف (٣) .

---

(١)ابن أبي أصيبعه ، طبقات ، ج١ ص٢٢٢ ، القفطي ، أخبار الحكماء ،ص ١٩١ .
(٢)ابن ابي اصيبعة،طبقات، ج١ ص٢٥ .
(٣)ابن القفطي ، أخبار الحكماء ،ص ١٠٢ .

وقد حظي الأطباء من الخلفاء بالإحسان والصلات الكبيرة(١) ، وحظوا بمراكز مهمة ، فإن القاضي ابن المرخم يحيى بن سعد ، صار قاضي القضاة في أيام المقتفي ببغداد ، وقد كان طبيباً وفصاداً (٢). وقد كان لكل طبيب ما يقوم بكفايته بشكل عام (٣) ، وكانت تنظم بيمارستانات متنقلة عند الضرورة بحيث تنتقل من مكان إلى مكان بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذلك في الحروب ، وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم المرضى من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربه وغيرها .قال ثابت بن سنان بن قرة ، أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح ت ٣٣٥هـ/٩٤٧م في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله (٢٥٩-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩١٢م) وقع إلى سنان وكان يتقلد البيمارستانات في بغداد أن يرسل إلى من بالسواد متطببين وخزانة من الأدوية والأشربه يطوفون السواد ويقيمون في كل صقع منه مده ما تدعوا الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينتقلون إلى غيره ففعل سنان ذلك (٤) .

ولم ترد إشارات إلى أن أحد الأطباء كان مسؤولاً عن حياة مريضه بحيث يعاقب إن مات بين يديه ، وفي عام ٣٢٤هـ/٩٣٥م توفي هارون ابن المقتدر أخو الخليفة المطيع لله فحزن عليه واغتم ، واكتفى بنفي الطبيب جبريل بن بختيشوع بن يحيى لأنه أتهم بتعمد الخطأ في علاجه .(٥)

---

(١) ابن أبي أصيبعه ، طبقات الأطباء ، ج١ ص١٢٦.
(٢) ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ،ص ٤٠٥ .
(٣) ابن أبي أصيبعه ، طبقات الأطباء ، ج٢ ص١٦٦ ،ص ٢٤٤ .
(٤) ابن القفطي ، أخبار الحكماء ص ١٩٣ ، ابن أبي أصيبعه ج١ ص٢٢١ .
(٥) أبي المحاسن ، تاريخ ، ج٢ ص٢٧٧ .

الحمامات العامة:

أشار المؤرخون في حديثهم عن المساجد الى ضرورة وجود حمام بإزاء كل مسجد (١).ومنذ إنشاء بغداد أمر المنصور " ان يبنوا في جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها في كل ناحية ومحلة(٢)،ويعتبر ابن خلدون وجود الحمامات في المدينة دليل الترف والتقدم الحضاري(٣).

وقد بلغ الإعتناء بالحمامات والإكثار منها مبلغا" كبيرا" في الدولة العباسية حتى أصبح عددها ببغداد مضرب الأمثال(٤)،ويقال أن عددها أيام المقتدر(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٥-٩١٢م) بلغ سبعة وعشرين ألف حمام(٥).

وتنقسم الحمامات من حيث الإستعمال ،الى عامه وخاصة .
فالحمامات الخاصة :هي التي يبنيها التجار و الوزراء والقادة والقضاة والأشراف في دورهم.وقد يمتلك أحدهم أكثر من حمام في داره(٦)،وتحتوي هذه الحمامات على كثير من وسائل الراحة ،علاوة على حسن تنظيمها ،فقد وصف أحد هذه الحمامات أنه كان فيه"بيت مستراح وفيه بيشون،اذا فركه الإنسان يمينا" خرج الماء الحار ،وإذا فركه شمالا" خرج الماء باردا" "(٧).

أما الحمامات العامة: فهي التي تفتح للجمهور وكانت كثيرة في بغداد ،فقد جعلها اليعقوبي بعد تأسيس بغداد بقليل ١٠٠٠٠ حمام.وكان في الجانب الشرقي من بغداد في القرن ٣هـ/٩م خمسة آلاف حمام(٨).

وكانت الحمامات العامة تنقسم الى حمامات للرجال وأخرى للنساء،ومن الأدلة على ان هنالك حمامات خاصة للنساء،أن الجند صعدوا الى شباك حمام نسوي للتطلع عليهن(٩).

---

(١)اليعقوبي،البلدان،ص١٧،الصابي،رسوم،ص١٩-٢٠.
(٢)اليعقوبي،البلدان،ص٢٤٥.
(٣)ابن خلدون،العبر،ج١ ص٦٧٢.
(٤)ابن الفقيه،البلدان،ص٣٣٥-٣٤٠،الخطيب،تاريخ،ج١ ص١٣٠،ابن الجوزي،المنتظم،ج٢ ص١٣٩،مناقب بغداد،ص٢٤.
(٥)ابن الجوزي،مناقب،ص٢٤،الصابي،رسوم،ص٢٠.
(٦)الصابي،رسوم،ص٢١.
(٧)ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠ ص٨١.
(٨)اليعقوبي،البلدان،ص١٧،ص٢٥٤.
(٩)ابن الجوزي،المنتظم،ج٨ ص٢٢٨.

ويتكون الحمام من رحبة واسعة تكون محلا"لحفظ الملابس (مخلعا") قبل الدخول مباشرة للاغتسال.وفي هذه الرحبة توجد دكاك توضع عليها الملابس(١) ويكون صاحب الحمام (القيم)جالسا"في هذه الرحبة ليراقب الناس أثناء خلعهم ،وأثناء لبسهم لها،خوفا" من السرقة(٢)،ولكي يقبض الأجر من الخارجين بعد الانتهاء من الاستحمام(٣)
وكل الداخل يعطى من الفوط ثلاثا" ،إحداها يتزر بها عند دخوله ،والأخرى يتزر بها عند خروجه،والثالثة ينشف بها الماء عن جسده(٤).وبعد أن يخلع الشخص ملابسه في المخلع وهو البيت الأول من الحمام يمر ببيتين آخرين ،يكون الثاني أكثر حرارة من الأول وأقل حرارة من الثالث(٥)وهو محل الإغتسال،فإن كان فقيرا" أو غريبا"زوده القيم بمئزر إعارة أو إيجارا"(٦)، ويطلى نصف حائط البيت الثالث (محل الإغتسال) ممايلي الأرض بالقار،ويطلى النصف الآخر الأعلى بالجص الأبيض الناصع. وفي كل مخدع حوض من الرخام فيه أنبوبان للماء الحار والبارد(٧)والى جانب هذه الأحواض الصغيرة الموجودة في كل مخدع فإن هناك حوضا" كبيرا" في داخل هذا البيت ،وهو الذي ينزل فيه المستحم فيغطس جسمه كله فيه .وماء هذه الأحواض يأتي من خزانة تكون في موضع مرتفع ،ومنها تأخذ أنابيب خاصة الى هذه الأحواض(٨)ومياه الخزانة تأتيها عن طرق دولاب خاص بالحمام يسحب الماء من بئر مجاور للحمام ،أو تأتيها المياه من النهر (٩).وتحمى مياه الحمام عن طريق موقد خاص يكون في إحدى جهات الحمام (١٠).ويغسل المستحم جسمه بيده،وقد يطلب مدلكا" يغسل له جسمه،ولم يجز بعض العلماء أن يستدعي المستحم مدلكا" ويسلم له نفسه،وذلك لأن المدلك يطلع على عورة المستحم،ويمسها بيده أثناء تدليكه(١١).واستعملوا في الحمام الصابون(١٢) والطاس الذي يغرف به الماء من الحوض (١٣).

ويتولى خدمة الناس في الحمامات جملة من الأشخاص وعلى رأسهم القيم وهو رئيس الحمام،والوقاد الذي يقوم بإشعال الوقود تحت الحمام،والزبال الذي يتولى تنظيف الحمام واخراج الأوساخ منه،والمزين أو الحلاق ،والحجام الذي تكون مهمته الرئيسية حجم المرضى (١٤)وكان يقوم بأعمال الحلاقة(١٥)،وكل هذه الخدمات تقدم في الحمام نظير أجر معين(١٦).

---

(١)الدمشقي،الإشارة،ص٣٥.
(٢)الشيزري،نهاية الرتبة،ص٨٧،التوحيدي،البصائر،ج٤ ص١٠٣،ابن الجوزي،الظراف،ص١٤٧.
(٣)الخطيب البغدادي،تاريخ،ج٦ ص٣٨٧.
(٤)ابن بطوطة،تحفة،ص١٤٧.
(٥)الغزالي،إحياء،ج٢ ص١٤٤-١٤٥،الشيزري،نهاية الرتبة،ص٨٦.
(٦)الشيزري،نهاية الرتبة،ص٨٧.
(٧)الغزالي،إحياء،ج٢ ص٣٣٤.
(٨)الشيزري،المصدر نفسه،ص٨٧.
(٩)الدمشقي،الإشارة،ص٣٥.
(١٠)ابن الجوزي،ذم الهوى،ص٤٧٤.
(١١)الغزالي،إحياء،ج٢ ص٣٣٤.
(١٢)مجهول،مناقب بغداد،ص٢٤.
(١٣)الغزالي،إحياء،ج ٤ ص ٢٣٣
(١٤)الصابي،رسوم،ص١٩ .
(١٥)الهمذاني،مقامات،ص ١٧١.
(١٦)الشيزري،نهاية الرتبة،ص٨٨.

وكانت الحمامات تفتح أبوابها في الصباح الباكر (١)وتستمر مفتوحة حتى وقت الغروب.أما بعد الغروب فلم يكن الحمام مستحبا"،لدى العامة لأنهم يعتقدون أن الشياطين تكون منتشرة آنذاك(٢)،ولم تكن الحمامات تغلق أبوابها طوال الأسبوع،لذلك كان الناس يذهبون إليها متى شاءوا ،وهنالك حالات الاستحمام فيها سنة،مثل الجمعة،والأعياد والإحرام(٣)،وكانت الحمامات تغلق في بعض الظروف ،كما حدث سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٧م حين أغلقت بسبب غلاء الأسعار(٤).

وكان يمنع دخول الحمام على المجذوم والأبرص،وبعض الناس الذين يحاولون غسل اللبد أو الأديم من الأساكفة ،وذلك حتى لا يتضرر المستحمون برائحة اللبد (٥).

وكانت الحكومة تراقب الشروط الصحية في الحمامات ،وتمنع كل ما يؤدي الى الضرر بالصحة العامة .فتمنع غسل الأواني أو الازار او الطاس في الحوض ،وتمنع ان تكون أرض الحمام مبلطة بحجارة ملساء مزلقة ،لكي لا يؤدي ذلك الى زلق الغافلين من المستحمين(٦).

وكان من واجب المحتسب مراقبة الحمامات،ومتابعة كنسها وتنظيفها بالماء الطاهر،وإزالة أثر أوراق السدر والخطمي والصابون من أرض الحمام،وكان على القيم غسل الخزانة التي تمد الحمام بالماء،وتنظيفها من الأوساخ التي تتجمع في مجاريها،والعكر الراكد في أسفلها،مرة كل شهر حتى لا يتغير طعم الماء ورائحته.وكان على القيم اذا أراد الصعود الى الخزانة لفتح الماء الى الأحواض ،ان يغسل رجليه بالماء لئلا يكون قد خاض في المياه القذرة.وأن لا يسد الأنابيب بشعر المشاطة،بل يسدها بالليف والخرق النظيفة.وان يشعل البخور في كل يوم مرتين لاسيما اذا شرع في غسل الحمام وكنسه ومتى برد الحمام فينبغي عليه ان يبخره ايضا".وأن لا يحبس الماء القذر في مسيل الحمام لئلا تفوح رائحته(٧). وقد يأمر المحتسب المدلك ،ان يدلك بقشور الرمان لتصير خشنة فتخرج الوسخ،علاوة على أنها تلذ للمستحم.ويراقب المزين من حيث جودة حلاقته،كما انه يفحص آلاته(٨).وكان لا يسمح للمستحم بالدخول بغير مئزر(٩)وكذلك كان يأمر بعدم إجراء ماء الحمام الى دجلة،بل يلزم أرباب الحمامات بحفر آبار لها(١٠).

وقد تزين الحمامات بالتصاوير فقد ذكر المسعودي ان الناس كانوا يصورون العنقاء وهو حيوان خيالي عند الشرقين تمثل بطائر وجهه وجه انسان وله منقار نسر وأربعة اجنحة من كل جانب ويدان ذواتا مخالب (١١) ،ويرى الغزالي ضرورة إزالتها أو تشويهها(١٢).

---

(١)الشيزري،نهاية الرتبة،ص٨٧،الخطيب،تاريخ،ج٦ ص١٢٢،ابن الجوزي،ذم الهوى،ص٤٧٤.
(٢)الغزالي،إحياء،ج١ ص١٤٤-١٤٥،ابن الأخوة،معالم،ص١٥٥.
(٣)الغزالي،إحياء،ج١ ص١٤١.
(٤)ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص٣٣٥،ابن الأثير،الكامل،ج٦ ص٢٩٩.
(٥)ابن الأخوة،معالم،ص١٥٠.
(٦)الغزالي،إحياء،ج٢ ص٣٣٤.
(٧)المصدر ،نفسه،ج٢ ص٨٧
(٨)الشيزري،نهاية الرتبة،ص٨٨.
(٩)ابن الأثير،الكامل،ج١٠ ص٨٥.
(١٠)ابن الجوزي،المنتظم،ج٩ ص١٢٩.
(١١)المسعودي،مروج،ج٣ ص ٢٩.
(١٢)الغزالي،إحياء،ج٢ ص٣٣٤.

إدارة المدينة:

لقد كانت بغداد الغربية مقسمة الى أرباع وفي كل منها قطائع وأرباض ودروب ومحلات(١)وكان لكل ربع صاحب او رئيس يشرف عليه(٢)وبدأ هذا زمن المنصور(٣) واستمر حتى بعد تطور المدينة،إذ يرد ذكر صاحب الربع في القرن الثالث(٤)وكان لصاحب الربع سلطة مدنية ،فقد عاقب صاحب ربع رجلا" لتصرفه المنافي للأخلاق،واعتبره لمأمون أحد عماله(٥).وفي نطاق الربع كان لكل ربض وقطيعة رئيس أو شيخ.وفي محلة الحربية كان لكل مجموعة بشرية رئيس و قائد(٦)وكان شيخ الربض أو المحلة يمثل أهله أمام الحكومة ،وفي الغالب كان يعترف به من قبل السلطة ولا تعينه هي(٧)وكانت الحكومة تستطيع عن طريقه ان تتعرف على شؤون الربض او المحلة وان توزع المعونات على الفقراء في أوقات الشدة او الضيق وان تتعرف على الأشخاص المشبوهين(٨)وفي أوقات الاضطراب يمكن اعتبار الشيخ مسؤولا" عن سلوك محلته ،وهو بدوره يستطيع ان يضمن حسن سلوكهم ،ففي فترة حصار بغداد سنة ١٩٨هـ/٨١٣ م ضمن شيوخ الأرباض لطاهر بن الحسين سلوك أرباضهم (٩) . وكذلك فعل شيوخ الأبناء ،وقام شيوخ الحربية و الأرباض بنفس التعهد أثناء حصار بغداد سنة ٢٥١هـ/٨٦٦م أمام ابن طاهر(١٠) وقد ينظم أهل الربض أنفسهم أثناء الإضطرابات كما حدث سنة ٢٠١هـ/٨١٦م لحفظ ممتلكاتهم وأنفسهم(١١).

وكان شيخ المحلة يحضر عادة مراسيم عقد الزواج مع القاضي(١٢)،وكان له مجلس يجتمع فيه أفراد محلته للسمر والحديث(١٣).

وقد كانت ادارة المدينة بهذه الطريقة تشير الى جانب اجتماعي لم يوجد في المجتمع من قبل.

---

(١)ابن رسته،الأعلاق،ص٣٢،اليعقوبي،البلدان،ص١٤١.
(٢)ابن الجوزي،ذم الهوى،ص٤٦٥.
(٣)اليعقوبي،البلدان،ص٢٤١.
(٤)التنوخي،نشوار،ج١ ص٢٣١.
(٥)الطبري،تاريخ،ج٣ ص٩٢٩-٩٣٠،البيهقي،المحاسن،ص١٦٦.
(٦) اليعقوبي،البلدان،ص٢٤٨.
(٧) الجاحظ،الحيوان،ج٣ ص٢٠،الطبري،تاريخ،ج٣ ص٩٣٥،التوحيدي،الامتاع،ج٢ ص٦٦.
(٨)التوحيدي،الإمتاع،ج٢ ص٢٦.
(٩)الطبري،تاريخ،ج٣ ص٩٣٥،ص١٦٧٤-١٦٧٥.
(١٠)المصدر نفسه،ج٣ ص١٦٣٤-١٦٣٥.
(١١)المصدر نفسه،ج٥ ص١٣٤٤،ص١٠٠٩-١٠١٠.
(١٢)التنوخي،الفرج،ج٢ ص٢٢٤.
(١٣)ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ ص١٠٨.

المحتسب:

لقد اختلفت الآراء في أصل الحسبة ، فقد اعتبرها البعض وظيفة أو نظاماً استحدث من أجل تطبيق المبدأ الاسلامي المعروف في مجال الاخلاق والتشريع ، وهو مبدأ " الأمربالمعروف والنهي عن المنكر " (١) .وإن أول اشارة صريحة إلى الحسبة ترجع إلى نهاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، فقد كان عاصم بن سليمان الاحول ، زمن أبي جعفر المنصور ، على الحسبة في المكاييل والأوزان (٢) . كما ولى المنصور أبا زكريا بن عبد الله "حسبة بغداد والأسواق" سنة ١٥٧ هـ/٧٧٣ م (٣) ، ويدعى محتسب بغداد بمحتسب الحضرة ،وهو فوق عمال الأسواق(٤) وقد كان له أعوان مما يعطيه نفوذا" كبيرا"(٥) وكان له دكه في السوق يراقب منها أهل السوق (٦) وهذا لم يمنع انه كان يتجول في الأسواق الأخرى إما راكبا" او ماشيا" في الليل او النهار محاطا" بأعوانه وغلمانه(٧)ومنهم عريف السوق،وقد يكون الشرطة من هؤلاء الأعوان(٨).وكان المحتسب يعين أحيانا" عمالا" على أسواق خاصة مثل العامل على سوق الغنم والعامل على دار البطيخ والقطن.والوالي على سوق الرقيق" وينتظر من ولاة أسواق الرقيق التحفظ فيمن يطلقون وبيعه والتحرز من وقوع تجوز فيه وإهمال له ولا يمضوا بيعا" على شبه ولا عقدا" على تهمة (٩)، وفي زمن المعتضد ٢٧٩هـ/٨٩٢م كان كل من هؤلاء العمال بمنزلة محتسب في المدن الأخرى(١٠).

وتتعدد مهام المحتسب،ومنها: الإشراف على المكاييل والموازين لتأكيد دقتها،ويعتبر مسؤولا" عن أي شكوى عنها(١١)وكان يمنع الاحتكار وأحيانا" الخزن،ويراقب التلاعب بالأسعار. وهو مسؤول عن الإشراف على النظافة ،وعلى الأمور الصحية في المدينة والأسواق(١٢).وكان يشرف على السوق والأبنية والمحافظة عليها،بحيث تكون ذات مواصفات خاصة تحقق المقصود منها،وخاصة من حيث ارتفاعها واتساعها وقربها من الطرقات،ويمنع الاعتداء على الطريق العام سواء" بالبناء على مقربة منه،او بالاعتداء على نظافته بإلقاء الأوساخ فيه(١٣). أما الطرقات ودروب المحلات فلا يجوز لأحد إخراج جدار داره ولا دكانه الى الممر،وكذلك كل ما فيه أذية وضرر على السالكين ،كالميازيب الظاهرة من الحيطان زمن الشتاء،ومجاري الأوساخ الخارجة من الدور زمن الصيف الى وسط الطريق،بل يأمر المحتسب أصحابها أن يجعلوا عرضها مسيلا" محفورا" في الحائط مكلسا" ،تجري فيه مياه السطح.وكل من كان في داره مخرج للوسخ الى الطريق فإنه يكلفه سده في الصيف ويحفر له في الدار حفرة يجمع إليها(١٤).

---

(١)جرونيباوم، حضارة الاسلام، ص ١٣٨.
(٢) الخطيب،تاريخ،ج١٢ص ٢٤٤.
(٣)الخطيب ،تاريخ،ج١ ص ٧٩-٨٠.
(٤)الصابي،رسوم،١٧٦،ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص٣١٨.
(٥)مسكويه،تجارب،ج١ ص٢٠٩.
(٦)الشيزري،نهاية الرتبة،ص٣٨،ابن الأخوة،معالم القربة،ص٩٤.
(٧)ابن الأخوة،معالم القربة،ص٢٢٠.
(٨)الشيزري،نهاية الرتبة،ص٧-٨.
(٩)التنوخي،نشوار،ج٢ ص٣٧،الصابي،رسوم،ص١٦٤،ص٢٠٣.
(١٠)الصابي،رسوم،ص١٧٦.
(١١)ابن الجوزي،المنتظم،ج٥ ص١٣٠،ابن الأخوة،معالم،ص٨٣-٨٥.
(١٢)مسكويه،تجارب،ج١ ص٢٠٩،الصابي،رسوم،ص١٦٥،ص٢٠٤،ابن الأثير ،الكامل،ص١٦٥.
(١٣)الشيزري،نهاية الرتبة،ص١١-١٢.
(١٤)ابن الأخوة،معالم ،ص٧٩،الشيزري،نهاية الرتبة،ص١٤.

وكان في المحلات أماكن لجمع الفضلات والأوساخ تدعى المزبلة(١). وامتدت مهام المحتسب الى الإشراف على نظافة المساجد(٢)و هو يتفقد الكتاتيب من حيث المحافظة على حسن التصرف والآداب العامة(٣).

و لما توسعت بغداد وتعددت اسواقها ونشطت التجارة فيها،كان لا بد ان يعين المحتسب اعوانا او غلمانا يلاحقون المخالفين، مما يجعل اهل السوق اكثر خوفا ورهبة منه(٤) ومن الصفات التي كان يجب توفرها فيهم ، العفة ، الشهامة ، بعد الهمة ، وكان يجري تهذيبهم وتعليمهم على واجباتهم واكتشاف المخالفين تحت إشراف المحتسب (٥) ، وقد يكون من ضمن أعوان المحتسب الشرطة (٦) .وقد كان يتخذ من أهل كل صنعة عريفاً ، عارفاً بأسرارها (٧) من ثقات أهل السوق ووجوه أرباب الصنائع يتصف بالأمانة والشرف (٨) . فأبو حنيفة مثلاً كان يبيع الخز ، وقد عين عريفاً على الحاكة (٩) .

أما أهم مهام العريف ، فكانت الأشراف على جميع الأمورالتي يريد المحتسب معرفتها ، ويوصل أخبار أهل الصنائع عليه (١٠) . ومما يذكر أن أهل كل صنف يجتمعون أحياناً عند عريفهم للمسامرة (١١) . وقد كان العريف في الغالب ، يأخذ أجرة من أهل الأصناف باعتباره يقوم بواجب رعايتهم (١٢) .

---

(١)الشيزري،نهاية الرتبة،ص١٠٠.
(٢)المصدر نفسه،ص١١٣-١١٥.
(٣)المصدر نفسه،ص١٢.
(٤) ابن الأخوة،معالم ،ص٢٢٠،الشيزري،نهاية الرتبة،ص١٠.
(٥) ابن الأخوة،معالم ،ص١٢ابن الأخوة،معالم ،ص٧٩،الشيزري،نهاية الرتبة،ص٨.
(٧) الشيزري،نهاية الرتبة،ص١٢.
(٨) ابن الأخوة،معالم ،ص٢٢٣-٢٢٤.
(٩)الخطيب البغدادي،تاريخ،ج٣ص ٦٧.
(١٠) ابن الأخوة،معالم ،ص٢٣٤ ،الشيزري،نهاية الرتبة،ص ١٢.
(١١)الجاحظ ، الحيوان،ج٣ ص ١٣-١٤.
(١٢)ابن بسام، نهاية الرتبة،ص ١٦٧.

الشرطة:

كان لبغداد صاحب شرطة وله مجلس خاص(١)ويسمى أحيانا" صاحب البلد(٢)،وفي بعض الفترات كان هنالك اثنان من أصحاب الشرطة في بغداد،كما حدث عندما بنيت الرصافة، ويذكر ان الأمير أبا العباس(المعتضد بعدئذ) عين بدرا" على الشرطة في شرق بغداد،والنوشري على الشرطة في الجانب الغربي(٣)وقد يعين صاحب الشرطة خليفة له أو خليفتين واحد لكل جانب(٤)، ويمكن أن يكون له مساعدون (٥)يسمون أصحاب الشرطة في الأرباع ،وهؤلاء يرسلون تقارير الى صاحب الشرطة. جاء عن لسان صديق صاحب الشرطة سنة٢٣٥هـ/ ٨٥٠م " فرمى اليّ رقاع أصحاب الشرطة في الأرباع يخبر كل واحد منهم بخبر لديه" (٦).

وكان صاحب الشرطة مسؤولا" عن حفظ الأمن والهدوء ،وعن مواجهة أية فعاليات مخلة بالأمن(٧)وعن قمع الشغب(٨)وكشف ومتابعة الأشخاص والجماعات المشبوهة(٩)كما أن التصرفات غير الأخلاقية تدخل من ضمن سلطاته(١٠)،وتقوم الشرطة بدوريات في الليل للحفاظ على الأمن ومنع الجرائم(١١).

ويحمل أصحاب الشرطة آلة من السلاح تسمى الطبرزين،وهي عبارة عن سكين طويلة يحملونها معلقة(١٢).

---

(١)ابن طيفور ،بغداد،ص١٣ ،مسكويه،تجارب،ج١ ص٤،ص١٨،ص٢٠.
(٢)ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص٢٤٥.
(٣)مجهول،العيون والحدائق،ج٤ ص٦٧.
(٤)ابن طيفور ،بغداد،ص١٩،الطبري،تاريخ،ج٣ ص١٣٤٥ ،مسكويه،تجارب،ج١ ص٢٦٦.
(٥)الصابي،الوزراء،ص٢٠،ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص٢٧٦.
(٦)مسكويه،تجارب،ج١ ص٢٠،ص٢٠٩،ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص٢٧٦.
(٧)ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص١٩٥.
(٨) مسكويه،تجارب،ج١ ص٢٠،ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص١٥٣.
(٩)ابن الجوزي،المنتظم،ج٦ ص٢٧٦.
(١٠)التنوخي،نشوار،ج١ ص٩٧،ج٣ ص١٠٢.
(١١)الهمداني،مقامات، ص١٦٢.
(١٢)الصابي،الوزراء،ص٢٣.

وكانت البيانات في أوقات الاضطرابات أو في بعض المشاكل المهمة تصدر عن صاحب الشرطة (١) وكان هنالك من يطوف في بغداد ليلاً حتى صلاة الفجر ليراقب الأمن ويحفظه يدعى الطائف (٢) .

وكان لصاحب الشرطة جماعة سرية من مهامها الى جانب التجسس على الناس ، بث الإشاعات لتخويف العامة ولضمان السلامة (٣). وهناك صاحب المعونة (٤) الذي يرد ذكره مقترناً بطلب من القاضي لجلب المتهمين أو لتنفيذ حكمه (٥) وهنالك أكثر من صاحب معونة في بغداد (٦) .وقد يكون صاحب المعونة هو صاحب الشرطة أو غيره . وهو يتولى أخذ الغرامات وربما الرسوم (٧) ويبدو أن أصحاب المعونة لهم خلفية فقهية في الجنايات ، جاء في عهد المطيع " وأمره أن يوعز إلى أصحاب المعاون في إقامة الأحكام وأن يحضر مجالسهم العامة ويطيعونهم الطاعة التامة ويشخصوا من امتنع من المحاكمة إليهم ويحبسوا ويطلقوا بأقوالهم ويثبتوا الأيدي في الأملاك وينتزعوها بأحكامهم ولا يعصوا لهم أمراً و لا يخالفوا له حكماً " (٨) .

وكان لصاحب البريد أن ينقل الأخبار عما يجري أو يدور في بغداد للخليفة وللوزير (٩) وكان له أعوان ووكلاء وهم أصحاب الأخبار مبثوثين في الأرباع(١٠) .

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص٢٧٦ .
(٢) التوحيدي ، البصائر ، ج٤ ص١١٥ ، التنوخي ، الفرج ، ج١ ص١٩ .
(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٧ ص٢٨ .
(٤) الصابي ، الوزراء ، ص٢٨ .
(٥) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢١٨-٢١٩ ، الصابي ، الوزراء ص ٢٨ .
(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ص٦١ ، وفيه ذكر لصاحب معونة في كرخ .
(٧) الصابي ، رسائل ، ص١٩٨- ١٩٩ .
(٨) الصابي ، رسائل ، ص١٩٨-١٩٩.
(٩) الصابي ، الوزراء ، ص٩٥ ، ابن طيفور،بغداد، ص٣٠-٣٧ .
(١٠) ابن طيفور ، بغداد ، ص٣٥ .

الفصل الرابع

الحياة اليومية في بغداد

١- الأطعمة
٢- الملابس
٣- أدوات الزينة
٤- الزواج
٥- الاحتفالات
٦- وسائل التسلية

الأطعمة:

بلغ من اهتمام أهالي بغداد خاصة الخلفاء بالطعام ان ظهرت بعض الكتب التي تخصصت في دراسة الطهي ، و قد أورد ابن النديم قائمة بأسمائها(١)
و جاء في كتاب الطبيخ للبغدادي "و ذكرنا من ذلك ما وقع عليه اختياري ، و ربما أهملت ما هو ظاهر مشهور بين الناس ، مختصرا و قصدت منه الإيجاز و الاختصار دون الإطالة و الإكثار" (٢).

ان الاهتمام بأنواع الأغذية و ما يصلح لكل طبيعة منها و تدبير الصحة و الحمية (٣) و آداب الطعام و الأوقات التي يصلح فيها الطعام ، وتنوع الطعام ، يدل على اهتمام المجتمع بها (٤) و يتجلى في تنوع الطعام وما يتخذ له من المشهيات و الالتزام بآداب المائدة رقي المجتمع العباسي.و قد كان الطعام يختلف في المجتمع من حيث رخصه أو تعقيده أو أنواعه حسب الفئة التي تصنع الطعام.

فقد اهتم الخلفاء و الوزراء بموائدهم ، و كانوا ينصبون موائد في بيوتهم للعاملين لديهم و للعامة (٥)، فقد كان حامد بن العباس وزير المقتدر ينفق على مائدته يوميا مائتي درهم ، و كان يقدم الطعام الى كل قوم في أماكنهم ، وكان ينصب في داره كل يوم عدة موائد و لا يخرج من الدار أحد من العامة و الحاشية و غيرهم ، اذا حضر الطعام ، و يأكل حتى غلمان الناس. فربما كان ينصب في داره في يوم واحد أربعون مائدة (٦) و كانت الموائد توضع في دور الخلفاء على مراتب الناس (٧) و كانت موائد الفئة الخاصة تحتوي على أصناف متنوعة و مكلفة ، و كانت النفقة عليها كبيرة . فقد حاول القاهر ٣٢١هـ/٩٣٣م الاقتصاد في نفقة المأكولات فمثلاً كانت النفقة تبلغ ٣٠ ديناراً في اليوم ، فأصبحت ديناراً واحداً ، كما اقتصرت المآكل التي تقدم في الوقت الواحد على اثني عشر نوعاً ، في حين كان يقدم ثلاثون نوعاً من الحلوى وحدها في زمن أسلافه (٨) .

---

(١)ابن النديم ، الفهرست ،ص ٤٥٤ .
(٢)البغدادي ، الطبيخ،ص١٥.
(٣)الطبري،تاريخ ، ج٥،ص١٥.
(٤)ابن عبد ربه، العقد المؤبد،ج٥ ،ص ٢٣٦-٢٦٩.
(٥)التنوخي،نشوار،ج١،ص٢٢
(٦)التنوخي، نشوار ج٤،ص١٧٧، ابن الجوزي، المنتظم،ج٨،ص٥٠.
(٧)ابن طيفور، بغداد ، ص١٥.
(٨) عريب ، الصلة ،ص ١٨٣ .

وكان الوزير يعيش في رغد بالغ ، وهذا وصف الصابي لمائدة ابن الفرات : " كان الوزير يتوسط المائدة وضيوفه من حوله ، ويقدم إلى كل واحد منهم طبق فيه أصناف الفاكهة الموجودة في الوقت ، ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الأصناف ، وكل طبق فيه سكين يقطع بها صاحبه ما يحتاج إلى قطعة من سفرجل وخوخ وكمثرى، ومعه طست زجاج يرمى فيه الثفل , فإذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم ، شيلت الأطباق وقدمت الطسوت والأباريق فغسلوا أيديهم وأحضرت المائدة ، مغشاة بدبيق فوق مكبة خيازر ومن تحتها سفرة أدم فاضله عليها ، وحواليها مناديل الغمر من الثياب المعصفر، فإذا وضعت رفعت المكبه والأغشية وأخذ القوم في الأكل ، وأبو الحسن بن الفرات يحدثهم ويباسطهم ويؤانسهم فلا يزال على ذلك والألوان توضع وترفع أكثر من ساعتين ثم ينهضون إلى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ، ويغسلون أيديهم والفراشون قيام يصبون الماء ، والخدم وقوف علي أيديهم والمناديل الدبيقيه ورطليات ماء الورد لمسح أيديهم وصبه على وجوههم " (١).

وكان الخلفاء ينفقون على موائدهم الكثير , فقد طلب المعتضد يوماً لوناً من الطعام يصنع له يومياً وهو جزوريه ، وقالوا فطيره بفراريج ، وكان يذبح له في كل يوم عجل ، ثم رفعت إليه الحسبة (قائمة الحساب) فلما رأى ما أنفق على ذلك اللون طوال السنة ، استهوله وطلب أن يقطع عمله (٢).

وقد كان الخلفاء يكرهون قيام الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم ، وهم يأكلون ، مخافة النفس والعين ، وكانوا يأمرون بإشباعهم قبل أن يأكلوا (٣) . قال المأمون لمخارق "أن الملوك والخلفاء لا يواكلها خدمها "(٤) .

---

(١) الصابي ، الوزراء ، ص٢٤٠ .
(٢) التنوخي ، نشوار ، ج٣ ص١٩٢ .
(٣) الجاحظ ، الحيوان ،ج١ ص٢٦٥ .
(٤) ابن طيفور ، بغداد ، ص١٧٣ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٨ ص٤٩٣ .

ومن الأطعمة الفاخرة التي تصنع في بيوت الخاصة ، اللوزينج بالفستق المقشور (١) والدراريج (هو طائر يشبه الحجل وأكبر منه أرقط بسواد وبياض قصير المنقار) ، والفراريج (٢) والفالوذج (٣) بالإضافة إلى الجزوريه والمضيرة والبقرية (٤) والدبكيربكه (وهي لحم وخل وحمص ومربى وقد يحلى بالسكر) (٥) .

وكانت الخلفاء تنفق على موائدها كل يوم عشرة آلاف درهم ، فأنزل المهتدي المبلغ إلى مائة درهم ، وكانت وظيفة المكتفي من الطعام عشرة ألوان في كل يوم ، وجدي في كل جمعة ، وثلاث جامات حلوى (٦)، وكانت نفقة المقتدر على مائدته في كل يوم ألفاً وخمسمائة دينار . واكتفى يوماً بالسمك ، فاشترى له سمك بثلاثمائة دينار (٧) ، وكانت وظيفة الوزير أبي الحسن بن الفرات في مطبخ الخاصة لا يمكن حصرها لكثرتها ، والوظيفة اليومية في مطبخ العامة الذي يطعم خلفاء الحجاب وصغار الغلمان والرجالة والبوابين ٩٠ رأساً من الغنم و ٣٠ جدياً و ٢٠٠ قطعة دجاج وفروج و ٢٠٠ قطعة دراج و ٢٠٠ قطعة فراخ، والخبازون وصناع الحلوى يعملون ليلاً ونهاراً (٨) .

---

(١) التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ج٩ ص٥١ ، التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٥١ ، ابن الجوزي ، الظراف والمتماجنين ،ص ١٠٦ .

(٢) التنوخي ، نشوار ، ج١ص ٣٣٤ .

(٣) ابن الجوزي ، الظراف والمتماجنين ،ص ١٠٦ ، التطفيل ص١٦٣ *الفالوذج:عبارة عن دجاج مسلوق ،معرق بالشيرج (الدهن المستخرج من السمسم) ويضاف لهل اللوز الحلو المدقوق ناعما و منقوع بالماء ، وكذلك الحمص المنقوع ويجعل عليها عيون البيض ،ابن منظور ،لسان العرب،ج١١ ص ٢٨٦.

(٤) التنوخي ، نشوار ، ج٣ ص١٩٢ .

(٥) التنوخي ، نشوار ، ج٤ ص١٧٧ .

(٦) المسعودي ، مروج ج٢ ص٤٦٦ ، ص٥٣١ .

(٧) التنوخي ، نشوار ، ج٤ ص٧٠ .

(٨) الصابي ، الوزراء ،ص ٢١٥-٢١٦ .

وكان طعام العامة بسيطا جدا ، يذكر أن المهدي خرج إلى الصيد ، وحدث أن انفصل عن الحاشية أثناء المطاردة فمال إلى كوخ فلاح نبطي وطلب بعض الطعام فقدم له الفلاح شيئاً من خبز الشعير ، وصحناً فيه أسماك صغيرة .فسأله المهدي إن كان عنده بعض الكراث والزيت ، فأحضر ذلك له وأضاف إليه قليلاً من التمر (١) ولعل هذا كان أفخر ما عند الفلاح .

وفي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م أحس المقتدر وهو في قاربه بجوع قبل وصول طعامه ، فقدم الملاح طعامه للخليفة ، وكان يتألف من قطعة من السمك الجيد المملح ، فاستغرب المقتدر أن لا يجد حلوى مع الطعام ، وقال له : أنه لم يكن يعتقد أن أحداً يأكل طعاماً لا تعقبه حلوى ، فقال الملاح إن حلوانا هي التمر والزيتون (٢) .

وكانت اهم اصناف طعام العامة مكونة من الأرز والعدس واللوبيا مما يأكله الوقادون والزبالون (٣) ، وكانت الهريسه طعام السوقيين والسفلة (٤) أما الباقلاء فكانت من الأطعمة الشعبية ، التي تباع في الأسواق ، وتعمل ثريداً (٥) وكانت العامة تأكل السمك ، والفجل ، والباذنجان (٦) وكان اللحم والباذنجان والبصل والجزر من الأطعمة الشائعة في العصر العباسي (٧) .

وكان سويق الحمص، مما يأكله المتجملون (المهتمين بأشكالهم وأجسادهم) والضعفاء شهرين أو ثلاثة عند عدم توفر الفواكه (٨) ، وكثر استعمال الناس للسويق لأنهم كانوا يأكلونه مع التمر ومع السكر ومع الدبس وغير ذلك ، (٩) وكان الخبازون في بغداد ينثرون على أرغفة الخبز الحبة السوداء ، فتكسب الرغيف منظراً أجمل وطعماً أطيب (١٠) .

ومن أطعمتهم الزيتون المدخن مخلوط باللوز المقشر والصعتر ، وكان لديهم المخللات (الخيار الباذجان ، المعمول بماء حب الرمان ونقيع الدقلى) (١١).

---

(١)الجهشياري ، الوزراء ،ص ١٤٦.

(٢)التنوخي ، نشوار ، ج٢ ص٢١١ .

(٣)الأزدي ، حكايات أبي القاسم البغدادي ،ص ٤٢ .

(٤)التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج٣ ص٧٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ص٧٤ ، ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٣٩ .

(٥)الثعالبي ، خاص الخاص ، ص٤٦ ، التوحيدي ، الإمتاع ، ج٩ ص٥٠ ، ج٣ ص٢٢٧ ، الصابي ، رسوم ، ص٢٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ص٥٠ .

(٦)الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ص١٨ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج٩ ص٢٢٠، ابن الجوزي، المنتظم ج٦ ،ص ٥ .

(٧)الجاحظ ، البخلاء ، ص١٢٠ .

(٨)ابن الجوزي ، مناقب ، ص٢٥ .

(٩)ابن الفقيه ،بغداد ص٣١٠ .

(١٠)التوحيدي ، الرسالة البغدادية ، ص١٥١ .

(١١)التوحيدي ، الرسالة ، ص١٥٢-١٥٣ .

وكان الفقراء والمساكين وأبناء السبيل الذين اتخذوا من المساجد والربط مأوى يأوون إليها ، يأكلون مما يتصدق به الناس عليهم في المناسبات (١) .

وأما الذين يعيشون منهم بين العامة في محلاتهم فكانوا يستفيدون من حدوث المناسبات سواءً كانت مفرحة أو محزنة ، إذ يحضرون الولائم ويأكلون مما يقدم فيها ، وربما أخذوا بعض الطعام معهم إلى بيوتهم (٢) .

ولقد كان رجال الحكومة وعلى رأسهم الخليفة يتصدقون على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل في المناسبات المختلفة كالمناسبات الدينية ،أما أهل الكدية والمتسولون فقد كانوا يتكففون الناس ، ويأخذون طعامهم عن طريق الطواف على دور الناس (٣) وقد استعملوا طرقاً مختلفة لاستدرار عطف الناس عليهم (٤) .

ومن طعام العامة ، اللحم والخبز والدبس والزعفران والخل ، ولكن إذا ما اشتغل أحدهم في دور الخلافة فانه يكون أحسن حالاً من غيره في الطعام . وكان الناس يتعاونون فيما بينهم وخاصةً الجيران ، فإذا طبخ أحدهم غرف لجيرانه حتى وإن كان ما طبخه مرقاً فقط (٥) .
وكان الفقراء يأكلون الجراد ، خاصة في السنين العجاف كما حدث سنة ٣٣١هـ/٩٤١م (٦) ، وكان للبخلاء طعام خاص بهم (٧) .

وكما اهتموا بالأطعمة اهتموا بالأشر به ، وعلى رأسها الماء الذي اعتنوا بتبريده صيفاً ، ويتم ذلك بتعريض الماء إلى الهواء بعد أن يوضع في كوز أو وعاء كبير من الفخار ، أو عن طريق الثلج (٨) ثم الألبان وعصير الفواكه المستخرج من التفاح والتمر هندي والأجاص وعرق السوس (٩) وكانوا يشربون سويق اللوز (١٠) , ومن الأشر به التي تشرب بعد الطعام النبيذ ، مثل النبيذ العنبي ، والزبيبي ، والعسلي والتمري (١١) ومن الشراب الليمون ، و ماء الحصرم وماء الرمان (١٢) .

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ص١٦٢ .
(٢) البغدادي ، التطفيل ، ص٨٦.
(٣) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى ، ص١٥٢ .
(٤) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج٣ ص٣٢٣ .
(٥) الخطيب ، تاريخ ، ج٣ ص٢٥٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ص١٦٢.
(٦) الصولي ، أخبار الراضي ص ٢٣٧ ، التنوخي ، نشوار ، ج٢ ص١٩٨ .
(٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج٥ ، ص١٤٥-١٤٦ ، ص١٦٢ .
(٨) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٢١٢ ، التنوخي ، نشوار ، ج١ ص١٢٥ ، ج٦ ص١٠٦ ، ابن الجوزي المنتظم ، ج٧ ص٤٣٦ .
(٩) ابن الأخوة ، معالم ،ص ١١٥ .
(١٠) المسعودي ، مروج ، ج٨ ص٢٤٣ .
(١١) ابن الأخوة ، معالم ، ص ١٢٠-١٢١ .
(١٢)التوحيدي ، الرسالة البغدادية ، ص١٥٣ .

وقد اهتم أهل بغداد بآداب الطعام والمائدة ، وهذا يعكس رقي المجتمع البغدادي ، ومن هذه الآداب ، أن يبادر الآكلون إلى غسل أيديهم قبل تناول الطعام ، ويكون غسل الأيدي في وعاء معين وهو الطست (١) . وإذا كانوا في وليمة تولى رب البيت أمر البدء بالغسل قبل غيره لكي يشجع المدعوين على اتباعه ، ثم بعد الغسل يجلس المدعوون حول السفرة ، أو الخوان انتظاراً للبدء بالأكل (٢) وفي مراعاة آداب المائدة عند الأكل أورد الغزالي قواعد تمثل ما كان سائداً آنذاك وهي : ١. تعجيل الطعام ، إذ يعتبر ذلك من إكرام الضيف .

٢. ترتيب الطعام ، بتقديم الفاكهة أولاً – إن وجدت – ثم تقديم الطعام بعد ذلك ، ويبدأ بأفضله وهو اللحم ثم الثريد بعده فإن جمع إليه الحلوى ، فقد جمعت الطيبات وحصل الإكرام (٣).

٣. أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفي من يريد ، ولا يكثر الأكل بعده ، ويرى الغزالي أن هناك طريقتين في تقديم الطعام ، أحدهما أن يعرض الطعام جميعه مرةً واحدة . والثانية أن يكتب صاحب الدعوى ورقة فيها أسماء الطعام يعرضها على الضيوف ليختاروا ما يعجبهم فيها (٤) .

٤.عدم رفع الألوان –من الطعام– قبل تمكن الضيوف من الاستيفاء منها(٥) .

٥. أن يقدم من الطعام قدر الكفاية ، إذ التقليل عن الكفاية نقص في المروءة ، كما أن الزيادة منه تصنع ومراءاة (٦) .

أما عند الشروع في الطعام فعلى الآكل أن يبدأ بالبسملة وأن يراعي الشروط التالية :(٧)

١.أن لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقدير لكبر سنه أو زيادة فضله .إلا إذا كان هو المتبوع والمقتدى به . فحينئذ ينبغي عليه ألا يطول عليهم الانتظار إذا اجتمعوا للأكل (٨) .

---

(١) التوحيدي ، البصائر ، ج٦ ص١٣ .
(٢) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص١٦-١٨ .
(٣) الصابي ، الوزراء ، ص٢٤٠ ، التنوخي ، نشوار ،ج٢ ص٣٣٤ ، ج٣ ص٨٦ ، الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص١٦-١٨ .
(٤) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص١٦- ١٨ .
(٥) التوحيدي ، البصائر ،ص ١٦٤ ، الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص١٦-١٨ .
(٦) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص١٦- ١٨ .
(٧) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص٥ .
(٨) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص٥.

٢. أن لا يسكتوا على الطعام فإن ذلك من عادات العجم ، ولكن عليهم أن يتكلموا بالمعروف ، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها .
٣. أن يرفق المرء برفيقه في القصعة ، فلا يعمد إلى زيادة الأكل على ما يأكله رفيقه ، مهما كان الطعام مشتركاً بل ينبغي أن يؤثر رفيقه ،فينشطه ويرغبه في الأكل إن هو قلل ذلك .
٤. أن لا يحرج رفيقه إلى تفقده في الأكل ، وأن يقول له كل ، بل عليه أن يأكل مما يشتهي حسب حاجته دون تصنع إن كان مع جماعة ، وأن يعود نفسه ذلك إن كان يأكل بمفرده . أما إذا عمد إلى تقليل أكله إيثاراً لإخوانه أو أكثر في الأكل تشجيعاً وتنشيطاً لهم فأن ذلك مستحب .
٥.أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحون ، بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ، وعليه ألا يكتفي من الأكل بسرعة قبل إخوانه إذا كانوا يأكلون بخجل ، بل عليه أن يأكل ببطء إلى أن يستوفوا .
٦. أن لا يفعل ما يستقذره غيره ، فلا ينفض يده في القصعة ، ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فمه ، وإذا أخرج شيئاً من فمه ، فعليه أن يدير وجهه عن الطعام ، ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ، ولا الخل في الدسم ، ولا يغمس بقية اللقمة التي قطعها بسنه في المرقه ، والخل . ثم لا يتكلم بما يذكر بالمستقذرات .
٧. أن يغسل يده عند انتهاء الأكل وعليه أن يراعي أثناء الغسل جملة من الأمور هي : أن لا يبصق أو يتنخم في الطست، وأن يقدم الطست للمتبوع منهم أو لأكبرهم سناً وعلى المقدم له أن يقبل أخذ الطست ويعتبره إكراماً له ، وعليه أن يدير الطست في جهة اليمين ، ولا بأس أن يجتمع عدة أفراد على غسل أيديهم سوية . وعلى كل منهم أن لا يمج الماء من فمه في الطست حتى لا يرش الماء على أصحابه . وعلى صاحب المنزل أن يصب الماء على أيدي الضيوف (١) .

---

(١) الغزالي ، أحياء ، ج٢ص ٧-٨ .

ومن آداب المائدة أيضاً أن يأكل الفرد باليد اليمنى ، وأن يبدأ بالملح ويختم به . وأن يصغر اللقمة في فمه ، وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فله أن يجيل يده فيها لأنها أكثر من نوع واحد .
وأن لا يسرع في الأكل وأن لا يبلع اللقمة دون أن يمضغها جيداً , وأن يأكل من دورة القصعة لا من وسطها , وكذلك أن يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الخبز فعند ذلك يستطيع أن يكسر من أين شاء .

ومن الآداب المرعية أيضاً ، أن لا ينفخ على الأكل الحار ، بل يستحسن تركه حتى يبرد وإذا أكل أحدهم تمراً فعليه أن لا يجمع بين التمر والنوى في صحن واحد ولا يجمع بينهما في كفه أيضاً ، بل يضع النواة من فمه على ظهر كفه ثم يلقيها ، وكذلك كل ماله نوى.
وعلى الآكل أن لا يقوم عن المائدة قبل أن ترفع ، فإذا أحضر الإبريق والطست كان ذلك إيذاناً بانتهاء الطعام .
وكان من آداب المائدة غسل الأيدي والأفواه بعد الانتهاء من الطعام ، وهذا الغسل يخالف الغسل الأول قبل البدء بالأكل إذ يعتبر تنظيفاً حقيقياً ، وكان على رب البيت أن يغسل بعد جميع ضيوفه (١) . ويبدو أن هناك طريقتين في البدء بالغسل ، أحدهما أن يبدأ من الرجل الجالس عن يسار رب البيت ، ثم الذي يليه ، وهكذا حتى ينتهي إليه فيكون آخر من يغسل . وثانيهما أن يبدأ من الرجل الجالس عن يمين رب البيت سواء كان الجالس حراً أو عبدا (٢) ، والغسل يتم بالأشنان (٣) وذلك بأن يجعل الأشنان في كف الغاسل اليسرى ويغسل الأصابع الثلاثة من اليد اليمنى أولاً ، ثم يضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه وظاهر أسنانه وباطنها ولسانه ، ويغسل أصابعه ظهراً أو بطناً . وبهذه الطريقة يستغني عن إعادة الأشنان إلى الفم بعد أن يكون قد غسل يده فيه (٤) .
وإذا كان الآكلون في وليمة فعلى صاحب الدعوة أن يبخر المدعوين كما جرت العادة. و أن يشكر المدعوون صاحب الدعوة وأن يدعوا له قبل مغادرتهم الدار (٥) .
وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ، ولا يشرب قائماً ولا مضطجعاً ، ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز ، بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسميه ، والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة (٦) .

---

(١) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص١٦-١٧ .
(٢) الخطيب البغدادي ، التطفل ،ص ٨٦ .
(٣) التنوخي ، نشوار ، ج٧ ص١٧٥ * الأشنان : نبات لا ورق له،الا ان له اغصان دقيقة فيها ما يشبه العقب وهي على انواع مختلفة ،ابن البيطار،الجامع، ج١ ص ٣٧-٣٨.
(٤) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص٧.
(٥) الخطيب البغدادي ، التطفيل ، ص٨٦ ، الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص١٧ .
(٦) الغزالي ، الأحياء ، ج٢ ص٦ .

الملابس :

يعنى الناس عادة بصورة خاصة بالملابس ، فكل فئة من الناس لها لباسها ، ولكل صنف زيه ، وكل مناسبة تتطلب نوعاً خاصاً من الملابس (١) .
وكان الأغنياء يتنافسون في ارتداء الملابس الثمينة ، ويمتلكون صناديق واسعة للملابس (٢) .
وقد كانت بغداد تصنع المنسوجات الحريرية الفاخرة والثياب الحريرية من ألوان مختلفة والأقمشة القطنية و العمائم الرقيقة والمناديل القصريه الشهيرة (٣) ، وكان الخز يصنع في بغداد (٤) .وشكلت دار الطراز مظهراً من مظاهر السلطان ، حيث كانت تنسج البسط والثياب والأعلام والفرش ، سواء لاستعمال الخليفة أو الأمير أو مما يعطيه كخلع لكبار الموظفين علامة تشريف لهم (٥) .

ويرى ابن خلدون أن من أبهة أصحاب السلطان أن ترسم أسماؤهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم بخيط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة .
وكانت دور الطراز توجد في قصور الخلفاء . وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ، ينظر في أمور الصباغة والآلة والحاكة فيها ، ويجري أرزاقهم ، وكان الخلفاء يقلدون ذلك لخواصهم و ثقات مواليهم (٦) .

وكان من جراء إقبال الخلفاء على اقتناء الملابس وكثرتها أن أصبح لها موظف خاص يدعى صاحب الكسوة ، تنحصر مهمته في تسجيل كل ما يرد إلى قصور الخلفاء من اللباس أو إخراجه (٧) .

---

(١) الوشاء ، الموشى ، ص١٢٤ .
(٢) الثعالبي ، لطائف ، ص٧٢ .
(٣) الدمشقي ، الإشارة ، ص٢٦ .
(٤) عريب ، الصلة ، ص١٦ .
(٥) الصابي ، الرسائل ،ص ١٤١.
(٦) ابن خلدون ، العبر ، ج١ ص٤٧١-٤٧٢.
(٧) التنوخي ، الفرج ، ج١ ص٨١ .

ومع اهتمام الخلفاء باللباس إلا أنه لم يكن لهم في بادئ الأمر ثياب تتميز بشيء عن ملابس الموسرين من الناس ، بل إن بعضهم كان يميل إلى أن يشاركه المقربون في ارتداء ملابس متشابهة لما كانوا يرتدون .ومن هؤلاء المنصور ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٤م الذي فرض على حاشيته والمقربين لبس القلانس الطوال ، حتى قال فيه أبو دلامه :

وكنا نرجي في أمير زيادة فزاد لنا فيها بطول القلانس (١)

وكانت الخاصة تقلد الخلفاء في بعض الأحيان فيما كانوا يرتدونه ، فنجد أنه عندما ضيق المعتصم بالله أكمام الثياب ضيق الناس أكمامهم ، وعندما وسعها المستعين فجعلها ثلاثة أشبار أو نحوها ، حذى الناس حذوه (٢) .

وكان المنصور أول من ابتدع عادة لبس القلنسوة السوداء الطويلة في البلاط ودواوين الدولة (٣) وأمر أصحابه بلبس السواد والقلانس الطوال تدعم بالعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف في المناطق و يكتبوا على ظهورهم (٤) . وكان هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٦م أول خليفة يرتدي ضرباً معيناً من القلانس وهي القلنسوة المعروفة بالطويلة الرصافية (٥) ، كما يذكر أن المأمون والأمين سارا على نهج والدهما في ذلك (٦)، ويذكر أن المستعين بالله ٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م،أحدث تغيراً أساسياً في الزي ، ومن ذلك تصغير القلانس وتقصيرها(٧).

ويظهر أن القلانس الطوال لم تكن من ابتكار العباسيين أنفسهم ، إذ يذكر البلاذري : أنها دخلت إلى البلاد الإسلامية أيام حكم الأسرة الأموية على يد عباد بن زياد الذي وجد عند فتحه لمدينة قندهار (تتبع حاليا أفغانستان) أن قلانس أهلها طويلة فراقت له تلك القلانس فلبس على شاكلتها فسميت بالعبادية (٨) .

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٩ ص١٤٦ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٣ ص١٤٢ ، ابن خلكان ، وفيات الإيمان ج٢ ص١٣٦ .
(٢) اليعقوبي ، مشاكلة الناس ، ص٣١ .
(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ص٤٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٠ ص٢٣٦ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ ،ج١٣ ص١٤٢ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج٢ ص١٣٠ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٠ ص٤٠٧ .
(٥) اليعقوبي ، مشاكلة الناس ، ص٢٦ ،ص ٥٦ ، الطبري ، تاريخ ، ج٨ ص٤٢ ، الأصفهاني الأغاني ج١٠ ص٢٣٦ ، الصابي ، الوزراء ، ص٨١ .
(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٦ ص٤٨٢ .
(٧) اليعقوبي ، مشاكلة الناس ، ص٣٤ .
(٨) البلاذري ، فتوح ، ج٢ ص٦١٠ .

ويبدو أن القلانس الطوال كانت سمة التجار (١) ، وكان الشعراء أيضا يلبسونها ، وكان هارون الرشيد يفضل أن ينشد الشعراء شعرهم أمامه ، وعليهم عمامة عظيمة الكور (٢) .

وقد اتخذ القضاة والعلماء القلانس العظام ، أما غير العلماء ، فكانوا يلبسون داخل بيوتهم القلنسوة وحدها فوق فوطة من الحرير الأبيض ، ثم استعاضوا عنها بكلوته خفيفة بنفسجية اللون (٣) ، ويظهر أن القلنسوة الطويلة المدعمة بالعيدان كانت لبس القضاة ، وإذا كان الرجل من المتظرفين فإنه يميل إلى إطالة العمامة (٤) . ومن القلانس ما يدعى باللاطئة وهي قلنسوة صغيرة تطأ بالرأس (٥) .

أما العمائم فيذكر الجاحظ أن للخلفاء عمة مصففة متميزة ، وقد تميز الخلفاء العباسيون بشد العمائم على القلانس ، وعلى العموم فإن العمائم تشد على (شاشية) أو (عرقية ، وهي طاقية خفيفة لحماية العمامة من الاتساخ بالعرق (٦) وقد تلبس الشاشية من غير عمامة ، أو منديل خاص أيام الصيف ، ويروى أن المعتصم بالله ٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م استعمل أحيانا شاشية من غير عمامة حيث يذكر أنه لبس واحدة ذات شكل مربع " نسبت إليه وسميت بالشاش المعتصميه فلبسها الناس تشبها به "(٧) .

ومن العمائم التي وردت إشارات إليها ضمن لباس الخلفاء ، عمائم خز كانت تستعمل عادة في المجالس العامة (٨) . أما في المجالس الخاصة ، فكانوا يرتدون عمائم وشي مذهبة (٩) ، وكان القضاة يلبسون عمامة خاصة بهم (١٠) . كما كانت لكل فئة من المجتمع عمة خاصة بهم(١١).

---

(١)صالح العلي ، الألبسة العربية،مقالة منشورة في مجلة المجمع العلمي سنة ١٩٦٦ ص٤٢٥ .
(٢) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج١ ص٥٣ .
(٣) ابن خلكان ، وفيات ، ج٢ ص٣٣ * والفوطة :شقة بز تلف الرأس لفا ،دوزي،معجم، ص ٢٢٧.
(٤) الصابي ، رسوم ، ص٩٠-٩١ .
(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٤ ص٢٩٥ .
(٦) دوزي ، المعجم ، ص٢٠١ .
(٧) اليعقوبي ، مشاكلة الناس ، ص٣٢ .
(٨) التنوخي ، الفرج ، ص٢٥٧ .
(٩) البيهقي ، المحاسن ، ج٢ ص٣٦١ .
(١٠) التنوخي ، نشوار ، ج٢ ص ٢٦ .
(١١) الجاحظ ، البيان والتبين،ج٣ ص ١٠.

وإذا أراد شخص أن يضفي على نفسه الهيئة والوقار وأن يتصدر المجالس فإنه يلجأ إلى الاعتناء بالعمامة ، ويلبس الأنواع الجيدة منها كالعمامة القصب (١) .
وقال أبو الأسود الدؤلي فيها ، العمامة خير ملبوس ، جنة في الحرب ووقاية من الأحداث ، ومكنة من الحر ومدفأة في البرد ووقار في الندى،وزيادة في القامة وهي من تيجان العرب(٢) .
وحرص الخلفاء على العمائم تلقى على القلانس ، وإذا كانت القلانس مكشوفة زادوا في طولها وحدة رؤوسها حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة ، لأن ذلك أهيب في الصدور ، وأجل في العيون والمتقنع أروع من الحاسر (٣) . وكانوا في الحر يخلعون العمائم والقلانس في المجالس (٤) . وكانت العمامة توضع على الرقبة عند معاقبة صاحبها (٥) .

وقد يطرز على العمامة والإزار والقميص (٦) أو يكتب على العصابة والقلانس (٧) .
لم تكن هناك ملابس مميزة للخلفاء ، ومع ذلك كانوا يميلون وبخاصة الأوائل إلى استعمال أنواع معينة منها ، مثل الدراعة ،والدراعة تشبه الجبة غير أنها مشقوقة عند المقدم إي مفتوحة من جهتها الأمامية حتى أعلى القلب ومزودة بأزرار (٨) ، وقد لبس الخلفاء الدراعة في مناسبات مختلفة سواء كان ذلك في أوقات العمل الرسمي أو في ساعات اللهو والراحة ، وقد عرف عن الرشيد أنه كان يرتدي في مجالس العامة دراعة خز مبطنه بالفراء ، ويذكر أنه كان يلبس عند غزوه وحجه دراعة كتب من خلفها (حاج) ومن أمامها (غاز) (٩) .

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ص١٤١ .
(٢) التوحيدي ، البصائر ، ج٧ ص١١٠ .
(٣) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج٣ ص٦٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج٥ ص١٨٦ .
(٤) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٦٣ .
(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ص٢٦٠ .
(٦)التوحيدي ، البصائر ، ج٦ ص٣٦ .
(٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ص٣٤٠ –٣٤٥ .
(٨) دوزي ، المعجم المفصل ، ص٢٠١ .
(٩) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ص١٩٨ .

وعند حصار بغداد١٩٧هـ/٨١٢م كان الأمين يلبس ثياب الخلافة وهي دراعة وقلنسوة وطيلسان(١). ولم يقتصر ارتداء الدراعة على الخلفاء فقط ، إذ شاركهم في ارتدائها الشعراء والظرفاء والشيوخ والقضاة (٢) . واستعمل الخلفاء القباء الذي أعتبر من قطع الملابس الرسمية والقباء رداء طويل ذي أزرار مفتوحة من الأمام ومقور عند الرقبة يلبس فوق القميص (٣).
وكان القباء مهما ومما يؤكد أهميته عند الخلفاء ما يرويه ابن الجوزي عن المعتضد بالله ٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م أنه انسحب من مجلس سرور لحسم قضية عامة فلبس قباء وأخذ بيده حربة قبل أن يجلس في مجلس عام (٤) .

وكان لون الأقبية في المواكب الأسود (٥) وكان لا يصل أحد إلى الخليفة في يوم موكب أو غيره إلا بسواد (٦) وكان لباس القواد والجنود والناس كلهم السواد (٧) باعتبار أن اللون الأسود هو الشعار الرسمي للدولة (٨) .

ولما دخل المأمون بغداد دخل ولباسه ولباس أصحابه وأقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم كلها الخضرة، ولم يكن يدخل عليه أحد إلا في ثياب خضر ، ولبس ذلك أهل بغداد وبنو هاشم أجمعون ،فلما رأى طاعة الناس له في لبس الخضرة وكراهيتهم لها دعا بسواد فلبسه وألبس طاهر بن الحسين ثم دعا قواده فألبسهم أقبية وقلانس سوداء (٩) .

ومع أن اللباس الرسمي كان ذي لون أسود فقد تبارى الناس في لبس الملابس الزاهية المتنوعة الألوان في حفلاتهم المسائية (١٠) .
ولم يتحرج الخلفاء من استخدام الألوان المتنوعة فيما كانوا يرتدونه من ملابس في مجالسهم الخاصة ، فقد عرف عن المهدي أنه يلبس الثياب الموردة (١١) .

---

(١)الخطيب البغدادي ، تاريخ ج١٠ ص١٩٨ .
(٢) المسعودي ، مروج ، ج٤ ص٦٠ .
(٣) دوزي ، المعجم المفصل ، ص٢٨٦ .
(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ص١٢٩ .
(٥) التنوخي ، نشوار ، ج٨ ص١٣ .
(٦) الصابي ، رسوم ، ص٧٤ - ٧٥ .
(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ص٤٥٣-٤٥٤ .
(٨) الوشاء ، الموشي ، ص١٢٣ .
(٩) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ص١٥٠ .
(١٠) الوشاء ، الموشي ، ص١٢٣ .
(١١) الجهشياري ، الوزراء ،ص ١٦٠ .

وتوفي الرشيد وهو يرتدي ثوبا أحمر (١)، وكذلك ارتدى المتوكل الدراريع الحمر، (٢) وشوهد المعتضد بالله لما خرج إلى قتال وصيف الخادم ، وعليه قباء أصفر (٣) .وكانوا إذا جلسوا في مجلس الشراب واللهو لبسوا الثياب الحمر والصفر والخضر (٤) ، غير أن لباسهم في المجالس الرسمية والعامة باستثناء حالات قليلة ونادرة ، كان هو السواد (٥) .

وكانت الخاصة ترتدي الثياب الموردة ويحرمون بها (٦)، قال علي بن محمد النوفلي أن أباه قال: " وأنا أساير محمد بن عون بن عبد الله بن الحارث وكان من سادة بني هاشم ومشايخهم وكان في ذلك اليوم عليه ثوبان موردان قد أحرم فيهما ، وكان مشايخ بني هاشم يحبون أن يحرموا في المورد " (٧) . وكان شفيع خادم المتوكل يلبس ثيابا موردة (٨) .

وكانت الألوان الصفراء المصبوغة بالزعفران محببة لدى المغنين (٩) . وكان هارون الرشيد يرتدي في الصيف غلالة (تلبس تحت الثياب وتلي شعر الجسد رقيقة)عليها إزار رشيدي عريض القلم مضرج الصبغ الأحمر) (١٠) وكان القميص أطول من الغلالة (١١) .

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٣ ص١٥ .
(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ص١٢٠ .
(٣) التنوخي ، نشوار ، ج٢ ص٢٤٨ .
(٤) الطقطقي ، الفخري ، ص٢٠٤ .
(٥) التنوخي ، نشوار ،ج٢ ص ٢٤٨ .
(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ص٥٤٤ .
(٧) ن . م . ج٤ ص٥٤٤ .
(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢ ص١٢٤ ، الشابشتي ، الديارات ، ص ٥٧ .
(٩) الوشاء ، الموشي ، ص١٢٣ .
(١٠) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٥ ص١٥٠ .
(١١) التوحيدي ، البصائر ، ج٣ ص٥٩ .

وكان من الأمور التقليدية بالنسبة للخلفاء ، أن يتقلد الخليفة في مجلسه العام سيف النبي عليه السلام ، وأن يجعل بين فخذي الدست عن يساره سيفا آخر ، وأن يجعل على كتفه وصدره وظهره بردة النبي عليه السلام (١) . وكان الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوسا وركوبا ،وبات الخليفة يضعها على كتفه في اليوم الأول من أيام عيد الفطر ، وعند الخروج للحرب ، وفي أوقات الأزمات ، ومن ذلك ما يذكره المسعودي في حوادث سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م من أن المستعين بالله ٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م خرج إلى سطح دار العامة وعليه البردة فكلم الناس وأقسم عليهم بحق صاحب البردة أن ينصرفوا (٢) .

وقد اختلفت الملابس باختلاف فئات الناس ، فالزهاد لبسوا الملابس الخشنة ذات الأشكال البسيطة وكذلك الرث الممزق (٣) واتخذوا من القماش الرخيص الثمن كالخام ملابس لهم (٤) ، ومنهم من جعل ملابسه جميعها من لون واحد من القماش ، أي أن تكون الجبة والسروال والعمامة والطيلسان من قطعة قماش واحدة (٥) .

وكان الفقراء من العامة يلبسون المدرعة وهي نوع من أنواع الجبب ، تكون من الصوف بصورة خاصة (٦) وقد يلبسون الخلقان (٧) ، وكان لباس السراويلات شائعا بين العامة جميعها نساء ورجالا وخاصة السراويلات البيض المذيلة (السراويلات تشبه البنطلون في أيامنا هذه ، لكنها واسعة مابين الفخذين) (٨) .

---

(١) آدم متز ، الحضارة في القرن الرابع الهجري ، ج١ ص٢٥٥ .
(٢) المسعودي ، مروج ، ج٤ ص١٦٣ .
(٣) الماوردي ، آداب ص٨٩ ، الخطيب ، تاريخ ، ج٨ ص١٥ .
(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ص٢٣ .
(٥) الخطيب ، تاريخ ، ج١ ص٣٧٤ ، ج٧ ص٢٦٩ .
(٦) ابن سيده ، المخصص ، ج٤ ص٣٦ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ص٨٢ .
(٧) ابن الجوزي ، المدهش ، ص٢٣٣ .
(٨) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ص٥٣٦ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ص٣٣٤ ، مصطفى جواد ، أزياء العرب ، التراث الشعبي العدد ٨ ص ٦ سنة ١٩٦٤ ، والسراويل لباس يستر النصف الأسفل من البدن ، دوزي ، المعجم ، ص٣٢٢ .

أما غير الفقراء والزهاد من الناس ، فكانوا يميلون إلى لبس الجيد من الملابس كالحريرومن انواعه الأبريسيمية (١) .

وقد ورثت عامة بغداد عن أسلافهم لبس ثوبين معا (٢) سواء كان الفرد من محبي مجالس المنادمة أو من رجال الصوفية (٣) أو من غيرهم (٤) ، ومن ملابس العامة الإزار وهي قطعة قماش كانت تلف أو تعقد على وسط الإنسان(٥) وقد اقتضت السنة النبوية أن لا يزيد طول ا لإزار عن الكعبين بل أن يكون محصورا ما بين الكعبين ومنتصف الساق(٦) ، واستعمل الإزار في الحمامات الرجاليه والنسوية لستر العورة (٧) . ولم يقتصر لبس الإزار لستر العورة فقط ، بل أصبح يرتدى فوق الملابس أيضا ، سواء كان ذلك على أسفل البدن أو أعلاه . فقد أورد ابن الجوزي عن "رجل دخل إلى المستراح فأراد أن يحل لباسه فحل إزاره "(٨)، فالإزار هنا استعمل فوق الملابس . ومما يؤكد إرتداء الإزار فوق الملابس ما أورده الخطيب عن محمد بن أحمد السدوسي ت ٣٣١هـ/٩٤٢م حيث قال " ورأيناه فقيرا يجيئنا بلا إزار ونقرأ عليه الحديث ونبره بالشيء" (٩) .

وقد أصبح عدم ارتداء الإزار فوق الملابس مما يعاب الفرد عليه ، وهذا هو الزي الذي يفسر لنا شتم أحدهم لرجل حيث قال له : " يا قميصا بلا مئزر " (١٠) .

---

(١) ابن الجوزي ، تلبيس ، ملبس ، ص٣٨٤ .
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ص٢٤٦ .
(٣) الخطيب ، تاريخ ، ج٦ ص٢٤.
(٤) ابن الجوزي ، أخبار الظرفاء ،ص ١٠١ .
(٥) ابن سيده ، المخصص ، ج٧ ص٧٦-٧٧ ، الفيروز آباذي ، ج١ ص٣٦٣ ، مصطفى جواد، أزياء العرب ، مجلة التراث الشعبي ، ج٨ ١٩٦٤ ص ٥ .
(٦) الخطيب ، تاريخ ، ج٩ ص٣٨٥ .
(٧) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص٣٨٦ ، ابن الأخوة ، معالم ،ص ١٥٧ .
(٨) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى ، ص١٤٤.
(٩) الخطيب ، تاريخ ، ج١ ص٣٧٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ص١١٦-١١٧ .
(١٠) التوحيدي ، الإمتاع ، ج٢ ص٥٩ ، الأزدي ، حكايات القاسم البغدادي ،ص ٥ .

أما أقمشة المئزر ، فكانت تختلف حسب إمكانات الأشخاص المالية ، فالزهاد مثلا كانوا يرتدون المئزر من الفوط (١) ، وغيرهم يأتزرون بازار القصب (٢) ، أما ألوانه فقد اختلفت أيضا ، فمنها الأبيض ، ومنها الأزرق (٣) ، ولم يكن لبس الإزار مقصورا على الرجال وحدهم ، إذ قد شاركتهم النساء أيضا حيث طورنه و اعتنين به منذ عهد مبكر (٤) .

ومن الملابس أيضا الطيلسان ، وشارك في لبسه كثير من العلماء والقضاة (٥) والكتاب (٦) (والطيلسان ، عبارة عن ثوب خال من التفصيل والخياطة ، مربع الشكل يجعل على الرأس فوق العمامة أو القلنسوة ويغطى به أكثر الوجه ، ثم يدار طرفان منه من تحت الحنك أي أن يحيطا بالرقبة جميعها ثم يلقيان على الكتف ، أما الطرفان الأخران فإنهما يدليان على الظهر . وألوانه مختلفة(٧). ولبس الطيلسان مشترك بين العامة والخاصة (٨) وكان الطيلسان يلبس فوق الملابس للتجمل به (٩) وكان الناس يتهادون به (١٠) وقد يعطى كخلعة من دار الخلافة (١١) ، كما أن القضاة كانوا يلبسونه عند حضور مجالس الخلفاء ، أو مواكبهم (١٢) ، ومن جهة أخرى فإن لبس الطيلسان فوق الملابس لم يكن فرضا لا بد منه(١٣) إذ أنه لم يكن شائعا بين فقراء العامة . ومن أنواع الطيالسة ، اليعقوبية ، وكانت مصبوغة ملونه بالأزرق الخفيف (١٤) .

---

(١) التنوخي ، نشوار ، ج٢ ص١٥٣ .
(٢) الأزدي ، حكايات أبي القاسم البغدادي ،ص ٥٤ ، الصابي ، رسوم ،ص ٩٨ .
(٣) الأزدي ، حكايات أبي القاسم ،ص ٥٤ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٧ ص٣٠٢ ، ج١٥ ص١٣١ .
(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ص٢٦٩ .
(٦) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١ ص٢٣٤ .
(٧) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٢ ص٣٤٢ .
(٨) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ص٦٣٤ .
(٩) الأزدي ، حكايات ، ص٥ .
(١٠) الثعالبي ، ثمار القلوب ،ص ٤٨٠-٤٨٣ ، المقدسي ، حسن التقاسيم ،ص ١٢٩ .
(١١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ص٢٤٨ .
(١٢) الصابي ، رسوم ، ص٩١ .
(١٣) الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٦ ص١٠٣ .
(١٤) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ص٥٧٨ .

ومن الملابس أيضا الجبة ، وهي تختلف عن الطيلسان في كونها ثوبا مفصلا ومخيطا يحيط بالبدن وله كمان(١)وكانت تلبس فوق القميص(٢).وكانت جبة الأغنياء عريضة طويلة الذيل(٣).
وذكر ابن الجوزي نوعا من الجبب المشهورة والتي اعتاد الناس على ارتدائها منذ زمن بعيد سماها الجبة المكفوفة الجيب والكميين (٤) . وعند الحديث عن الجبة لا بد من الحديث عن الأكمام التي كانت موضع اهتمام الناس ، حيث بالغوا في توسيعها ، وقيل أن أول من أمر بتوسيع الأكمام الخليفة المستعين ٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٠م فأصبح عرضها ثلاثة أشبار (٥) ومنذ ذلك الوقت لم تعد مجرد جزء من الجبة بل أصبحت أداة لحمل كثير من الأشياء فيها كالدنانير ، وكان ذلك بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء (٦) ، وكانت النساء تستعملها أداة لحمل الطيب والزهر ، فلم يكن يخلو كم الشاعرة متيم الشامية من الريحان (٧) ، واستفاد منها المشعوذون لإخفاء حيلهم عن عيون الناس (٨) .ومن جملة ما يحمل في الأكمام ،الرقاع وخاصة عند ذهاب المتظلمين لمراجعة بعض دواوين الحكومة (٩) .

وقد اختلفت الملابس باختلاف المهن والحرف ، فكان لكل ذوي حرفة ملابس خاصة بهم ، فقد كان للكتاب زي خاص (١٠) ، وللطباخين ثياب خاصة بهم (١١) ، وعندما يتحدث الجاحظ عن أحد طباخي البيوت يذكر أنه كان يلبس قميص العمل (١٢) وقد اتزر الحمالون والخدم بالفوط (١٣) ولبس عمال الحمامات التبان (١٤) وهو سروال صغير بمقدار شبر (١٥) .

---

(١) ابن الجوزي ، تلبيس ص١٨٤ ، دوزي ، المعجم ،ص ١٦٩ .
(٢) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٩٥ ، الفرج بعد الشدة ، ص٢٢٣ .
(٣) الجاحظ ، الرسائل ، ص٤٢ .
(٤) تلبيس ، تلبيس ، ص١٨٤ .
(٥) اليعقوبي ، مشاكلة ، ص٣٤ .
(٦) التنوخي ، نشوار ، ج٣ ص٦٠ ، ص٨٤ ، ص٢٨٠ ، ابن الجوزي ، ذم الهوى ،ص٤٧٥
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٧ ص٣٠٦ ، ص٢٢٢ .
(٨) ابن الجوزي ، الأذكياء ، ص١٤٦ .
(٩) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٤٦، ج٨ ص٧٠ .
(١٠) التوحيدي ، البصائر ، ج٢ ص٧٧ .
(١١) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ص٤٨ .
(١٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج٦ ص٤٩٦ .
(١٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ص ٣٧٣ .
(١٤) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص٢٥ .
(١٥) دوزي ، المعجم ، ص٨١ .

ووصف ابن الجوزي أحد سقاءي بغداد بقوله " رجل متزر بمنديل دبيقي بيده كيزان خزف " (١) أما الملاحون فقد لبسوا التبابين (٢) والمدرعة (٣) ولبس الشواؤون الازار(٤) .وكان القفطان من لباس التجار والصناع وهو لباس من الجوخ الأسود خالص السواد أحيانا وأزرق أو من لون آخر ، بالغ الطول ، ينزل إلى منتصف السيقان ومطرز من الباطن أكمامه نصف أكمام قصيرة (٥) وكان للقضاة زي خاص بهم (٦) وكذلك التجار (٧) ولبسوا العمائم الملونة (٨) . وكانت ملابس من دخل دار السلطان على مراتب مختلفة فمنهم من يلبس المبطنة ومنهم من يلبس الدراعة ومنهم من يلبس القباء أو يلبس البازيكند (٩) .

وهكذا نجد أن الملابس اختلفت باختلاف المهن وبالتالي اختلاف المركز الاجتماعي ، وخاصة في نوعية الأقمشة المستخدمة فيها .

وتجدر الإشارة إلى أن المحتسب اهتم بملابس ذوي المهن و الحرف وجعل لها شروطا خاصة ، فأمر العجان أن لا يعجن " إلا وعليه ملعبة أوثوب مقطوع الأكمام ، ويشد جبينه بعصابة بيضاء لتمنع عرقه أن يقطر " (١٠) وأمر السقاعين بلبس التبابين (١١) كما كان يتفقد نظافة أزار الشوائين (١٢) وإزار السقاعين (١٣) وملابس السمانين (١٤) .

---

(١) مناقب بغداد ، ص٣١ .
(٢) دوزي ، المعجم ، ص٨١
(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ص١٢٨ .
(٤) ابن الأخوة ، معالم ، ص٩٤ ، الشيزري ، نهاية الرتبة ص٣١ .
(٥) دوزي ، المعجم ، ص ١٣٥ .
(٦) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢١٢ .
(٧) التنوخي ،نشوار ، ج٥ ص١٤٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ص١٢٦ .
(٨) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص١١٦ ، ابن الطقطقي ، الفخري ،ص ٢٨٨ .
(٩) الجاحظ ، البيان ،ص ٦٠ .
(١٠) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص٢١-٢٢ .
(١١) ابن بسام ، نهاية الرتبة ص٢٥ .
(١٢) ابن الأخوة ، معالم ، ص٩٤ ، ابن بسام ، نهاية الرتبة ،ص ٣٨ .
(١٣) ابن الأخوة ، معالم ، ص٢٣٩ .
(١٤) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٦٠ .

وكان الناس بصورة عامة يميلون إلى الاعتناء بمظهرهم ، وخاصة إذا أراد أحدهم الخروج من البيت ، لذلك كان يعمد إلى دهن شعره وتسريحه ، ثم النظر بعدها في المرآة (١) ليسوي عمامته ويلبس ثيابه بعناية بحيث يجعل منظرها الخارجي حسنا مقبولا في أعين الناس (٢) .
وقد اختلفوا في اهتمامهم بنظافة ملابسهم ، فكان بعضهم يكتفي بغسلها بالماء وحده دون استعمال الصابون (٣) وكان البعض يعمد إلى غسل ثيابهم مرارا ، وربما بلغ الأمر بأحدهم أن يغسل ملابسه لمجرد لمس شخص لها . وكان منهم من يغسل ثيابه في دجلة تدينا في اعتقاده وخوفا من أن يكون في البيت نجاسة ، ومنهم من يدليها في البئر بنفسه لنفس السبب (٤)

وكانوا يضعون العنبر حول الثياب والنعال حتى يعطيها رائحة زكيه (٥) وكان يتم تعطير الملابس بالمسك والغالية (٦) .

وكانت النساء تلبس على الرأس المقنعة التي تغطي بها المرأة رأسها (٧) ويبدو أنها كانت ذات لون أسود (٨) ، وكن يضعن النقاب على وجوههن وله ألوان مختلفة (٩) . وكن يلبسنه عند حضور مجالس الوعظ . وكان هذا النقاب خفيفا شفافا أو مخرما يرى الوجه من خلاله ، وهذا ما يفسر لنا وقوع بعض الشبان بحب تلك النسوة اللاتي يحضرن مجالس الوعظ بعد أن يشاهدوا جمالهن ويعجبوا به (١٠) .

وتضع بعض نساء الأغنياء عصائب مكللة بالجوهر ، وأول من اتخذها علية بنت المهدي فقد كان في جبينها شيء من السعة،فاتخذت العصائب المكللة بالجوهر لتستر بها جبينها (١١) .
أما الملابس الخارجية للمرأة فكانت الرداء والإزار والسروال (١٢)، وكانت الجواري تلبس القميص المورد والسراويل الموردة والقناع المورد (١٣) .
أما الملابس الداخلية التي تلبس على الجسم مباشرة فمنها ، الأتب ، والصدار ، والقرقر ، والقرقل والمجول والشوذر ، وكلها عبارة عن قمصان متقاربة في الشكل من حيث الطول والعرض وعدم وجود الأكمام فيها ، ومنها أيضا الغلالة وهي ثوب رقيق يلبس تحت ثوب سميك (١٤) .
أما ملابس الأطفال فقد كانت القمصان وخاصة الملونة والجبب والدراريع (١٥) .

---

(١) الغزالي ، إحياء ، ج١ ص١٤٢-١٤٥ .
(٢) ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص١٩٤ .
(٣) الخطيب ، تاريخ ، ج٨ ص١٥ .
(٤) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص١٣٣ .
(٥) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٩٤ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٩ ص١٨٩ .
(٧) ابن سيده ، المخصص ، ج٤ ص٣٨ .
(٨) الأزدي ، حكايات ، ص٥٤ ، الخطيب ، تاريخ ، ج٧ ص٣١٩ .
(٩) ابن جبير ، الرحلة ، ص٣٣٣ .
(١٠) الخطيب ، تاريخ ، ج٨ ص٦٤ .
(١١) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٧ ص١٩٦ .
(١٢) الأزدي ، حكايات ،ص ٥٣-٥٤ .
(١٣) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٧ ص١٩٦ .
(١٤) بدري فهد ، العامة ، ص١٦٢-١٦٣ .
(١٥) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى ،ص ١٣٩-١٤

وقد اختلف الناس في الاعتناء بالجوارب والأحذية ، فبعضهم كان يلبس جواربه نظيفة ، بينما كان البعض الآخر يلبسها قذرة نتنه الرائحة (١) .وكانوا ينتعلون فوق الجوارب النعال (٢) سواء كانوا صغارا أو كبارا إلا أن نعال الصغار والنساء امتازت بأنها صراره (٣) أي أنها تصر عند المشي . وقد انتعلوا اللالكة (أو اللالجة) وهي نوع من الأحذية كان الناس يلبسونه بأرجلهم نساء ورجالا (٤) .وقد اختلفت ألوانها فمنها الحمراء ومنها السوداء ، والسوداء استعملها الموظفون في المناسبات الرسمية (٥) ، وكذلك لبسوا (الخفاف) (٦) . وذهب آدم متز إلى أن لبس الخفاف الحمر كان معيبا ، أو أنه كان لباس أهل الخيلاء من المتظرفين المخنثين الجهال (٧) . ولكن لا يوجد ما يؤكد ذلك بل على العكس فقد ورد عن الكتاب في العصر العباسي الأول بأنهم كانوا يلبسون الخفاف الحمر (٨) وأنها أصبحت من ملابس الخلفاء في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، لذلك منع الداخل إلى دار الخلافة من لبس الخفاف الحمر لأن الأحمر لباس الخليفة (٩) .

ومن الأنواع الأخرى للأحذية الخفاف الطاقية (وهي التي تكون بطاق واحد وتكون من النوع الذي يخف للإنسان استعماله) ، والنعال السنديه (نسبة إلى السند وهي لا تحبس القدم من الخلف فيرتاح لا بسها) (١٠) .ويذكر التنوخي أن الرشيد أراد ترك المجلس ، فقدمت إليه النعل ، فجعل الخادم يصلح عقب النعل في رجله فقال له : أرفق ويحك ، أحسبك قد عقرتني ، فقال جعفر قاتل الله العجم ، لو كانت سنديه ، ما احتاج أمير المؤمنين إلى هذه الكلفة ، فقال : له الرشيد ، هذه نعلي ونعل آبائي ، ما تدع نفسك والتعرض لما تكره (١١) .

ويذكر أن السيدة أم المقتدر كانت تتخذ نعالا من الثياب الدبيقية ، تقطع على مقدار النعال المحددة وتطلى بالمسك والعنبر المذاب ، وتجمد ويجعل بين كل من الطبقتين من ذلك الطيب ماله قوام وتلف بعضها على بعض ، ثم تصمغ حواليها بشيء من العنبر و تلزق حتى تصير كأنها قطعة واحدة ، وتجعل الطبقة الأولى بيضاء مصقولة وتخرز حواليها بالإبريسم ويجعلون لها شرطا من أبريسم ، وكان النعل الواحد يكلف جملة دنانير وكانت السيدة لا تلبس النعل الواحد منها إلا عشرة أيام أو حواليها حتى تخلق ، وتتفتت ، وتذهب جملة دنانير في ثمنها وترمى ، فيأخذها الخزان أو غيرهم ، فيستخرجون ما فيها من العنبر والمسك (١٢) .

وكان الناس يلبسون الخفاف والقلانس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء ، إذا دخلوا على الأمراء والسادة والعلماء(١٣).وكانت تتم في بعض الأحيان الكتابة على شراك النعال(١٤).

---

(١) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٢٨٦ .
(٢) الخطيب ، تاريخ ، ج٢ ص٥٤ ، ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص١٨٦ .
(٣) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص٢٦٥ ، الشيزري ، نهاية الرتبة ،ص ٧٣ .
(٤) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص٨٩ .
(٥) الصابي ، رسوم ، ص٧٥ ، ص٩٢ .
(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ص٣٦٠ ، ابن الجوزي ، الظراف ، ص٤٨ .
(٧) آدم متز ، الحضارة ، ج٢ ص٢٢٤ .
(٨) التنوخي ، نشوار ، ج٨ ص٢٧ .
(٩) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ص٢٧٢ ، الصابي ، رسوم ، ص٧٥-٧٦ .
(١٠) الجاحظ ، البخلاء ، ص١٥٢-١٥٣ ، التوحيدي ، الرسالة البغدادية ،ص ١٤٨ .
(١١) التنوخي ، نشوار ، ج٣ ص٣٦٥ .
(١٢) م.ن ، ج٤ ص٣١٣ .
(١٣) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج٣ ص٦٠ .
(١٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٤ ص٣١٣.

أدوات الزينة :

أعطت المرأة بعض وقتها للاعتناء بمظهرها وإبراز جمالها . ولم يكن هذا مقصورا على فئة معينة من النساء ، بل كان شائعا بينهن جميعا ، ولقد ساعد على ذلك جملة من الأمور منها : التقليد ، إذ أن واضعات الأزياء ومبتكراته على الأغلب كن من المترفات ، كزوجات وجواري الخلفاء والأمراء وكبار التجار اللاتي كن يتفنن في وضع الأزياء ، فتنتقل منهن إلى نساء العامة والتي ما إن تشيع حتى تظهر مبتكرات أخرى تغاير النوع الأول . وكان استحداث الأزياء يعم من قبل ذوات اليسار ثم تشيع في بقية نساء المجتمع البغدادي (١) .

كما أن شيوع اتخاذ الجواري وسهولته لا بد أنه ولد في قلوب الحرائر الغيرة منهن على أزواجهن مما دفعهن إلي استخدام وسائل الزينة للظهور أمام أزواجهن بمظهر جميل . ثم أن رقي الدولة العباسية وتقدمها وشيوع الترف ، أسهم في تقدم وسائل التجميل التي كانت معروفة من قبل ذلك ، ثم أن رقي الدولة العباسية في التجارة والصناعة ، أدى إلى امتلاء الأسواق بشتى صنوف أدوات التجميل من عطور ودهان وأصباغ وملابس وغيرها .

وأول مظاهر الزينة تتمثل في ملابس النساء الملونة والمختلفة الأشكال والنسيج ، ثم في أحذيتهن ، وفي شعورهن التي كن يعملنها على أشكال مختلفة كالضفائر (٢) . وكانت النساء تصفف شعرهن بما يدعى بالطره السكينية أو الجمة السكينية (نسبة إلى السيدة سكينة بنت الإمام الحسين ، وكانت أجمل الناس شعرا ، وكانت تصفف شعرها تصفيفا لم ير الناس أحسن منه ، حتى عرف ذلك وشاع وقلدنه النساء) (٣) . واستخدمت النساء الأمشاط الطاهر به (٤) .

---

(١) اليعقوبي ، مشاكله الناس ، ص٢٦ –٢٧ .
(٢) الغزالي ، أحياء ، ج١ ص١٤١.
(٣) الأصفهاني ،الأغاني ، ج٤ ص١٦٥ .
(٤) التوحيدي ، الرسالة البغدادية ، ص١٤٩ .

كما استعمل أهل بغداد أنواعا كثيرة من الدهان لتحسين الشعر سواء كان للرأس ، أو لشعر اللحية كما هو الحال بالنسبة للرجال (١) .

واستخدمت الأصباغ وكانت مختلفة الأنواع منها الحناء التي تخضب بها الأطراف (الأيدي والأرجل) (٢) وكانت تتخذ الكتابة على الكف بواسطة الحناء (٣) واستخدمت الحناء للحية (٤) واستخدم خضاب الشيب وهو صبغ أسود يصبغون به الشيب إذا ظهر (٥) .
ومن الأصباغ الشناذر، ومنها أصباغ الخدود التي تحمرها أو تبيضها حسب مقتضيات الأحوال (٦) .

ومن أدوات الزينة أيضا ، الملاقط ، وتستخدم للنتف (٧) . والمقابض لحجر الحمام ، الذي يستعمل لتنظيف باطن القدم (٨) .
وكانت المرايا معروفة في المجتمع البغدادي ، وقد شاع استعمالها بين الناس جميعا ، وكان من بين من استعملها رجال الصوفية مثل الجنيد بن محمد ت ٢٩٨هـ/٩١٠م ، إلا أن البعض استمر ينظر إليها على أنها غير جائزة الاستعمال (٩) .

واستخدم الكحل لتجميل عيون الرجال والنساء عامة ، وكانوا يستخدمونه للزينة حينا وللتداوي حينا آخر .
وكان استخدام العطور في المجتمع البغدادي شائعا بين الرجال والنساء (١٠) ومن أشهر العطور التي استعملت منثور بغداد (١١) والبنفسج (١٢) والنينوفر الذي كان يستخدمه العشاق ، إذا نحف جسم أحدهما ، وذلك بأن يكثر من شمه ،(١٣) والكافور (١٤) والمسك والعنبر (١٥) .

---

(١) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص٦٤٧ .
(٢) التوحيدي ،الرسالة ، ص٢٠٣ ، الصابي ، الوزراء ،ص ٦٥ .
(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ص٣٤٣ .
(٤) الجاحظ ، الرسائل الكلامية ، ص٩٥ ، التنوخي ، نشوار ، ج٣ ص١٣٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج٤ ص٢٩٥ .
(٥) الماوردي ، الأحكام ،ص ٢٥٨ .
(٥) ابن الجوزي ، القطران ،ص ١٠٠ (الشناذر ، صبغ يستخرج من نبات أحمر يصبغ اليد إذا لا مسته ، الفيروز آبا ذي ج٢ ص٦٤) .
(٧) الجاحظ ، الرسائل الكلامية ، ص٩٥ .
(٨) ابن الأخوة ، معالم ، ص٢٢٦ .
(٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج٧ ص٢٤٧ ،ص ٤١٦ .
(١٠) الجاحظ ، الرسائل الكلامية ، ص٩٥ .
(١١) الثعالبي ، لطائف المعارف ،ص ٢٣٩ .
(١٢) الوشاء ، الموشى ، ص١٧٧ .
(١٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٦٦ ، ابن الجوزي ، ذم الهوى ،ص ٦٣٤ .
(١٤) التوحيدي ، الرسالة ، ص١٤٧ ، الفيروز آبا ذي ، القاموس ، ج٢ ص١٢٨ .
(١٥) التوحيدي ، الرسالة ،ص ١٩٧ .

ومن أنواع العنبر، العنبر السمكي والعنبر السحرني ، واستعمل من العود القماري (١) ومن المسك ، المسك الصيني (٢) .
وقد اهتم الخلفاء بالطيب عامة ، والغالية خاصة (٣) .
ومن أنواع الطيب المستخدم البر مكية والسكرية والجوهرية والعمار يه وذريرة الورد والذريرة الطيلونية و الغالية العنبرية ، والكافورية والساهريات واللخلخة والشمامات وبخور العود وأشهرها العود المندلي والعود المطرى بالمسك (٤) .

وقد اهتمت النساء بالحلي ، مثل الخلاخل والخواتم والقلائد (٥) والأساور (٦) .
واستخدمت الخواتيم الذهبية وخواتيم الياقوت (٧) .
ولقد اهتم المؤرخ المسعودى بهذه الظاهرة ، فسجل أسماء الخلفاء الأمويين والعباسيين الذين يتختمون ، وما نقشوا على خواتمهم من آيات أو كلمات حكيمة (٨) .

---

(١) ياقوت ،، معجم البلدان ، ج٣ ص٣٦٣ .
(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٦٤ .
(٣) التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٨٩ .
(٤) التوحيدي ، الرسالة ، ص١٣٨-١٤١ وما بعدها .
(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ص٧ ، التوحيدي ، الرسالة ، ص١٩٨-٢٠٣ ، التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٣٣٨ .
(٦) التوحيدي ، الرسالة ،ص ١٩٨-٢٠٣ .
(٧) الوشاء ، الموشى ، ص١١٦-١٦٢ .
(٨) المسعودى ، التنبيه والإشراف ،ص ٢٦١-٣٤٥ .

الزواج :

كان الرجل إذا أراد الزواج فإنه يكلف إحدى قريباته أو معارفه لتختار له فتاة صالحة يتخذها زوجة له (١) . وقد يكلف دلاله لتقوم له بهذه المهمة ويبدو أن النساء كن يتفقن مع الدلالة من أجل أن يحصلن على أزواج لهن ، ومن أجل ذلك قد تغش الدلالة طالب الزواج ، فتصف له بعض النساء على غير حقيقتهن كأن تتلاعب بالألفاظ أثناء وصفها له ، وبذلك تبرئ نفسها من الكذب (٢) . وكان الرجل في العادة لا يستطيع أن يرى الفتاة المخطوبة حتى تزف إليه ، وكان الرجل يوصي الخاطبة عند الاختيار ملاحظة جمال و أخلاق المخطوبة (٣) .

وكانت العروس تجهز قبل العرس ، وقد يتولى أبوها تجهيزها فينفق في سبيل ذلك الأموال ، كأن يصوغ لها " شيئا من الفضة "وقد يكون هذا شائعا عند العائلات الغنية فقط ، كهدية من الوالد إلى ابنته في مثل هذه المناسبة (٤) . وإذا تزوج أحد فقراء العامة أو إحدى فقيرات العامة استعار الأهل الملابس والحلي من الأقارب أو المعارف من أجل الظهور بمظهر لائق في حفل الزفاف (٥).

وكانت تقام حفلة العرس عادة في دار العريس بعد أن تهيأ ذلك . و يوضع على بابها بواب يمنع الغرباء من الدخول (٦) وبعد أن يتكامل عدد المدعوين تقدم إليهم الأطعمة الشهية والأشر به المنوعة (٧) ، ثم يزف الرجل إلى عروسه . وفي صبيحة اليوم التالي للبناء بها ، كان على العريس أن يقدم إلى زوجته صبحيه ، وهذه الصبحيه التي يصبحها بها قد تكون طعاما أو مالا (٨) ،وتقدم الهدايا للزوج من طيب وثياب ودواب وغلمان من قبل المهنئين (٩) ، وكانت المرأة تزف إلى دار الرجل حيث تسكن معه (١٠) ، وكان الأب هو ولي أمر البنت عادة فلذلك كانت موافقته أمرا ضروريا .

---

(١) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص٦٣٢ .
(٢) ابن الجوزي ، أخبار الظراف ،ص ٩٨ .
(٣) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص٦٣٢ .
(٤) ابن الجوزي ، تلبيس التلبيس ،ص ٣٨٢ ، ابن عبد ون وآخرون ، ثلاث رسائل أندلسية ص٨٣
(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ص٢٢١ .
(٦) الخطيب البغدادي ، التطفيل ، ص٥٩-٦٨ ، ابن الجوزي ، الأذكياء ،ص ١٣١ .
(٧) ابن الجوزي ، الأذكياء ، ص١٣١ .
(٨) ابن الجوزي ، أخبار الظراف ،ص ٨٩ .
(٩) التنوخي ، نشوار ، ج٣ ص١٠٣ .
(١٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١ ص٣٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ص٢٠٥ .

وكانت العادة الجارية أن يسأل والد البنت بعض الناس عن الرجل المتقدم لخطبة ابنته ، لكي يتعرف على شخصه ، ومدى صلاحه كزوج لابنته (١) .
ومن التقاليد أن يتزوج الرجل ابنة عمه (٢) ، إلا إذا أراد أبوها عامدا أن يعدل بها عن ابن عمها ، إلى رجل غريب ، وكان يتعذر على الرجل بعد زواجه من ابنة عمه أن يتزوج بامرأة سواها (٣).

وقد يجمع الرجل في بيته زوجتين ، يسكن إحداهما في الطابق السفلي ، والأخرى في الطابق العلوي ، وقد تكون له ثلاث زوجات في وقت واحد وفي دار واحدة (٤) .
وفي حال تعدد الزوجات تصبح كل امرأة بالنسبة للأخرى (ضرة) وكان الشائع هو الاكتفاء بامرأة واحدة (٥) .

وكان المجتمع البغدادي يقبل من الرجل المسلم أن يتزوج بامرأة مسيحية إذ يعتبر ذلك موافقا للشرع ، ولكن لا يقبل حدوث العكس (٦) ، وكان بعض الشبان من المسلمين يقعون في حب فتيات من النصارى ، وكان تعرفهم عليهن يجري بأشكال مختلفة ، كأن يرى الشاب في أثناء مروره في إحدى الأزقة فتاة في دارها فيعشقها ، وقد يكون الفتى مؤذنا في مسجد فيراها فوق السطح ويعشقها ، أو يلتقيها في أماكن أخرى (٧) .

ولم يشجع المجتمع زواج الأسود بالأبيض وكان طاووس لا يحضر املاك أسود على بيضاء ويقول تغيرون خلق الله (٨) . ولا يسمح بزواج زوجة سابقة لخليفة من رجل آخر كما حدث مع علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، تزوج رقية بنت عمرو العثمانية ، وكانت تحت المهدي فبلغ ذلك موسى الهادي ، فأرسل إليه وأنبه بداية ثم شجه وأمر بضربه بالسوط وأراده أن يطلقها فلم يفعل (٩) .

وكانوا لا يزوجون امرأة من رجل شاع عنها أن لها علاقة به .

---

(١) ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص١١٤ .
(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج٣ ص١٧٨ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج٢ ص٢٩٩ .
(٣) ابن الجوزي ، ذم الهوى ،ص ٤٧٩ .
(٤) ابن الجوزي ، الأذكياء ، ص٨٢ ، ص٥٩ – ٦٠ .
(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١ ص٣٢١ .
(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ص٢٣٠ .
(٧) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص٤٥٩ .
(٨) التوحيدي ، البصائر ، ج٥ ص٥٧ .
(٩) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ص٥٧ .
(١٠) الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص٦٠٧ .

وكانت النساء لا تختلط بالرجال ، فكن عند إقامة الاحتفالات مثل الأعراس أو حفلات الختان أو عندما يكون في الدار بعض الغرباء ، يلجأن إلى مكان منعزل في إحدى الغرف (١) . أو يصعدن فوق السطح ، ومن هناك يتفرجن على سير الوليمة أو الاحتفال (٢) ، وقد تقف المرأة بمفردها أو بصحبة بعض النسوة على باب الدار للتفرج على المواكب التي يسير فيها السلطان (٣) .

كان المجتمع لا يستسيغ الاختلاط بين النساء والرجال ، حتى أن المحتسب كان لا يسمح للزوجين أن يجتمعا في طريق خال من المارة (٤) ، وكان يفصل بين الرجال والنساء أثناء ركوب الزوارق عند عبور دجلة (٥) . إلا أن هذه القيود لم تحل دون اختلاط الجنسين ، فإن النساء كن يحضرن مجالس الوعظ في المساجد (٦) ، وتكايا الصوفية (٧) . وقد يلتقي الرجال بالنساء دون سابق وعد في الأسواق وشطوط الأنهار ، وأبواب الحمامات النسائية ، وعند زيارة القبور (٨) ، وعند مراجعة دواوين الخلافة (٩).وكان الشبان يقفون على الجسر ليتفرجوا على النساء العابرات وكانوا يسمعونهن كلمات الغزل،وقد يتبادلون وإياهن الكلمات، خاصة إذا كن ممن يستجبن لدواعي الغزل (١٠) . وكانت النساء أثناء خروجهن من البيت يتجملن ويعتنين بمظهرهن (١١) .

---

(١) الخطيب البغدادي ، التطفيل ، ص٢٣ .
(٢) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص٣٣٤ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج١١ ص٦٥ .
(٤) الماوردي ، الأحكام ، ص٢٤٩ .
(٥) الماوردي ، الأحكام ، ص٢٥٧ ، ابن الأخوة ، معالم ،ص ٢٢٢ .
(٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١٢ ص٧٦ .
(٧) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص٣٦١ .
(٨) ابن الجوزي ، تلبيس ،ص ٣٨٧ ، الشيزري ، نهاية الرتبة ،ص ١٠٩ .
(٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ص٢٧٨ .
(١٠) ابن الجوزي ، أخبار الظراف ،ص ٤٧ .
(١١) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص٣٨٧ .

الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية .

احتفل أهالي بغداد بمناسبات وأعياد دينية متعددة ، ويمكن أن تقسم الأعياد الدينية إلى :
أ . أعياد إسلامية ب. أعياد للنصارى .
أ . الأعياد الإسلامية :
عيد الفطر ويكون في اليوم الأول من شهر شوال ويستمر إلى اليوم الثالث منه ، أما مراسيم إعلان يوم العيد فتبدأ بمشاهدة الناس لهلال شوال ، ثم الشهادة لدى القضاة بذلك ، الذين يتولون أمر إيصال هذه الشهادة إلى قاضي القضاة ، ومنه إلى الخليفة حيث يصدر أمره بأذان العيد ، أما إذا لم يتحقق للناس رؤية هلال شوال فإنهم يكملون عدة رمضان ، وبعدها يكون إعلان العيد (١) .

وكانت الدولة تهتم بالاحتفال بحلول شهر رمضان ، فكانت تعنى بالمساجد فتضيئها ليلا بالمصابيح ، وتستكثر في هذا الشهر منها ،بناء على طلب الخليفة (٢) .
ويخرج الناس في أول أيام العيد إلى المسجد لأداءة صلاة العيد . ويتم توزيع الفطرة إلى الفقراء والمحتاجين (٣) . وقد حرص الخلفاء على الاحتفال بهذا العيد فكان الخليفة يخرج مبكرا في موكب مهيب ، وقد ارتدى أجمل ملابسه وبمعيته كبار رجال الدولة (٤) . وكانت المواكب تزين بالشموع الضخمة(٥) ومن ثم يصلي في الناس (٦) .

وقد كانت العادة أن يجري استعراض عسكري في بغداد في اليوم الأول من العيد وقد يبقى الاستعراض مستمرا طيلة أيام العيد (٧) .
وفي هذا الاستعراض يظهر الجند بملابسهم الفاخرة ، وقد ركبوا أجود الخيل ، ويقف العامة عند مرور الجيش على جانبي الطريق أو جالسين في شرفات في المنازل يطلون على سير الجيش ،

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ص١٧١ .
(٢) ابن طيفور ، بغداد ، ص١٢٩ ، الثعالبي ، خاص الخاص ،ص ٢١ .
(٣) الحريري ، مقامات ، ص٦٨ .
(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ص٣٣٦ . التنوخي ، نشوار ، ج٨ ص١٢ ، ص٩١
(٥) الصابي ، رسوم ، ص٩-١٠ .
(٦) التوحيدي ، البصائر ، ج٧ ص١٨٤ .
(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ص٣٥ ،ص ٥٨ ،ص ١٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ص٢١٦ .

بينما يكون الخليفة وكبار رجال الدولة جالسين في مكان يعد بصورة خاصة لهذه المناسبة وفي هذا المكان يستعرضون الجيش (١) . ولكي يحافظ على سير الاستعراض بانتظام كانت الحكومة تمنع العامة من ركوب البغال أوالحمير كي لا يختلط أحد منهم بالجيش المستعرض (٢) .

وإذا ما هل شهر ذي القعدة بدأت احتفالات جديدة بحلول موسم الحج ، وذلك أن الحجاج يتوافدون في هذا الشهر من واسط والبصرة والكوفة ومن المناطق التي تقع شرق العراق كفارس وخراسان وغيرها . فيجتمعون في الجانب الغربي من بغداد ويضربون الخيم هناك ، وتقيم لهم الحكومة مواضع خاصة لشرب الماء ، كما أنها تقدم لهم الأطعمة (٣) . وأهم واجباته قيادة الحجاج في ذهابهم وإيابهم والإشراف عليهم وصيانة الأمن بينهم خلال سفرهم ،وحمايتهم من هجمات البدو عبر الجزيرة العربية وتصدرهم عند القيام بشعائر الحج في مكة وعرفات وغيرها من الأماكن المقدسة (٤) .

ومن تنظيمات موكب الحج ، أن يتقدم الموكب حامل العلم وبعده ضارب الطبل ثم جند السفر ، وعندما يخرج الموكب من بغداد يكون في توديعه كبار رجال الدولة ومن خلفهم عامة بغداد(٥).

وإذا حل شهر ذي الحجة احتفلوا في اليوم العاشر منه بعيد الأضحى وخرج الناس مبكرين إلى المساجد لأداء صلاة العيد ، ثم يخرجون بعدها لينشغلوا بنحر الأضاحي وهي أهم ما يميز هذا العيد ، وتوزع لحومها على الفقراء والمحتاجين ، ولم يكن ذبح الأضاحي مقصورا على العامة وحدها ، فقد كان الخليفة نفسه يأمر بذبح الأضاحي على أبواب دار الخلافة ،

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ،ج١٠ ص٣٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ص٢١٦ .
(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ص٣٥ .
(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ص٢٧٦ ، ص٢٣ .
(٤) الصابي ، رسائل ، ج١ ص١٥٥ .
(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ص٢٦٣ ، ج٨ ٢ص ، ص٦٩ .

وتوزع لحومها على الفقراء (١) وكان الصناع ينتهزون فرصة حلول العيد ليصنعوا تماثيل حيوانية لبيعها للأطفال (٢) .

ب . الأعياد النصرانية :

هناك أعياد خاصة بكل دير من الأديرة يحتفل بها في أوقات معلومة من السنة (٣) . وكانت هذه الأعياد تقام في الأديرة وتعتبر مناسبة مفرحة ، يستعد لها النصارى " فيلبسون أبهى حليهم ويتزينون بفاخر الثياب ، ويخرج الرهبان والكهنة في موكب ديني وعلى ألبستهم الكنسية شارات الصليب وبين صفوفهم الأعلام وبأيديهم المجامر، يرتلون الأناشيد على نغم واحد متفق الألحان ، فكان من هذه الأعياد أعياد الصوم الكبير " (٤)، وتقسم حسب الآحاد . ففي الأحد الأول يكون الاحتفال بدير العاصية ، ويقع هذا الدير في " شرق بغداد بباب الشماسية على بعد ميل من دير سمالو " (٥) .

والأحد الثاني بدير الزريقية (٦) ، والأحد الثالث بدير الزندورد ويقع هذا الدير " بالجانب الشرقي من بغداد ، في منطقة كلها فواكه وأعناب وقيل عن أعنابه بأنها أجود الأعناب التي تظهر في بغداد " . لذلك كان حلول العيد به يجذب عشاق الطرب ومحبو المتنزه ، ولهذا أيضا تغنى بحسنه الشعراء (٧) . والأحد الرابع بدير درمالس " ويقع بباب الشماسية " (٨)، وعيده أحسن الأعياد إذ يجتمع فيه نصارى بغداد ، ومن يضاف إليهم من أهل اللهو ومحبي التنزه فيقيمون فيه أياما يقضونها بالتنزه في بساتينه ومزارعه ويتسلون بالنظر إلى النصارى المجتمعين ، وبطريقة تعبدهم (٩) .

وكان يحتفل بصوم العذارى بدير العذارى ،" ويقع بقطيعة النصارى على نهر الدجاج في الجانب الغربي من بغداد "(١٠) وكان هذا ديرا للراهبات السريانيات (١١) .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ص١٤١ .
(٢) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص٦٧ ، ابن الأخوة ، معالم ، ص٥٦ .
(٣) الشابشتي ، الديارات ، ص٣ .
(٤) بابو اسحاق ، أحوال النصارى ،ص٩٦، ص١٠٢ .
(٥) الشابشتي ، الديارات ، ص٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ص٦٧٠ .
(٦) الشابشتي ، الديارت ، ص٣ .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ص٦٥٢ ،ص ٦٦٦ ، ص٦٦٥ .
(٨) ياقوت ، البلدان ، ج٢ ص٦٦٠ .
(٩) الشابشتي ، الديارات ، ص٣ .
(١٠) الشابشتي ، الديارات ، ص٧٠ ، ياقوت ، البلدان ، ج٢ ص٦٧٩ .
(١١) ن.م. ص٢٢٩-٢٣٠ .

واما الاحتفال به فكان مثل حلول الصوم الكبير ، ويكون الصوم فيه لمدة ثلاثة أيام،فاذا انتهت اجتمعوا فيه و أقاموا شعائرهم الدينية(١).ويحتفل بدير اشموني عند حلول عيد القديسة اشموني وقد اختلف في تأريخ الاحتفال به فجعله الشابشتي في اليوم الثالث من تشرين الأول(٢)،وجعله البيروني في الخامس عشر منه(٣).

والاحتفال بهذا الدير من المناسبات البهيجة المعروفة عند أهل بغداد ،إذ كانوا يجتمعون فيه عند حلول العيد ،ويذهبون إليه عن طريق البر او عن طريق نهر دجلة ،لذلك يركبون السفن المختلفة كالطيارات والزبازب والسميرات،وهم بملابسهم الجميلة.فإذا وصلوا الى الدير انتشروا هناك فبعضهم يعكف على الشرب داخل حاناته و بعضهم ينتشر في الحقول المحيطة به و كان الموسرون من الناس يجلبون معهم الخيم ليقيموا هناك(٤).

ويقام عيد الفصح بدير سمالو ،الذي يقع " بالجانب الشرقي من بغداد بباب الشماسية على نهر المهدي،وكانت تحيط به البساتين والمزارع ".لذلك كان يعد من متنزهات بغداد المشهورة، فإذا ما حل العيد فيه ازدحم بالناس من النصارى ومن المسلمين(٥).

أما عيد الصليب فكان يقام بدير قنى " ويقع على بعد ستة عشر فرسخا من بغداد في الجانب الشرقي منها " (٦) تحيط به البساتين الحاوية على أنواع الثمار والمزدانة بالنخل والزيتون. وامتاز هذا الدير بكثرة صوامعه(٧).

بالإضافة الى هذه الأعياد ،فقد وصفت لنا كثير من الأديرة في بغداد اتخذتها العامة من الناس أماكن للتنزه و الاحتفال(٨).

---

(١)الشابشتي،الديارات،ص٧٠،ياقوت ،البلدان،ج٢ ص٦٧٩.
(٢)ن.م ،ص٣٠.
(٣)البيروني،الآثار الباقية،ص٣٠٠٠.
(٤)الشابشتي،الديارات،ص٣٠،ياقوت،البلدان،ج٢ ص٦٤٣.
(٥) الشابشتي،الديارات،ص٩،ياقوت،البلدان،ج٢ ص٦٧٠.
(٦)ياقوت ،البلدان،ج١ ص٣٨.
(٧)الشابشتي،الديارات،ص١٧١،ياقوت،البلدان،ج١ ص٧٣٩،ج٢ ص٦٧٦،ص٦٨٧،ص٧٠٠.
(٨)انظر ،الشابشتي،الديارات،ص١٦-١٨،ص٣٥،ص٤٥،ص٦٢،ص٢١،ص٤١،ياقوت، البلدان،ج٢ ص٦٦٦،ص٦٦٧،ص٦٥٠،ص٦٨١،ص٦٨٩،ص٦١٦،ص٦٦٢،ص٦٩٥.

و الى جاب هذه الأعياد هنالك أعياد أخرى احتفلت بها فئات المجتمع البغدادي،ترجع في أصولها الى الفارسية القديمة مثل عيد المهرجان و النيروز (١) ويحل النيروز عند الانقلاب الربيعي وذلك في ابتداء كل ربيع من السنة الجديدة،وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر آذار(٢)وكانت مدته عند الفرس ستة أيام يسمى اليوم السادس منها بالنيروز الأكبر ،أما المهرجان فكان موعده ببدء الانقلاب الشتوي في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان ،والسادس عشر من مدماه من شهور الفرس وبينه وبين النيروز ١٦٧ يوما ،ومدته عند الفرس ستة أيام يسمى اليوم السادس بالمهرجان الأكبر (٣).وفي هذه الأعياد كانت الهدايا تقدم للخليفة(٤)،وكان اهل السماجة يلعبون بين يدي الخليفة والفراغنة يرقصون(٥).وقد منع المعتضد سنة ٢٨٢هـ/٨٩٩م الناس من عمل ما كانوا يعملون به من صب الماء وايقاد النيران(٦) .وقد أورد الثعالبي مجموعة من المناسبات المفرحة والعبارات التي تقال فيها ومنها: التهنئة بالزواج ، وبولادة مولود جديد ،والتهنئة بالحج والتهنئة برمضان والعيد ،والتهاني بالخلع والألوية ،والتهاني بالأعمال والولايات مثل القضاء أو الوزارة ،هذا ويتم الاحتفال بولاية العهد(٧). وقد كانت المواكب تسير عند تقلد قاضي بغداد قضاء المدينة حيث يجتمع خلق من الأشراف والقضاة والشهود والجند والتجار وغيرهم على باب الخليفة حتى يخرج القاضي وعليه الخلع ويسير في الموكب(٨). وكان يتم الاحتفال بالطهور وتقدم فيه الهدايا(٩).

---

(١)المهرجان كلمة فارسية تعني مهر محبة وكان متصلة وتعني المحبة المتصلة.
(٢)محفوظ، النورز في الأدب العربي، مجلة التراث الشعبي،ص ١١،ع ٨ نيسان ١٩٦٤.
(٣)النويري،نهاية الأرب،ج١ ص١٧٨،القلقشندي،صبح الأعشى،ج٢ ص٤٠٨.
(٤)الأصفهاني،الأغاني،ج١٩ ص١٨٧-٢٠٦،التوحيدي،البصائر،ج٥ ص١٥،التنوخي ،نشوار،ج٨ ص٢٤٦.
(٥)الأصفهاني،مقاتل الطالبين،ص٥٨٥.
(٦)الطبري،تاريخ،ج٥ص ٦١٩،ابن الجوزي،المنتظم،ج٧ ص٢٧٨-٣٠٠.
(٧)الثعالبي،رسائل،ص١١٨-١٢٩،الأصفهاني،الأغاني،ج١١ ص١٩١،ج١٦ ص٢٨٦،التنوخي،نشوار،ج٦ ص١٤٢.
(٨)التنوخي،نشوار،ج١ ص٢٤٠.
(٩)ابن طيفور ،بغداد،ص١٠٧،البيهقي،المحاسن،ج٢ ص١٢١،ابن الجوزي،مناقب،ص٢٧.

وسائل التسلية .

يمكن اعتبار المجالس أهم مجالات التسلية في المجتمع البغدادي ، حيث كان يشترك في أنواعها المختلفة جميع فئات المجتمع ، ويمكن تقسيم هذه المجالس إلى نوعين :

١. مجالس خاصة .

وهي التي تكون بين الأصدقاء ، والأشخاص الذين تربطهم روابط المهنة الواحدة . وتكون مادة حديثهم إما عن أمور عامة ، أو أمور تتعلق بمهنتهم (١) . وكانت تعقد المجالس للأحاديث المختلفة في الدكاكين في الأسواق (٢) . وكان الشيخ ابن حفص احمد بن شاهين يعلم الحديث في حانوت رجل عطار في بغداد (٣) وكان سوق الوراقين في بغداد مجلسا للعلماء والشعراء (٤) وكانت مجالس الشعر تعقد في المساجد (٥) وفي بيوت الشعراء ، وكان لهم نواد ، قال الحريري :" ندوت (أقمت بالنادي) بضواحي الزوراء مع مشيخة الشعراء ، فأفضنا في حديث يفضح الأزهار إلى أن نصفنا النهار " وكانت النساء تحضر مجالس الشعراء (٦) ، وكان الشعراء يدخلون على الخلفاء في كل مرة (٧) .

وكان من تقاليد أهل الأصناف والحرف ، الاجتماع فيما بينهم لقضاء أوقات الفراغ للتسلية ، وللتباحث في أمور مهنتهم ، فقد كان الحاكة يجتمعون في بيت أحدهم للمسامرة والمناقشة في أحاديث متنوعة (٨) . ويذكر أبو نواس أن أحد الحاكة دعاه إلى بيته فوجد عنده اجتماعا للحاكة (٩) .

---

(١) الخطيب البغدادي ، التطفيل ،ص ٤٢-٤٣ ،ص ٨٢ .
(٢) التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ص٨٨-٨٩ .
(٣) الأبشيهي ، المستطرف ، ج٢ص ٦٤ .
(٤) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص٢٦ .
(٥) الطبري ، تاريخ ،ج٤ص ٥٣٠ ، التنوخي ، نشوار ، ج١ص ٩٦ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٣ ص١٤٠ ، الحريري ، مقامات ، ص١١٢ .
(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ص٢٥٥٦١ .
(٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج٦ص ١٧٦ .
(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ص٢٣٠ .

وكان الجلوس عند البقال والخباز والخياط من الأمور المألوفة ، وذلك لقضاء أوقات الفراغ (١) .
وتجدر الإشارة إلى أن مجالس السمر كانت تراثا شعبيا عربيا أصيلا حافظ عليه العرب بعد سكناهم العراق ، سواء في الكوفة أو البصرة أو بغداد (٢) .
ومن المجالس الخاصة التي كانت تعقد في دور الخلفاء ، مجالس الندماء وكانت تعقد أحيانا بحضور أجمل الجواري وأحذقهن في الغناء (٣)
٢. مجالس عامة :
ومن أشهر هذه المجالس مجالس الغناء ، وغايتها اللهو وسماع الغناء والموسيقى (٤) ومشاهدة الرقص الذي يجري فيها من قبل الجواري والمخانيث ، وكانت العامة مولعة بهذا اللون من المجالس ، لذلك كانت تحضرها وتسمر بها وتطرب وتصفق استحسانا للمغني أو المغنية (٥) . وكان للغناء أصول استقرت في العصر العباسي الأول وأصبح للموسيقى قواعد معروفة ومدارس متبعة (٦) . وقد ألف كثيرون في الغناء والموسيقى (٧) .

---

(١) التنوخي ، المستجاد ،ص ١٦٦-١٠٧ ، الفرج ، ج١ ص٢٣٢ ، الأبشيهي ، المستطرف ج٢ص ٦٣ .
(٢) الطبري ، تاريخ ، ج١ص ٥٣٣ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢ص ١٢٠ ، ج٧ ص١٧٥ ، ج١٢ ص٩٣ ، ج١٤ص ٤٩ ، ج١٧ ص٥٤ ، ج٢٠ ص١٦٩ .
(٣) المسعودى ، مروج ، ج١ ص٢٢٧ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج٥ص ١٩٤ ، ج١٠ ص٣٨٦، التنوخي، المستجاد ،ص ٥٥-٦٥ ، ص٥٨ ، الفرج ، ج٢ ص٥٢ .
(٤) ابن طيفور ، بغداد ،ص ١٧٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢١ص ٤٦ ، التنوخي ، نشوار ، ج٢ص ١٧٠ ، ابن الجوزي ، تلبيس ، ص٢١٨ ،ص ٣٨٢ ، التطفيل ،ص ١٠٣-١١٣ .
(٥) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٧٦٦ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، ج١ ٤-٥ ، ج١٠ص ٦٩ ،ص ٩٦ .
(٧) انظر ابن النديم ، الفهرست ،ص ١٧٤ ،ص ٢٠٨ .

والرقص كالغناء ، من حيث أصالته في المجتمع البغدادي ، فقد ورد عن الجواري في عهد الأمين ، أنهن اخترعن آلة خاصة للرقص تسمى (الكرج) وهي تماثيل خيل مسرجة من الخيش معلقة بأطراف أقبية تلبسها الجواري ، ويحاكين بها امتطاء الخيل من كر وإغارة (١) . وذكر ابن خلدون أن أمثال هذه الرقصات كانت تقدم في الولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو،وأنها انتقلت من بغداد وأمصار العراق إلى أقطار أخرى(٢).

أما الآلات الموسيقية المعروفة فهي الدف (٣) والناي والطبل (٤) والعود (٥) والطنبور (٦) والمعزفة والمزمار (٧) والبربط (٨) .

---

(١) الطبري، تاريخ ، ج٢ص ٩٧١ .
(٢) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٧٦٦ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، ج٩ص ٢٤٥-٢٥٠.
(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج٥ص ٢٠ ، ابن الجوزي ، تلبيس ، ص٢١٨-٢٣٧ .
(٥) الوشاء ، الموشى ، ص٧٤ .
(٦) ابن الجوزي ، الأذكياء ،ص ٧٠ ، تلبيس ، ص٢٣٧ (الطنبور: يشبه العود من حيث كونه ذا أوتار تشبه أوتار العود إلا أن رقبته أطول من رقبة العود) . مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج٥ ص ٦٤ سنة ١٩٤٨ .
(٧) ابن الجوزي ، تلبيس ،ص ٢٣٧ ، الوشاء ، الموشى ،ص ١٩١ (المعزفة : آلة من آلات العزف ، الوشاء ، الموشى ، ١٩١ ، وقيل المعازف اسم يجمع العود والطنبور وما أشبهها.
ابن سيده ، المخصص ، ج١٣ص ١٢ . المزمار : يصنع من القصب وينقب جانبه . ابن سيده ، المخصص ، ج١٣ص ١٤) .
(٨) الشيزري ، نهاية الرتب ، ص١٠٩ البربط : هو العود . الشيزري ، نهاية ،ص ١٠٩ .

رابعا : إن في القرآن من القصص وفي السنة من العظة ما يغني عن سواه .
خامسا : إن بعض القصاص افسدوا بأقاصيصهم قلوب العوام .
سادسا : إن أغلب القصاص لا يتحرجون من ذكر الأخطاء ولا يتحرون الصواب فيما يقصون (١) .

ولكن قصاص العامة انتشروا واستمروا في مواصلة نشاطهم ، بينما انقطعت أخبار القصاص الدينية في القرن الثالث وما بعده (٢) . ولشدة إقبال العامة على القصص وحضور مجالسه دفع ذلك الوراقين في القرن الثالث إلى كتابة القصص ، فاشتهر منهم ابن دلان (أحمد بن محمد) وآخر عرف بابن العطار ، بالإضافة إلى ما كتبه الأدباء والإخباريون من كتب الخرافات و الأسمار والأحاديث (٣) .

ولم يقتصر حضور مجالس القصص على الرجال فقط ، بل كان يحضرها النساء أيضا وكان يضرب بينهن وبين الرجال حجاب (٤) .

أما الطرق التي استخدمها القصاص لجذب انتباه العوام ، فكانت كثيرة ومتنوعة منها إنشاد الأشعار الغزلية في العشق أو اظهارهم التواجد والتخاشع ، أو اتيانهم بحركات تنسجم وقراءتهم الملحنة التي تشبه الغناء ، وقد يصفقون بأيديهم أو يعملون إيقاعا بأرجلهم ، وقد ينشدون أشعار النواح على الموتى وما يجري لهم من البلاء . وكانت النساء تتأثر بهذا فتشرع بالبكاء والعويل ، وبذلك تجلب انتباه الناس إلى القاص وتزيد في عدد مستمعيه .

كانت غاية العامة من حضور مجالس القصاص قضاء وقت الفراغ والتلذذ بسماع القصص ، ومنهم من كان يرى في مجال القصص فوائد دينية ومواعظ ، بينما كانت غاية القصاص الحصول على المال لذلك تلاعبوا بعواطف الجماهير واستخدموا كأداة بيد الحكام لبث الدعاية لهم لقاء أجر معين (٥) .

وفي سبيل الحصول على المال ابتكروا أساليب خبيثة مثل وقوف قاصين على جانبي السوق يأخذ أحدهما بذكر فضائل أبي بكر ، والأخر بذكر فضائل علي ، فيجمعان الدراهم من الناس فإن غادروا المكان تقاسما الدراهم فيما بينهما (٦) .

---

(١) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين ، ص١٥٠-١٦٠ .
(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ص٣٦٧-٣٦٩ .
(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص٤٣٦-٤٤٢، القفطي ، أخبار ، ص٣٣١ .
(٤) ابن الجوزي ، تلبيس ، ص١٢٢ ، القصاص ، ص١٩١ .
(٥)ابن الجوزي ، تلبيس ،ص ١٢١ .
(٦) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج٣ ص٣٣٠ .

لذلك كان وجود القصاص خطرا على الدين والخلق والثقافة بصورة عامة ، طالما كانوا يسلكون في سبيل المال وسائل شتى ، ويزداد خطرهم إذا علمنا بأنهم ليسوا على مستوى جيد من الثقافة الدينية ، فنرى أحدهم يقف واعظا فيقول " إذا مات العبد وهو سكران ، دفن وهو سكران ، وحشر وهو سكران " (١) وهم ينسبون الأحاديث المكذوبة إلى النبي عليه السلام ، ويضللون العامة من خلال قصصهم سواء كانوا يعرفون أو لا يعرفون (٢) .

ولما كان مستوى القصاص الثقافي بهذا الانحطاط علاوة على تلاعبهم بعواطف الجماهير ، كانت الحكومة والعلماء ينظرون إليهم نظرة تخالف نظرة العامة ، ففي سنة ٢٨٤هـ/٨٩٦م أصدر الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) أمره بمنع القصاص من الجلوس في الجامع أو الطرقات (٣) .

أما موقف العلماء منهم فقد كان فيه إنكار لأقوالهم وأعمالهم وأدى ذلك إلى الاحتكاك بهم . وكانت العامة تقف إلى جانب القصاص في مثل تلك المواقف ، وذلك لأن العوام جهال يرون في كلام القاص وضوحا يجري على حسب ميولهم ، ويرضي طموحهم بأسلوب بسيط يكون هزله أكثر من جده ، على العكس من كلام الوعاظ أو الفقهاء الذي يكون أرفع من مستوى إدراكهم ، ومن الذين حاربوا القصاص ونظروا إليهم نظرة إنكار ، المسعودى (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧ م) الذي قال أنهم يروون الأكاذيب(٤)ووصفهم المقدسي (ت٣٧٥هـ /٩٨٥م) بأنهم يروون الأعاجيب والترهات والأباطيل وأن قصصهم ما هي إلا تزاوير (٥) . أما ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) فإنه كان واقفا لهم بالمرصاد يرد عليهم ويفند أقوالهم ويفضح أكاذيبهم،وقد صرح بذلك في كتبه مثل تلبيس ابليس ، و"أخبار الحمقى و المغفلين" ، كما أنه كتب كتابا بعنوان القصاص والمذكرين ، أشير إليه في أكثر من موضع .

---

(١) ابن الجوزي ، أخبار الظراف ، ص٩٠ .
(٢) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى ، ص١٠٠-١٠٣، الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج٢ ص٣١٧ .
(٣) الطبري، تاريخ ، ج٥ ص٦٠٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ص١٧١ .
(٤) المسعودى ، مروج ، ج٥ ص٨٦ .
(٥) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج١ ص١٨٩٩ .

ومن وسائل التسلية ، اللعب بالشطرنج وخاصة عند الخاصة (١) ، وكان الرشيد هو أول خليفة لعب الشطرنج والنرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الأرزاق (٢) .
وقالوا في فضائل الشطرنج أنها تعلم الحرب وتشحذ اللب ، وتدرب الإنسان على الكر وتعلمه شدة البصيرة (٣) ومن الوسائل اللعب بالنرد (٤) .

وكان أهالي بغداد يتنزهون لمليء فراغهم (٥) فكانوا يتنزهون على الجسور المنشأة في بغداد وقد أنشد الشافعي :

يا حبذا جسر على متن دجلة ... بإتقان تأسيس وحسن ورونق
جمال وفخر للعراق ونزهة ... وسلوة من أضناه فرط التشوق

وقال :

يوم سرقنا العيش فيه خلسة ... في مجلس بفناء دجلة مفرد
فكأن دجلة طيلسان أبيض ... والجسر فيها كالطراز الأسود(٦)

ومن أماكن التنزه واللهو قرية مشهورة ببغداد تدعى كركر (٧) وفيها الديارات كما مر معنا في احتفالات النصارى .
وقد أمر محمد المهدي سنة١٩٦هـ/ ٩٠٨م بناء مجالس لمتنزهاته ومواضيع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلى ورقة كلواذي وباب الأنبار (٨) .

اهتم بعض الخلفاء بتوفير وسائل التسلية ، فلما أفضت الخلافة إلى محمد المهدي أمر ببناء ميدان حول قصر أبي جعفر في المدينة للصوالجه واللعب (٩) .
وكان الرشيد أول خليفة ضرب بالصوالجه والقباطب ورمى بالنشاب (١٠) .

---

(١) ابن طيفور ، بغداد ، ص١٣٢-١٣٤ ، التنوخي ، نشوار ،ج١ ص٦٥ ،ص ٢٣١ ، الشابشتي ، الديارات ص ٣٩-٤٠ .
(٢) اليعقوبي ، مشاكلة الناس ،ص ٢٥ ، التوحيدي ، البصائر ، الذخائر ، ج٣ ص٤٥ .
(٣) ابن طيفور ، بغداد ، ص٥٥ ، التنوخي ، نشوار ، ج٢ ص٢٧١ .
(٤) اليعقوبي ، مشاكلة الناس ، ص٢٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج٥ ص١٦١ ، التوحيدي ، البصائر ج٣ ص٤٥ ، التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٦٠ .
(٥) ابن طيفور ، بغداد ، ص٢١ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج١١ ص٢٣٦ ، التنوخي ، نشوار ، ج٢ ص١٧٠ .
(٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١ ص١٢٩ .
(٧) التنوخي ، نشوار ، ج٤ ص٦٦-٦٧ .
(٨) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ص١١١ .
(٩) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ص٣١ ، ٢٧٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج٦ ص١٦٣ .
(١٠) اليعقوبي ، مشاكلة الناس ، ص٢٥ ، التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ج٣ ص٤٥ .

وأعتبر الصيد وسيلة من وسائل التسلية (١) ولم يقتصر على صيد البر والجو وإنما شمل صيد الأسماك (٢) .
ويعتبر اللعب بالطيور ومهارشة الحيوانات من وسائل ملء الفراغ والتسلية التي لم تقتصر على العامة فقط ، بل شاركتها فيها بقية الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية (٣) . فدعا الرشيد عبد الله بن الحسن إلى بغداد وقال له : إن أردت أن تلعب بالحمام فافعل (٤) . وكان للطيور سوق ببغداد في الجانب الشرقي فيها (٥) ، يتردد عليه أهل هذه الهواية لشراء الطيور منها أو بيعها فيها (٦) . واستمر اللعب بالطيور والاعتناء بها ، فأصبح إلى جانب الهواة من ينتسب إلى مهنة بيع الطيور ، فيقال فلان بن فلان الطيوري (٧) وكان أكثر الناس ولعا بالطيور الخصيان (٨) وكانت تتم المراهنات على إطلاق الطيور من مسافات بعيدة ، فمن وصلت طيوره قبل غيره ، فهو الرابح، ومن تأخرت طيوره عن الوصول أو ضلت الطريق ولم تعد إلى صاحبها فهو الخاسر (٩) . ومن أشهر أنواع الطيور المعروفة (الهدي أو الهداء) وقد تسمى المناسيب (١٠) ، أو الزاجل أو الزاجر أيضا (١١) .

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ص٣٤٥ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ص٣٥٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج٤ ص٢٩٢ ، التوحيدي ، البصائر ، ج٩ ص٣٤ ، التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٢٠٩-٢١٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ص٢١٧ .
(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ص٤٤ ، ابن العبري ، مختصر ،ص ١١٨ .
(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج٤ ص٢٦٤ .
(٤) الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص٤٤٣ .
(٥) مجهول ، مناقب بغداد ، ص٢٦ .
(٦) الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ص١١٨ ، البيهقي ، المحاسن ، ص٥٧٠ .
(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ص٢٠٦ .
(٨) الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ص١١٨ ، البيهقي ، المحاسن ، ص٧٥٠.
(٩) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ص٢٢٦ .
(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٢ ،ص ١٨١ .
(١١) ابن سيده ، المخصص ، ج١٠ ص١٧٠ .

وقد استعمل هذا النوع من الطيور في البريد من قبل الحكومات ، وذلك لشدة سرعته وقوته في الطيران (١) . وكان يدرب على المجيء إلى موطنه حيث يرسل في كل مرة إلى مرحلة أبعد من التي أطلق منها سابقا حتى يصبح الطير عارفا لطريقه (٢) .
إلى جانب الولع بالطيور ، كانت العامة مولعة بتربية أنواع أخرى من الحيوانات من أجل مهارشتها والتفرج عليها كالديوك والسمان (٣) والكلاب (٤) ويورد ابن الجوزي مجموعة من القصص عن وفاء الكلاب لأصحابهم وكيفية مهارشة الكلاب (٥) .
وكانوا إذا أرادوا مهارشة الحيوانات جاءوا باثنين من كل نوع وجعلوا الواحد مقابل الأخر ، فتبدأ هذه الحيوانات بالمهارشه ، فتجد العامة عند ذلك مجالا للمتعة وقضاء الوقت ، وقد يؤدي التحمس أثناء هذه المهارشات إلى المعارك بين أصحاب هذه الحيوانات ، وربما خلق العداوات (٦) .

ومن أشهر من ذكر من المولعين بهذه الهواية الخصيان (٧)
وقد شارك الأولاد في اللعب بالطيور للتسلية و المتعة (٨) بالإضافة إلى اللعب بالكرة (٩) وكانت الفتيات يقضين فراغهن باللعب بالدمى المصنوعة من الطين على هيئة حيوانات (١٠) أو على هيئة إنسان (١١) ،وكان صناع الدمى يغتنمون فرصة حلول العيد لبيعها (١٢) ويبدو أن الاهتمام بالدمى كان كبيرا ،لذلك وجد ببغداد سوق خاص بها سمي بسوق اللعب ، أقره المحتسب أبو سعيد الاصطخري ت ٣٢٥هـ/٩٣٩م ، في الوقت الذي أزال فيه بعض الأسواق كسوق النبيذ (١٣) .

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ص٩٧ .
(٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ص٢١٧ ، ابن سيده ، المخصص ،ج١٠ ص١٧٠ .
(٣) الجاحظ ، الحيوان ،ج٥ ص٢٤٦ .
(٤) الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ص٢٨٧ ،التنوخي ، نشوار ، ج١ ص٣٤٠ .
(٥) ابن الجوزي ، الأذكياء ، ص٢٦٣-٢٦٥ .
(٦) المسعودى ، مروج ، ج٨ ص٣٧٤ ، ابن الأخوة ، معالم القرية ، ص٢٤٢ .
(٧) الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ص١١٨ .
(٨) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص٥٧٠ .
(٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص٤٢ .
(١٠) الغزالي ، أحياء ، ج٢ ص٦٧ .
(١١) الماوردي ، الأحكام ، ص٢٥١ .
(١٢) ابن الأخوة ، معالم القرية ، ص٥٦ .
(١٣) الماوردي ، الأحكام ، ص٢٥١ ، ابن الأخوة ، معالم ،ص ٣٦ .

قائمة المصادر والمراجع
المصادر الأولية

-ابن الأثير : أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد الشيباني والملقب بعز الدين ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م.الكامل في التاريخ ، ١٢ جزءاً ، دارالطباعة ، القاهرة ١٢٩٠ هـ .

-الأبشيهي :محمد بن أحمد أبو الفتح ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م .المستطرف في كل فن مستظرف ، جزءان ، المطبعة المينية ، القاهرة ١٣١٤ .

- ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت٧٢٩هـ/١٣٣٨م. معالم القربة في أحكام الحسبة ، روبن ليوى ، مطبعة دار الفنون ، كامبرج ١٩٣٧ .

-الأزدي : محمد بن أحمد ابو المطهر : عاش في القرن الرابع الهجري .حكايات أبي القاسم البغدادي ، مطبعة كرل ونتر ، هيدل برج ١٩٠٢.

-الأصبهاني : عماد الدين الكاتب محمد بن محمد بن حامد ت٥٩٧هـ/١٢٠١م .خريدة القصر وجريدة العصر ، الجزء الأول تحقيق محمد بن بهجت الأثري والدكتور جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

-الأصطخري : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري ت ٣٤١هـ/٩٥٧م مسالك الممالك ، باعتناء أم .ج .ديغوييه ، مطبعة برل ، ليدن ١٩٢٧ .

-الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الكاتب ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٧م.الأغاني ، ١٦ جزء ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٤٥-١٣٨٤هـ/١٩٢٧-١٩٦١م.٨-

-ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي ت ٦٦٨ هـ/١٢٧٠م .عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جزءان ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م.

-ابن أعثم الكوفي : ابي محمد أحمد بن أعثم ت ٣١٤هـ/٩٢٦م ،الفتوح ، ٨ أجزاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

-ابن بسام : محمد بن أحمد .نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ .

-البغدادي : محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادي ، ألف كتابه سنة ٦٢٣هـ الطبيخ ، تحقيق الدكتور داود الجلبي ، مطبعة أم الربيعيين الموصل ١٩٣٤ .

- ابن بطوطة : أبو عبد الله بن ابراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م .رحلة ابن بطوطة ، بيروت ١٩٦٤ .

-البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الوزير الأندلسي ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .معجم ماستعجم ، ٤ أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥ -١٩٥١ .

- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م .فتوح البلدان ، نشرة رضوان محمد رضوان ، المطبعة المصرية الأزهر ١٩٣٢
- أنساب الأشراف ، ١٠ أجزاء ، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي ، دار الفكر بيروت ١٩٩٦ .

-البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م.الأثار الباقية عن القرون الخالية ، باعتناء ادوار سخاو، لابزك ١٩٢٣.

- ابن البيطار:ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن الحسن الأندلسي ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،٤ اجزاء،مطبعة محمد باشا توفيق،القاهرة، ١٢٩١هـ.

-البيهقي : ابراهيم بن محمد ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م .المحاسن والمساوئ ، دار صادق ودار بيروت ، بيروت ١٩٦٠ .

- التنوخي : ابو علي المحسن بن علي القاضي ت ٢٨٤هـ/٩٩٤م .المستجاد من فعلات الأجواد ، تحقيق محمد كردعلي ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٤٦ .
-الفرج بعد الشدة : جزءان ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٥ .
-نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، أو جامع التواريخ ٥ أجزاء ، تحقيق عبود الشالجي ١٩٧١ .

-ابو حيان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس ت ٣٨٠ هـ/٩٩٠م .الإمتاع والمؤانسة ، ٣ أجزاء ، طبعة٢ ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٣ .
البصائر والذخائر ، تحقيق ابراهيم كيلاني ، مكتبة أطلس ، دمشق ١٩٦٤ .

-الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م .ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، صححه محمد حسين ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ١٩٠٨ .

-خاص الخاص ، تصحيح محمد السمكري ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٠٩ .

-لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠ .
-يتيمة الدهر ،٤ أجزاء ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ١٩٣٤ .

-الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هــ/٨٦٩م .البخلاء ، مطبعة الجمهور ، القاهرة ١٢٢٣ هــ .
-البلدان ، نشره صالح أحمد العلي ، ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٧٠ .
-البيان والتبيين ، ٤أجزاء ، طبعة ٢ ، تحقيق عبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠-١٩٦١ .
-الحيوان ، ٧ أجزاء ، تحقيق عبد السلام هارون / مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٩٥٨ .
-رسائل الجاحظ الكلامية ، تقديم الدكتور علي أبو ملحم ،ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٧ .
-رسائل الجاحظ السياسية ، تقديم الدكتور علي أبو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٧ .

-ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي ت ٦١٤هــ/١٢١٧م.رحلة ابن جبير، باعتناء ام.جي.ديغو بيه ، ط٢ ، ليدن ١٩٠٧ .

-الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هــ/٩٤٢م.الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده ، القاهرة ١٩٣٨ .

-ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هــ/١٢٠١م . أخبار الحمقى والمغفلين ، باعتناء عبد القادر المغربي ، مطبعة التوفيق دمشق١٣٤٥ .
-أخبار الظراف والمتماجنين ، باعتناء القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٧ .
-الأذكياء ، تحقيق محمد الصديق الغماري ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة.
-تلبيس ابليس ، او نقد العلم والعلماء، ط٢ ، صححه وعلق حواشيه محمد منير الدمشقي ، ادارة الطباعة المنيريه ، القاهرة .
-تنبيه الغمر على مواسم العمر ، ضمن كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠٢ .
-ذم الهوى ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ومراجعة محمد الغزالي ، مطبعة السعادة١٩٦٢ .
-صفة الصفوة ، ٤ أجزاء ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن١٣٥٥ .
-مناقب بغداد ، تصحيح محمد بهجت الأثري ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٤٢
-المنتظم في تأريخ الملوك والأمم ،١٠ أجزاء ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ١٣٥٧ -١٣٥٩ .
-القصاص والمذكرين ، تحقيق قاسم السامرائي ، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض ١٩٨٣ .

- اخوان الصفا،رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء،٤ اجزاء، مطبعة دار بيروت و دار صادر،بيروت،١٣٧٦-١٣٧٧هـ/١٩٥٧.
-الجوهري : اسماعيل بن حماد ت ٢٩٣هـ/١٠٠٣م .تاج اللغة وصحاح العربية ، ٦ أجزاء ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٧٧ .

-الحريري : أبو محمد القاسم بن علي ت٥١٦هـ/١١٢٢.مقامات الحريري ، ط٣ ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٠٣ .
-الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م.معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، باعتناء فردناند وستنفلد ، لايبزك ،١٩٢٤ .
-معجم الأدباء ، ٧أجزاء ، عني بنشره د. س. مرجليوث ،ط٢ ، مطبعة هندية ، القاهرة ١٩٣٠ .

-الحميري : أبو سعيد بن نشوان الحميري ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م .الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة السعادة ١٩٤٧ .

-ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م.صورة الأرض ، مطبعة فؤاد بيبان وشركاؤه ، بيروت .

-ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت٢٨٠هـ/٨٩٣م.المسالك والممالك ، باعتناء ام .جي . ديغو ييه ، برل ، ليدن ١٣٠٩ .

-الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م.تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام، ١٤ جزء ، تصحيح محمد حامد الفقي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣١ .
-التطفيل ، عني بنشره القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ١٣٤٦ .

-ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥-١٤٠٦م.مقدمة ابن خلدون ، مطبعة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت١٩٦١

-ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م.وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، ٦ أجزاء ، حققه محمد بن محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٨ -١٩٤٩.

-خليفة بن خياط : أبي عمرو بن خياط بن أبي هبيره الليثي العصفري الملقب بشباب ٢٤٠هـ . تاريخ خليفة بن خياط ، مراجعة مصطفى فواز وحكمت قواز ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩٥ .

-الدمشقي : أبو الفضل جعفر بن علي ، عاش في القرن السادس الهجري .الإشارة إلى محاسن التجارة ، مطبعة الدميري ، دمشق ١٣١٨ .

-الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ت٢٨٢هـ/٨٩٥ م.الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦٠ .

-الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ/١٢٤٧م.دول الإسلام ، ٢ جزء ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،الدكن ، ط٢ ١٣٦٤ -١٣٦٥ .

-ابن رسته : ابو علي أحمد بن عمر ، كان حياً في سنة ت٢٩٠ هـ /٩٠٣ م .الأعلاق النفيسية ، باعتناء ام . جي . ديغو بيه ، برل ، ليدن ١٨٩٢ .

-الزبيدي : محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م .تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٠ أجزاء ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦ .

-سهراب .
عجائب الأقاليم السبعة حتى نهاية العمارة ، تصحيحي هانس فون شتريك ، فينا ١٩٢٩ .

-ابن سيده : أبو الحسن علي بن اسماعيل ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م .المحكم والمحيط الأعظم ، ٢ جزء ، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ، مطبعة الباب الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٩٥٨ .
-المخصص ، ١٧ جزء ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣١٦-١٣٢١م.

-الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م.الديارات ، تحقيق كوكيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥١ .

-أبو شجاع محمد بن الحسين : ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥ م.ذيل تجارب الأمم ، تحقيق هـ .ف . آمدروز ، مطبعة شركة التدمن الصناعية القاهرة ١٩١٦ .

-الشيزري : عبد الرحمن بن نصر ت٥٨٩ هـ/١١٩٣م .نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريمي ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٦ .

-الصابي : أبو الحسن (أو الحسين) الهلال بن المحسن ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م .رسوم در الخلافة ، تحقيق ميخائل عواد ، مطبعةالعاني ، بغداد ١٩٦٤ .
-الوزراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨ .

-الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن عباس بن محمد ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م أخبار الراضي والمتقي بالله ، نشره هيورث ، مطبعة الصاوي القاهرة .

-الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/١٢٦٣م .نكت الهميان في نكت العميان ، أحمد زكي ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ١٩١١ .

-الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٣م .تاريخ الرسل والملوك ، ١٥ مجلد ، تحقيق أم . جي . ديغو بيه ، مطبعة برل ، ليدن ١٩٠١ .

-ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م .الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية ، نشره ابراهيم زيدان ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٣٤٠ .

-ابن طيفور : ابو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م .بغداد ، صححه محمد زاهد الكوثري ونشره عزت العطار الحسيني ١٩٤٩ .

-ابن عبد الحق : صفي الدين ت ٧٣٩هـ/١٣٨٠م .مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ٥أجزاء ، باعتناء ت.ج.جي جوينبول ، مطبعة برل ليدن ١٨٥٢.

-ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت٣٢٨هـ/٩٣٩م .العقد الفريد ، تصحيح أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم البياري ، ٧أجزاء ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

-ابن عبدون وآخرون : ابن عبدون واحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف ، وعمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي .ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب ، باعتناء ليفي بروقنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥ .

-ابن العبري : غريغوريوس الملطي ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦ .تاريخ مختصر الدول ، ط٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٨٥ .

-عريب القرطبي : عريب بن سعد ت ٣٦٦هـ/٩٧٦م .صلة تاريخ الطبري ، برل ، ليدن ١٨٩٧ .

-ابن عساكر : ابو القاسم علي بن حسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ت ٥٧١هـ/١١٧٦م. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأمام أبي الحسن الأشعري ، نشره القدسي ، مطبعة القدسي ، دمشق ١٣٤٧ .

. الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ/١١١١م .احياء علوم الدين ، ٤أجزاء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة١٩٣٩ .

-ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه الهمذاني ت ٢٨٩هـ/٩٠٢م .مختصر كتاب البلدان ، باعتناء ام .جي . ديغو بيه ، مطبعة برل ، ليدن ١٨٨٥

-الفيروزاباذي : مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م .القاموس المحيط ، ٤أجزاء، مطبعة شركةفن الطباعة ، القاهرة ١٩١٣ .

-ابن قتيبه : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م .الإمامة والسياسة (منسوب)، تعليق خليل المنصور، دارالكتب العلمية ، بيروت١٩٩٧.

-قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة بن جعفرالكاتب البغدادي ت ٢٣٧هـ/٩٤٨م .نبذه من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، باعتناء ام . جي . ديغو بيه ، نشر مع كتاب المسالك والممالك لإبن خرداذبه ، مطبعة برل ، ليدن ١٣٠٩ .

-القفطي : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م .أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تصحيح محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٦ .

-ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م البداية والنهاية في التاريخ ، ١٤ جزء ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣٢ .

-الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م .الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٩٦٠ .

-مجهول : ت ٤٨١ هـ/١٠٨٨م. العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، مطبعة النعمان ، النجف ١٩٧٢ .

-مجهول .مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجت الأثري البغدادي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٤٢ .

-المسعودي : علي بن أبي الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م.التنبيه والاشراف ، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ، القاهرة ، مطبعة دار الصاوي ١٩٣٧ .
مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ ، ٩ أجزاء ، باعتناء س . باربيه ديمينار ، باريس ١٨٧٧ .

-مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه الخازن ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م .تجارب الأمم ، جزء ٥، ٦ ، باعتناء هـ . ف . امدروز ، مطبعة شركة التمدن القاهرة ١٩١٤ .
-تهذيب الأخلاق ، ط٣ ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ١٩٠٨ .

-المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م. أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم ، باعتناء ، أم . جي . ديغو ييه ، مطبعة برل ، ليدن ١٩٠٦ .

-ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ/١٣١١م .لسان العرب ، ١٥ مجلد ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٣٧٤ .

-ابن النديم : محمد بن اسحاق حوالي سنة ٢٨٥هـ-٩٨٨م .الفهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

-الهمداني : محمد بن عبد الملك ت ٥٢١هـ/١١٢٧م .تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦١.

-الهمذاني : أبو الفضل بديع الزمان ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م .مقامات الهمذاني ، قدم لها محمد عبده ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٨.

-الوشاء : أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى ت ٣٢٥هـ/٩٦٣م .الموشى أو الظرف والظرفاء ، ط٢ ، تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٩٥٣ .

-اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م.البلدان ، ط٣ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٥٧ .

-مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت، ١٩٦٢ .

- تاريخ اليعقوبي،دي غويه ،ليدن، ١٨٩٢ م.

-أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٢هـ/٧٩٨م .كتاب الخراج ، ط٣ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٢ .

المراجع الحديثة:

-أحمد سوسة،أطلس بغداد،مطبعة مديرية المساحة العامة،بغداد،١٩٥٢.

-احمد امين،ضحى الاسلام،٣ اجزاء،ط٦ لجنة التاليف والنشر ،القاهرة،١٩٦١.

-احمد عيسى بيك،تاريخ البيمارستان في الاسلام ،دار الرائد العربي،بيروت،١٩٨١.

-ادم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، جزءان،ط٣ ،ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده،مطبعة لجنة التاليف والنشر ،١٩٥٧.

-بدري فهد ،العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري،مطبعة الارشاد،بغداد،١٩٦٧.

-جرجي زيدان،تاريخ التمدن الاسلامي،٥ أجزاء،اشراف حسين مؤنس،دار الهلال.

-جوستاف فون جرونيباوم،حضارة الاسلام،ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة عبد الحميد العبادي،دار مصر للطباعة.

- جي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ،ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد،مطبعة الرابطة،بغداد،١٩٥٤.

-حمدان الكبيسي،أسواق بغداد حتى نهاية العصر البويهي، وزارة الثقافة والفنون،بغداد ١٩٧٩.

-رفائيل بابو اسحق،احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية،مطبعة شفيق،بغداد ١٩٦٠.

-رينهارت دوزي،المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب،ترجمة اكرم فاضل ،دار الحرية للطباعة ،بغداد،١٩٣٨.

-صالح العلي،بغداد مدينة السلام انشاؤها تنظيم سكانها في العهود العباسية الاولى،جزءان،المجمع العلمي العراقي،١٩٨٥.

-عبد العزيز الدوري،تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري،مطبعة المعارف،بغداد،١٩٤٨.
العصر العباسي الاول دراسة في التاريخ السياسي و الاداري والمالي،دار الطليعة،بيروت،١٩٨٨.

-فرانز روزنتال،علم التأريخ عند المسلمين ،ترجمة صالح العلي،مراجعة محمد توفيق حسين، مكتبة المثنى،بغداد١٩٦٤.
- فهمي عبد الرزاق سعد،العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين،الأهلية للنشر والتوزيع.
-كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الاسلامية،٥ اجزاء،ترجمة نبيه امين فارس ومنير بعلبكي،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٥٣-١٩٥٥.

الرسائل الجامعية:

-محمد عبد الله القدحات ،الحياة الاجتماعية في بغداد ٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٧٩-١٢٥٨م رسالة ماجستير جامعة مؤتة،الأردن ، ١٩٩٦.
-محمد نجيب ابو طالب،الصراع الاجتماعي العربي الاسلامي دراسة سسيولوجية للمجتمع العباسي من ١٣٢-٤٠٠هـ،رسالة ماجستير جامعة دمشق،سوريا،.

بحوث منشورة:

-صالح العلي،قضاة بغداد في العصر العباسي ،مجلة المجمع العلمي العراقي،م ١٩٦٩،١٨.
- عائدة مازح،احوال النصارى في خلافة بني العباس،مجلة الاجتهاد عدد ٢٨،السنة٧، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م،بيروت،لبنان.
-عبد العزيز الدوري، نشوء الأصناف والحرف،مجلة كلية الآداب عدد ١ حزيران١٩٥٩،مطبعة العاني،بغداد.
المؤسسات العامة في المدينة الاسلامية نظرة تاريخية الى بغداد،مجلة الأبحاث،كلية الاداب والعلوم ،الجامعة الأمريكية ،بيروت،لبنان سنة١٩٧٨،٢٧-١٩٧٩.

-عماد الدين عبد السلام رؤوف،مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد،مجلة المورد،بغداد،مجلد، عدد ١٩٧٩،٤.
-ميشيل ألارد،مسيحيي بغداد، منشورة في العدد الخاص من مجلة Arabica ج١٩٦٢،٩.
-محفوظ،النورز في الادب العربي،مجلة التراث الشعبي عدد ٨،نيسان،١٩٦٤.
.The Encyclopedia of Islam, new edition, volume 1, A-B, 1960 -

الخاتمة

من خلال دراسة الحياة الاجتماعية في بغداد يلاحظ ، ان العاصمة الإدارية للعباسيين قبل بغداد تدعى الهاشمية. وهذا الاسم لا يشير إلى مكان واحد بل إلى أي مكان اختاره الخليفة ليكون مقرا" لاقامته .ما ان قرار المنصور بناء بغداد كان نتيجة" لعدة عوامل: فان إقامة الخليفة في جهة الكوفة وهي معقل المعارضة المضطربة ، كان مصدر خطر يهدد حكمه.كما أن أهل الكوفة بميولهم العلوية قد يفسدون جنده. هذا بالإضافة إلى قلقه من احتمال حدوث الثورات ، كما حصل سنة ١٤١هـ/٧٥٨م عندما أثار الراوندية المتطرفون اضطرابا" في ساحة قصره نفسه.

ويبدو أن المنصور منذ البداية كان عازما" أن يكون موضع مدينته الجديدة، في أواسط العراق، و لا توجد أية إشارات إلى أنه فكر في جعلها في إقليم آخر.ويعود اختيار المنصور لموقع بغداد إلى اعتبارات عسكرية و اقتصادية ومناخية ، فهي تقع على أرض خصبة فيها الزراعة جيدة على جانبي النهر، وكانت تقع على طريق خراسان وهو طريق تجاري مهم وفي ملتقى طرق تجارية أخرى،و كانت هناك شبكة قنوات تخدم الزراعة ،بالإضافة إلى أنها كانت تتمتع بمناخ معتدل وصحي ، كما كانت تخلو من البعوض ،ثم أنها تقع وسط العراق، و مثل هذا الموقع يمنح رجالها و جندها القدرة على الحركة في كل الاتجاهات . كما أن وقوع بغداد في المنطقة التي يقترب فيها النهران دجلة و الفرات،ووجود عدد كبير من الأنهر، يجعل منها مكانا" حصينا" حيث تصبح الأنهر وسائل دفاع طبيعية . و يذكر أن المنصور فضل موقع بغداد بعد أن فحص التربة في عدة مناطق، و أن هذا الاختيار عززه فيما بعد بزيارة للمكان. هذا بالاضافة الى الأثر العسكري في اختيار موقع بغداد حيث خرج المنصور بنفسه يرتاد له موضعا" يتخذه مسكنا" لنفسه ولجنده، ثم عاد فقال: هذا موضع معسكر صالح ،ولمراعاة الاعتبارات الاقتصادية فقد روعي في موقعها ، أن يحيط بها ريف جيد.

حرص أبو جعفر المنصور عندما وضع تخطيط المدينة المدورة،على أن تكون للمرتبطين به من أهل بيته ومواليه وأتباعه،وحرسه والعاملين في الدواوين .وكان اختياره لهم قائما" على خطة مرسومة ليسكنها من يثق بهم ويرتبطون به برابطة المصلحة والإقرار بخلافته بصرف النظر عن عمق عقائدهم السياسية في الخلافة العباسية. ولم ينظم بغداد على أساس قبلي، وانما أقام تنظيمه على أساس الأفراد، أو المدن التي جاءت منها الجماعات التي أنزلها فيها. فقسمت بغداد إلى أرباض وقطائع ودروب نسبت لأشخاص بارزين أوالمدن التي جاء منها السكان (وحدة الأصل) فرس،عرب ،خوارزميون،أو حسب المهنة وخاصة التجارة ،وهذا يتمثل في بعض المحلات .وغالبا كانت زوايا التجار وأصحاب المهن تقع جنوب الصراة وأدى ذلك الى نشوء نوع من الرابطة المتينة بينهم ، وشعورهم بالولاء الخاص لمحلاتهم،ويتضح ذلك في فترات الصراع المذهبي الذي كان يحدث بين سكان المحال، وأوجد ذلك رابطة عامة بين سكان المحلة الواحدة استندت الى الاستقرار وتقارب السكن ،وتعدد العلاقات ،وكثرة الارتباطات ،مما يكسبها سمة متميزة .

والواقع أن بغداد سرعان ما نمت وخرجت عما رسمه لها المنصور ، فإن أعدادا كبيرة من الصناع و الفعلة الذين جلبهم المنصور للعمل في بنائها ، وهو غرض محدد ومؤقت ،قد استوطنوا واستقروا فيها للإفادة من فرص العمل المتوفرة فيها .

ولابد أنه رافق وجودهم عدد غير قليل من الكسبة والباعة والتجار ، لتزويدهم بما يحتاجونه ، وأدى استمرار البناء وازدياد النمو الى تزايد أعدادهم ، مما قاد إلى تطوير المدينة ، والى انتقال التجار من المدينة المدورة الى الأرياف الجنوبية ، ومع ذلك فقد استمرت الأعداد بالتوافد على المدينة لما تتيحه من فرص في ميادين الحياة الاقتصادية .

وقد شهدت بغداد تحولا سكانيا نحو الاستقرار فيها (المدن)اذ اقبل السكان عليها منذ نشأتها ، فضمت جماعات متعددة و متنوعة و شعوبا مختلفة الأصل و اللغة و الأخلاق . ولكن كانت غالبية السكان من العرب وبعدهم الموالي ، وكانت المصلحة المشتركة واللغة العربية والإيمان بالإسلام عوامل تجمع بين سكان بغداد .

و من أهم التغيرات التي حدثت في المجال الإجتماعي الاقتصادي في بغداد،ضعف معيار النسب في المنزلة الإجتماعية . بسبب التطور الاقتصادي والتباين في توزيع الثروات بين أفراد المجتمع ،مما أدى إلى قيام فئة واسعة من الحرفيين والعمال والتجار وهذا ساعد على تراجع معايير النسب الإجتماعية, ومنذ القرن الثالث أصبح الناس يتعارفون بمهنتهم فيقال: الرفاء, والكاتب , وتعارفوا بأصولهم فيقال: البغدادي أو البصري . وهذا يدل على أن الاشتغال بالمهن لم يعد محتقرا" لدى الأدباء والفقهاء ،وأن روح التكتل أصبحت قوية بين أصحاب المهنة الواحدة.

وإذا أردنا تقسيم المجتمع البغدادي الى فئات اجتماعية . لا بد أن نستند إلى الأسس التي أحدثتها التطورات الاقتصادية في هذه الفترة وأهمها مستوى الدخل(الثروة) ،وبذلك يمكن تقسيم المجتمع الى ثلاث فئات اجتماعية:

أ-الخاصة

وهم أصحاب السلطة والنفوذ وعلى رأسها الخليفة وعائلته وأقرباؤه ويدخل فيها كبار الموظفين كالوزراء ورؤساء الكتاب والقواد والأشراف.

ب- الفئة المتوسطة

وتشمل كبار التجار والعلماء.

ج- العامة

وتشمل أهل الحرف والصناع والباعة المتجولين والمكدين .

ولم تكن الخطوط التي تفصل بين هذه الفئات واضحة تماما ولا جامدة , كما أنها لا تنطبق تماما على المقاييس الإجتماعية الموروثة التي كانت تهتم بالنسب بصورة أكيدة .

وقد أنتشر نظام المصاهرة بين العرب وغيرهم في العصر العباسي ويعني ذلك اختلاط الدم بين الأجناس , وقد أدى ذلك الاختلاط الى تقليص الحدود بين ما هو عربي وما هو فارسي في العصر العباسي الأول. وبهذا زادت مشاركة الموالي واتسع دورهم . وقد أعطيت بعض المناصب الهامة كالوزارة الى الفرس وغيرهم ولكن عددا كبيرا من الولاة والقواد كانوا عربا خاصة في العصر العباسي الأول . وكثيرا ما تنافس كبار الموظفين من العرب والفرس في البلاط وفي الولايات .

ويلاحظ أن نظرة الأدباء والمفكرين لأصحاب المهن والحرف في بداية العصر العباسي نظرة ازدراء ، ورفضوا تخصيص مكان شريف لهم في السلم الاجتماعي . ولكن النظرة الاجتماعية الى الصنائع والحرف بدأت تتغير بمرور الزمن بسبب النمو الاقتصادي ،فقد اقبل الكثيرون على ممارسة الحرف لتلبية حاجات المجتمع الجديدة،كما كان لامتزاج العناصر المختلفة في المجتمع اثره في تغيير النظرة الى الحرف والمهن .

وعند النظر الى موارد الفئة الخاصة , يلاحظ أنها عاشت في مستوى اجتماعي ومادي رفيع, ويمكن من خلاله ذلك ملاحظة التباين الكبير في مستوى المعيشة بين أفراد هذه الفئة وبين فئة العامة. وقد أوجد التفاوت الكبير في مستوى المعيشة هوة بين الفئة الخاصة المترفة وبين العامة مما أدى بالعامة أن تواجه هذا الواقع من الفقر وما رافقه من ارتفاع في الأسعار بطرق مختلفة أدت إلى بروز مجموعة من الظواهر الإجتماعية .

حيث لجأ بعض العامة الى الكدية بسبب الفقر وخاصة الفقر بعد الغنى , حيث كان يتم تدريب الأبناء على الكدية منذ الصغر, وكانوا يطرقون الأبواب ليلاً طلباً للعطاء ومختلقين القصص من أجل جلب الاستعطاف . ولجأ البعض الآخر ال التطفيل.

وتعود جذور هذه الظواهر الى رغبة الفئة العامة الفقيرة , لأخذ ثأرها من الفئة المترفة, ولم يكن دور العامة في مواجهة هذا الواقع باللجوء الى الأساليب السابقة فقط وإنما رافق ذلك تحرك شعبي يعبر عن رفضه ويطالب بتحسين الأوضاع وتزامن هذا التحرك مع ارتفاع الأسعار الذي لم يرافقه ارتفاع مماثل في الأجور مما يؤثر سلباً في الوضع المادي لهم.

وقد برز في هذه الفترة دور العامة فقد عبرت العامة عن استيائها من الأوضاع السائدة, بعدة طرق من أهمها التحرك الشعبي ، وأهم هذه الحركات حركة العيارين والشطار ، الذين ظهروا لأول مرة في حصار بغداد الأول ،وقد كان لهم تنظيمهم الخاص ،وكانت لهم مبادئهم الخاصة ايضا . وقد قد العيارين جماعات عديدة من العامة في التعبير عن غضبهم خاصة عند غلاء الأسعار.

وقد كان من الصعب ايجاد حدود وشروط لتقسيم أفراد المجتمع الإسلامي في بغداد, بين فئة خاصة وعامة , خاصة بالنسبة للعلماء وكبار التجار , لهذا يمكن القول أن تصنيف العلماء وكبار التجار والملاكين الى فئة وسطى بين العامة والخاصة بناء على مدى العلاقة بين العلماء والسلطة ، ودور الثروة في المركز الاجتماعي المتميز التجار، وكان هذا نتيجة للتطور الرئيسي في هذا العصر وهو نشاط التجارة،وظهور التجار كطبقة رأسمالية .

وقد تمتع كبار تجار بغداد بمنزلة اجتماعية عالية ، وصاروا يسكنون في أحياء ودروب علية القوم ، وهذه المكانة للتجار ظهرت بشكل واضح في القرن ٣هـ / ٩م ، إذ تحولت نظرة المجتمع إلى التجارة ،وأصبح الاشتغال في أمور التجارة والمال قد يوصل صاحبه إلى منصب الوزارة ، وهكذا صار المال يقوم بدوره في المكانة الاجتماعية و السياسية ، وأصبح شرطا ضروريا في التقدم الاجتماعي ورفع مستوى المعيشة لأصحابه . فالثراء والمال وسعة اليد والسخاء كانت من جملة الشروط التي قد تؤهل صاحبها لأن يتولى الوزارة. وهي اعلى المناصب السياسية والادارية بعد الخليفة.

أما إذا نظرنا الى التركيب الديني لسكان بغداد , فأننا نجد أن الغالبية كانت من المسلمين على اختلاف مذاهبهم, إضافة إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى، الذين كانوا يعيشون مبثوثين في محال بغداد المختلفة ، وفي محالهم الخاصة بهم. لقد مارس اليهود والنصارى التجارة والصيرفة وركزوا أعمالهم في سوق بغداد. والواقع أن أهل الذمة تمتعوا في ظل الدولة العباسية بمركز أفضل من بعض الجماعات الإسلامية , ويعبر عن ذلك المحاورات الدينية التي كانت تجري بين المسلمين والنصارى , لأن المحاورات لم تكن لتتم بين أعداء يريد بعضهم تدمير

بعض وهنالك أدلة كثيرة حول التسامح مع أهل الذمة والمكانة الاجتماعية والسياسية التي وصلوا اليها وقد كانت الطوائف تختار رؤساءها ولو أنه كان من حق الخلافة ألا توافق على ذلك.

والواقع أن أهل الذمة لم يتعرضوا لتضيق أو اضطهاد في بغداد،فقد كان النصارى وأهل الذمة عامة يلجئون الى دور الخلفاء كما يلجأ اليها المسلمون .

ويلاحظ أن تنوع السكان , وتنوع أعمالهم في بغداد يتناسب مع تقسيم العمل والإنتاج , وقد ساعد هذا على تنظيم المجتمع وجعله وحدة اقتصادية متكاملة . ومن ناحية أخرى كان احتكاك أهل المهن يقوي الشعور بالنفرة الاجتماعية بين أصحاب المهن. وبالنتيجة أدى التقارب والتنافس في المجتمع الى أن يصبح هذا المجتمع مليئا" بالحيوية وبالمفرقعات في آن واحد.

و لقد نظمت الدولة بعض الخدمات الاجتماعية (العامة) للشعب ، وخاصة للفقراء ، فأنشأت ديواناً خاصاً وهو" ديوان البر " لإدارة الصدقات والأوقاف الخيرية لمساعدة الفقراء . ويتولى القاضي الإشراف على الوقف وتعهده ،ويعمل على تنميته،ويتأكد من أن وارده يجمع كاملا" وبصورة صحيحة ،و يصرف في أوجهه المخصصة لها، ويتولى رعاية الأيتام، ويختار الشهود ومن الأوقاف الأراضي الوقفية التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية فيكون واردها للأراضي المقدسة (مكة والمدينة) وللمجاهدين ، أو للفقراء أو المحتاجين أو لليتامى أو لفك رقاب العبيد ، أو لبناء المساجد والحصون ، أو للمنافع العامة الأخرى.

من الخدمات الأساسية في المدينة توفير المياه داخل المدينة،نظرا" لأهمية الماء وضرورته للشرب والاستعمالات اليومية وللطهارة و لأغراض أخرى. وقد وفرت الدولة قنوات لايصال الماء الى داخل المدينة لإستعماله في مختلف الأغراض ، غير أنها لم تغن عن وجود طرق أخرى،لإيصال الماء الى الدور والمساجد وهنا ترد إشارات غير قليلة الى السقائين،الذين كانوا ينقلون الماء الى بغداد بالقرب والروايا والسقايات مما أوجد في بغداد عددا كبيرا منهم ، وكانوا يبيعون الماء في الأسواق والمحلات وغالباً ما كان يشتريها المقتدرون من الأغنياء والتجار وكبار رجال الدولة . وكانت حرفة السقاية حرفة العوام ظن أو حرفة من لا حرفة له .

وكانت الحكومة مسؤولة بالدرجة الأولى عن إنشاء القنوات والسدود وخزانات المياه ، ويتولى ذلك ديوان الخراج وكانت تستخدم لذلك الغرض عدداً كبيراً من المهندسين . وكانت الحكومة تطلب من الملاكين أحياناً أن يشاركوا في تطهير القنوات .

كما كان يعتبرالمسجد الجامع مؤسسة هامة في المدينة الإسلامية ، إذ أنه مجمع أهل المدينة ، وقد لعب المسجد دوراً هاماً في حياة المسلمين منذ البداية . وأول جامع في بغداد بناه المنصور ١٣٦-١٥٨ هـ/٧٥٤-٧٧٥ م ملاصقاً لقصره المعروف بقصر الذهب.

ولقد اهتمت عامة الناس في بغداد ببناء المساجد فكان سكان كل حي من أحياء بغداد يتعاونون على بناء مسجد حيهم. ولم يقتصر دور المسجد على كونه مكاناً للعبادة فقط ، وإنما هو المكان الأول للتعليم قبل إنشاء المدارس في القرن ٤هـ/١٠م ، وهكذا نجد أن في مساجد بغداد مجموعة من المجالس المتنوعة الأهداف وقد حازت مجالس التعليم على الاهتمام الأكبر.

كما كانت عملية التعليم تتم في المساجد والكتاتيب ،حيث كان التعليم في هذه الفترة خارج اشراف الحكومة او سيطرتها حتى القرن الخامس الهجري ،فقد كان التعليم حرا.

ومن المؤسسات العامة التي وجدت في المجتمع البغدادي البيمارستان أو المارستان وهي إحدى المؤسسات الخيرية العامة التي شيدها الخلفاء و الأمراء وغيرهم من الموسرين صدقة ، وخدمة للإنسانية.

و قد أشار المؤرخون في حديثهم عن المساجد الى ضرورة وجود حمام بإزاء كل مسجد .ومنذ إنشاء بغداد أمر المنصور " ان يبنوا في جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها في كل ناحية ومحلة وهذا دليل الترف والتقدم الحضاري.

وقد بلغ الإعتناء بالحمامات والإكثار منها مبلغا" كبيرا" في الدولة العباسية حتى أصبح عددها ببغداد مضرب الأمثال.

وتنقسم الحمامات من حيث الإستعمال ،الى عامه وخاصة .

فالحمامات الخاصة :هي التي يبنيها التجار و الوزراء والقادة والقضاة والأشراف في دورهم.وقد يمتلك أحدهم أكثر من حمام في داره،وتحتوي هذه الحمامات على كثير من وسائل الراحة.

أما الحمامات العامة: فهي التي تفتح للجمهور وكانت كثيرة في بغداد. وكانت الحمامات العامة تنقسم الى حمامات للرجال وأخرى للنساء.

ومن الخدمات التي وجدت في بغداد وحرصت الدولة على توفيرها الجسور، وكان المنصور قد أمر بعقد ثلاثة جسور ،جسر يعبر الناس عليه ،وجسر يرجعون فيه،وجسر في الوسط للنساء، و كان أهل بغداد يستعملون الشذاوات والزبازب والدلالات والسميريات والمراكب العديدة للتنقل في نهر دجلة ،وكان ببغداد قوارب للخاصة،فقد كان لكل من ذوي اليسار من أهل بغداد دابة في اصطبله،وطيار في النهر.و استعملوا في التنقل البري الحيوانات مثل الحماروالفرس والبرذون والبغل والجمل. وكان اكتراء الحمير وسيلة للانتقال يستعملها أهل بغداد ،وكان أكبر محل يقف فيه الحمارون بحميرهم ببغداد عند باب الكرخ .

واستخدم الأفراد لإنارة المنازل،أو للسير ليلا"، مجموعة من الأدوات مثل المصابيح التي تقاد بدهن البزر ،وكانت تتم الإضاءة بالشموع وتحمل في المواكب وهي شموع خاصة لهذه الغاية وكذلك السرج والقناديل وكان من يسير في الشارع يحمل معه شموعا" أو مشاعل أو إحدى وسائل الإضاءة المذكورة،بعد الغروب وكان البخلاء يضيئون بالقصب.

لقد كانت بغداد الغربية مقسمة الى أرباع وفي كل منها قطائع وأرباض ودروب ومحلات وكان لكل ربع صاحب او رئيس يشرف عليه وبدأ هذا زمن المنصورواستمر حتى بعد تطور المدينة،وكان لصاحب الربع سلطة مدنية ، وكان شيخ الربض أو المحلة يمثل أهله أمام الحكومة ،وفي الغالب كان يعترف به من قبل السلطة ولا تعينه هي وكانت الحكومة تستطيع عن طريقه ان تتعرف على شؤون الربض او المحلة وان توزع المعونات على الفقراء في أوقات الشدة او الضيق وان تتعرف على الأشخاص المشبوهين وفي أوقات الاضطراب يمكن اعتبار الشيخ مسؤولا" عن سلوك محلته ،وهو بدوره يستطيع ان يضمن حسن سلوكهم .

و من أجل تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر استحدث نظام الحسبة، وكان محتسب بغداد يدعى بمحتسب الحضرة ، وهو فوق عمال الأسواق ،وكان له أعوان مما يعطيه نفوذا كبيرا ،وكان له دكة في السوق يراقب منها أهل السوق.

كان لبغداد صاحب شرطة وله مجلس خاص،ويسمى أحيانا" صاحب البلد،وفي بعض الفترات كان هنالك اثنان من أصحاب الشرطة في بغداد، وكان صاحب الشرطة مسؤولا" عن حفظ الأمن والهدوء،وعن مواجهة أية فعاليات مخلة بالأمن وعن قمع الشغب وكشف ومتابعة الأشخاص والجماعات المشبوهة كما أن التصرفات غير الأخلاقية تدخل من ضمن سلطاته،وتقوم الشرطة بدوريات في الليل للحفاظ على الأمن ومنع الجرائم.

وكان لصاحب الشرطة جماعة سرية من مهامها الى جانب التجسس على الناس ، بث الإشاعات لتخويف العامة ولضمان السلامة . وهناك صاحب المعونة ،الذي يرد ذكره مقترناً بطلب من القاضي لجلب المتهمين أو لتنفيذ حكمه وهنالك أكثر من صاحب معونة في بغداد.وقد يكون صاحب المعونة هو صاحب الشرطة أو غيره .

اما عن الحياة اليومية في بغداد فقد بلغ من اهتمام أهالي بغداد خاصة الخلفاء بالطعام ان ظهرت بعض الكتب التي تخصصت في دراسة الطهي . كما ان الاهتمام بأنواع الأغذية و ما يصلح لكل طبيعة منها و تدبير الصحة و الحمية و آداب الطعام و الأوقات التي يصلح فيها الطعام ، وتنوع الطعام ، يدل على اهتمام المجتمع بها .و يتجلى في تنوع الطعام وما يتخذ له من المشهيات و الالتزام بآداب المائدة رقي المجتمع العباسي.و قد كان الطعام يختلف في المجتمع من حيث رخصه أو تعقيده أو أنواعه حسب الفئة التي تصنع الطعام.

اما بالنسبة الى الملابس فق كان لكل فئة من الناس لباسها الخاص بها،ولكل صنف زيه، وكل مناسبة تتطلب نوعاً خاصاً من الملابس . وكان من جراء إقبال الخلفاء على اقتناء الملابس وكثرتها أن أصبح لها موظف خاص يدعى صاحب الكسوة ، تنحصر مهمته في تسجيل كل ما يرد إلى قصور الخلفاء من اللباس أو إخراجه. وقد اختلفت الملابس باختلاف فئات الناس ، فالزهاد لبسوا الملابس الخشنة ذات الأشكال البسيطة وكذلك الرث الممزق واتخذوا من القماش الرخيص الثمن كالخام ملابس لهم ، ومنهم من جعل ملابسه جميعها من لون واحد من القماش ، أي أن تكون الجبة والسروال والعمامة والطيلسان من قطعة قماش واحدة .

و نجد أن الملابس اختلفت باختلاف المهن وبالتالي اختلاف المركز الاجتماعي ، وخاصة في نوعية الأقمشة المستخدمة فيها .

ومن العادات الاجتماعية انه كان الرجل إذا أراد الزواج فإنه يكلف إحدى قريباته أو معارفه لتختار له فتاة صالحة يتخذها زوجة له . وقد يكلف دلاله لتقوم له بهذه المهمة وكانت العروس تجهز قبل العرس ، وقد يتولى أبوها تجهيزها فينفق في سبيل ذلك الأموال ، وإذا تزوج أحد فقراء العامة أو إحدى فقيرات العامة استعار الأهل الملابس والحلي من الأقارب أو المعارف من أجل الظهور بمظهر لائق في حفل الزفاف .

وكانت تقام حفلة العرس عادةً في دار العريس بعد أن تهيأ ذلك . و يوضع على بابها بواب يمنع الغرباء من الدخول وبعد أن يتكامل عدد المدعوين تقدم إليهم الأطعمة الشهية والأشربه المنوعة ، ثم يزف الرجل إلى عروسه .وكان الأب هو ولي أمر البنت عادةً فلذلك كانت موافقته أمراً ضرورياً . ومن التقاليد أن يتزوج الرجل ابنة عمه ، إلا إذا أراد أبوها عامداً أن يعدل بها عن ابن عمها ، إلى رجل غريب ، وكان يتعذر على الرجل بعد زواجه من ابنة عمه أن يتزوج بامرأة سواها. وكان المجتمع البغدادي يقبل من الرجل المسلم أن يتزوج بامرأة مسيحية إذ يعتبر ذلك موافقاً للشرع ، ولكن لا يقبل حدوث العكس. ولم يشجع المجتمع زواج الأسود بالأبيض ، ولا يسمح بزواج زوجة سابقة لخليفة من رجل آخر. وكانوا لا يزوجون امرأة من رجل شاع عنها أن لها علاقة به .

و كان المجتمع لا يستسيغ الاختلاط بين النساء والرجال ، حتى أن المحتسب كان لا يسمح للزوجين أن يجتمعا في طريق خال من المارة ، وكان يفصل بين الرجال والنساء أثناء ركوب الزوارق عند عبور دجلة .

وقد احتفل أهالي بغداد بمناسبات وأعياد دينية متعددة اشتركت فيها جميع فئات المجتمع. ومن اهم مجالات التسلية في بغداد المجالس الخاصة والعامة ،واهم هذه المجالس مجالس القصص التي كان لها تأثيرها في المجتمع .هذا بالاضافة الى الوسائل الأخرى للتسلية.

Abstract

Social Life In Baghdad from its Foundation to 334A.H (946A.D)

Prepared By: Suzan Yaghi
Supervised By Prof. Dr. Abdul Aziz AL Duri

This study deals with the issue of social life in Baghdad from its foundation to 334AH (945-946AM).

The study begins with identifying the Baghdad plan and the establishing of a capital for the Abbasides that reflects the perspective of the new state. For this purpose, the Abbasides had chosen the location of Baghdad as the capital of their state. We notice here that when they choose this location, they took into consideration that it lies in a central position between land and sea routes. In addition to this, trade had played a vital role in such choice, which is a point worth mentioning in terms of the economic transformation as the trade activity increased side by side with the increase of the agricultural activity and the Abbasides had opted to enhance the trade activity. If however we examine the Baghdad plan, we find that their concern was focused on the markets and their regulation and the allocation of appropriate shops therefor.

When Caliph Al Mansour set up the plan of the round city, he was keen that the city would be home for those related to him, including members of his family, his followers, servants, guards and those working in divans. His choice of the city was based on a studied plan so that it would be a dwelling for the trustworthy, associated with him by the bond of interest who acknowledged his Caliphate, irrespective of the depth of their political belief in the Abbasides Caliphate. Al Mansour did not map out Baghdad on tribal basis but rather on individual basis or on the basis of the cities from which the group who settled down in the city came.

Baghdad was divided into arbad, quarters, and darbs according to the prominent persons and the cities from which the population came or according to the profession, particularly trade. This had given rise to a kind of strong ties among them and a sense of special affiliation to their localities.

The second chapter tackles the social classes in the city of Baghdad. Its growth and expansion lead to the development of the living conditions of its inhabitants. It was a blend of people of different colors and origins. The activities of crafts and professions increased and its markets and shops expanded, in addition to the fact that each craft was specialized in its field. Organizations emerged among the inhabitants of Baghdad as a reflection of their solidarity and cooperation. Craftsmen were proud of and fanatic for their crafts against other classes of the society or even against other crafts. A retreat is noticed in the criterion of affinity in the social status due to the economic development and inconsistency of the distribution of wealth among the society members. The affinity to the crafts or trade spread out along with the affinity to the city or the tribe.

If we look at the division of the society members, we find that such division is based on the basics created by economic developments during such period, most important of which the income (wealth) level. Therefore, the society is divided into three social classes, the distinctive class who are in power and influential, the public class that witnessed an increase in its number during such period and the special class which included the scholars, senior merchants and landlords. A big difference is noticed between these classes thus leading to social apprehension and consequently to the emergence of social movements. The Ayareen and Shuttar movement can be described as a social movement directed in the first place against the wealth and merchants in the markets and against the authority and its representatives Sahib Al –Shurta.

The third chapter deals with the public services in the city of Baghdad and managing such services. The society knew some activities which represented certain attempts by the state to offer some kind of social services. In this regard, government hospitals were set up to take care of patients and to provide free medical treatment. Charity endowment set primarily by the government were allocated for education purposes and for helping travelers and the needy. However, the state was not in –charge of education which was the responsibility of individuals and groups. Education was made available for all without any exception. West Baghdad was divided into districts, each with quarters, arbad, darbs and shops. Each quarter had its own head or chief to oversee its affairs. Each of the arbad and quarter had a chief or sheik to represent it before the government in addition to Muhtasib and Sahib Al-Shurta. It has been indispensable to talk about the daily life of the inhabitants of the city of Baghdad and the way they used to eat and dress. It is also inevitable to present a description of their festivals and rejoicing in holidays and on happy occasions and the means of amusement by which they used to fill their leisure.